

شكرًا وُثْنَا

دَيَّوَان
أَبِي الْقَاسِمِ الشَّابِّي
وَرَسَائِلُهُ

قدم له وشرحه
محمّد طراد

الناشر
دار الكتاب العربي

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م

دار الكتاب العربي

الطابق الثامن - بناية بنك بيلوس - فردان - تلفون : ٨٢٢٩٠٥ / ٨٠٠٨١١ / ٨٦١١٧٨
تلفاكس : ٤٧٨١٤٣١ (١٢١٢) تليكس : ٤٠١٣٩ L.E. كتاب برقياً : الكتاب . ص.ب : ٥٧٦٩ - بيروت . لبنان

دَيَّوَان
أَبِي الْقَاسِمِ الشَّابِّي
وَرَسَائِلُهُ

إهداء

إلى أولادي
وإلى الطلاب
من أبناء بلدي برحليون
أهدي هذا الكتاب.

القِسْمُ الْأَوَّلُ
ترجمتہ و شعرہ

ترجمته وشعره

١ - حياته:

ولد أبو القاسم الشاذلي نهار الأربعاء في الرابع والعشرين من شباط عام ١٩٠٩ م في بلدة «توزر» التونسية. والده، الشيخ محمد الشاذلي، كان رجلاً صالحاً، تولى القضاء في أنحاء البلاد التونسية خارج العاصمة لفترة امتدت بين عامي ١٩١٠، تاريخ توليه القضاء، وحتى وفاته في العام ١٩٢٩. وكان من نتيجة ذلك أن الشاعر لم ينشأ في مسقط رأسه، بل خرج منه في السنة الأولى من عمره مع الأسرة، حين بدأ والده بالطواف في البلدان التي كان يُعين فيها للقضاء. وكان لهذا الطواف الذي دام تسع عشرة سنة أثره على الشاعر من جميع النواحي. فقد تعرّض الطفل الناشئ، التحيف الجسم، المديد القامة، السريع الانفعال لجميع أنواع المناخ في البلاد التونسية، من حرّ المدن الساحلية إلى برد الجبال المرتفعة، كما تعرّض إلى الاحتكاك بمختلف العادات واللهجات بين أهل الشمال وأهل الجنوب، وبين تلك البيئات والمدن التي تنقل بها الشاعر، ما يقدر بمئات الأميال أحياناً.

وإذا كان هذا الترحال قد حرّمه من الاستقرار في المدرسة الواحدة، فقد أكسبه خيالاً متوثباً وغذى ذاكرته بصور البيئة التونسية المتنافرة وعمق تجربته الشعرية، فأطلقه من حدود البيئة الضيقة، وأكسبه تجربة إنسانية شاملة.

وقد أخذ الوالد على نفسه مسؤولية تعليم ابنه في البيت حتى بلغ الخامسة من

عمره، ثم أرسله الى الكتاب في بلدة « قابس »، حين انتقل إليها في مطلع العام ١٩١٤. ولمّا بلغ الولد الثانية عشرة من عمره أرسله والده الى العاصمة حيث التحق بجامع الزيتونة. والزيتونة آنذاك في تونس، كالأزهر في مصر، أو النجف في العراق. وقد استطاع الوالد أن يؤمّن لولده مسكناً متواضعاً في أحد بيوت الطلبة، حيث يبيت طالب العلم بأجر زهيد، ولكنّ الشاعر لم يكن راضياً على الإقامة في بيوت تلك المدارس التي لم تكن تسدّ سوى جزء يسير من حاجاته الضرورية، ذلك لأنها كانت مقرراً للفقر والمرض. أمّا في الجامعة نفسها، فإنّ الشاعر لم يكن ميّالاً الى الدّروس التي كانت تلقى في « الزيتونة » من علوم الأدب واللّغة والفقه والشريعة، فالمنهاج لم يكن يتضمّن دراسة الآداب والعلوم العصرية. كما أنّ شيوخ الزيتونة لم يكونوا راضين عن تطرّف الشاعر وشذوذه، ولا عن شعره.

وإذا كان جوّ الزيتونة لم يرقّ للشّائبي فلم يمنعه ذلك من تكوين ثقافة واسعة عربية بحثة جمعت بين التّراث العربيّ القديم في أزهى حلله، وبين روائع الأدب الحديث في البلاد العربيّة وفي المهجر، إضافة إلى ترجمات الآداب الأوروبيّة التي كان المنفلوطي والعقاد والصّاوي ينقلونها الى اللغة العربية وتُنشر في الصّحف التّونسيّة. وقد تركّزت رغبة الشاعر، بصورة خاصّة، على الأدب العربي الذي نشأ في أميركا على أيدي المهاجرين العرب، وتأثّر به تأثراً بالغاً.

وفي العام ١٩٢٧ تخرّج الشّائبي من الزيتونة ونال إجازة « التّطويع » وهي شهادة نهاية الدّروس في الجامعة، لكنّه أدرك أنّ الشّهادة لا تؤمّن له كسب المعاش الذي يرضي طموحه ويوافق ميوله، وذلك لأنّ آراءه لم تكن تتفق مع آراء شيوخ الزيتونة. فقرّر، بعد مراجعة والده، أن ينتسب إلى كلّية الحقوق التّونسيّة في العام المدرسي التّالي. وخلال تلك الفترة تزوّج الشّائبي عام ١٩٢٨ قبل أن يتخرّج من كلّية الحقوق. وعن هذا الزّواج يحدّثنا زين الدّين العابدين السّنوسي أحد الذين تربطهم بالشّاعر علاقة وثيقة جدّاً، وكان يعرف عن الشّائبي أكثر ممّا كان أهل الشّاعر أنفسهم يعرفون عنه. يقول زين العابدين: « إنّ الشّائبي لم يكن حازماً أمره

على الزواج، ولكنّ والده كان يحبّ أن يتّخذ ولدّه لنفسه عِرْقَ خلود وبقاء، والشّيخ أحرص ما يكون على بقاء جذوره. مع أنّ الشّاعر كان منكمش الفؤاد يتهيبّ الزواج بعقله المدرك^(١). وجاء الشّاتيّ إلى صديقه ومعتمده في كثير من شؤونه يمشي على استحياء وقال له: «جئتُك لاستشيرك... هل أتزوِّج؟» قال السنوسي: «وشعرت أنا بثقل مسؤولية تلك الاستشارة، فهو ينفض عن صدره تخوّفه على قلبه المريض ثمّ هو يميل إلى الزواج إطاعة لأبيه. ومن وراء ذلك كنت أرى من حديثه بأنّ الزواج من الميول البشريّة الخالدة. «ثمّ أنّ الشّاتيّ تزوّج» بالفعل وأرضى والدّه وضمن لوالدّه ما أحبّ والدّه من الخلود، ولكنّه في سبيل ذلك ضحّى نفسه وحدها، وقد أشرف أبوه على تنسيق هذا الزواج وتعطيره ومباركته^(٢).

وقد تضاربت الآراء في شأن نجاح هذا الزواج، ففي حين يؤكّد السنوسي أنّ الشّاتيّ كان في زواجه سعيداً موفقاً، وأنّ زوجه كانت تعطيه كلّ ما وهبها الله، وتشفق عليه وتترضّاه، يرى آخرون أنّ هذا الزواج كان فاشلاً.

ولكنّ الشّاعر، على الرّغم من أنّه قد أقنع نفسه بضرورة الزواج إرضاء لأبيه، وعلى الرّغم من أنّه رزق من زواجه هذا ولدين، وعلى الرّغم ممّا يرويّه السنوسي عن نجاح زواجه، فإنّ سلوكه العاطفيّ، كما نرى من ديوانه، لا يدلّ على أنّه كان سعيداً في حياته الزوجيّة. ذلك أنّ المرأة الفاضلة التي تحدّث عنها السنوسي، والتي قبلت أن تكون زوجاً لرجل عليل، مصاب بمرض في قلبه، وتوليه تلك الرّعاية، وتُحيطه بتلك العناية الفائقة، لا بدّ وأن تكون زوجة فاضلة. غير أنّ الشّاعر لم يبادلها قطّ بما كان يلقي منها، ولم يذكر شيئاً من عطفها وحنانها في ديوانه، ولا خصّتها ببيت واحد يدلّ على محبّته لها أو امتنانه لما كان يلقاه من حبّها وحسن معاملتها.

(١) أبو القاسم الشّاتيّ: حياته وأدبه، زين العابدين السنوسي ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه. ص ٢٩.

إنّ زواج الشّابي لم يهبه الاطمئنان الذي كان يحلم به، فانقاد، بعد عام واحدٍ من زواجه، إلى الحبّ الذي لم يعثر عليه مع زوجته، فطلبه في حبّ فتاة خارج بيته، كان قد عشقها منذ عهد الطفولة. ولكن الأقدار شاءت أن تموت الفتاة باكراً؛ فترك موتها في نفسه أسى عميقاً تردّد في أشعار الفترة الأولى من حياته الشعريّة. وظلّ الشّاعر يذكر هذا الحبّ لفترة طويلة سرعان ما حمل نفسه أخيراً على نسيانه، فأطاعه قلبه العليل، فانتقل إلى حبّ جديد ثمّ إلى آخر فأخر. على أنّ موضوع حبّ الشّابي يحتاج إلى دراسة مستقلة لن نتوقّف عنده الآن، لأنّه يحتاج إلى عرض ومناقشة ليس مكانهما في هذه المقدّمة.

بالإضافة الى الصّدمة التي تلقّاها الشّاعر في زواجه وفي حبّه الأول، فقد تعرّض إلى كارثة كبرى تمثّلت بوفاة والده، ولم يكن الشّاعر قد نال بعد إجازة الحقوق. وشغل الشّاعر الشاب بعلاج والده والاهتمام به من النّاحية الماديّة والنفسية. وحين أحسّ الشّاعر بقرب وفاة والده، انتقل به الى مسقط رأسه «توزر» حيث توفيّ الشيخ الوالد في شهر أيلول من العام ١٩٢٩. وكانت وفاته خسارة كبرى هزّت أركان الشّاعر وبدّلت نظام حياته، بل كانت أكبر كارثة يتعرّض لها في حياته وتؤثّر على صحته وتصيب قلبه إصابة مباشرة. وبموت والده، ألقيت على أبي القاسم أعباء ماليّة كبيرة لم تمنعه من إتمام دراسته في كليّة الحقوق في تونس والتّخرّج عام ١٩٣٠ بإجازة الحقوق.

وفي ديوانه إشارات واضحة وصريحة الى تلك الكارثة التي ألمّت به، يظهر ذلك جليّاً في قصيدته «يا موت» التي رثى بها والده حيث تقول:

يا موت، قد مزّقتَ صدري وقصمت بالأرزاء ظهري
وفجعنتني في مَنْ أحبُّ ومَنْ إليه أبستُ سرّي
ورزأتني في عمدتي ومشورتني في كلّ أمرٍ
ثمّ يعود في قصيدته «قيود الأحلام» فيكشف لنا عن الأعباء التي ينوء تحتها وتتمثّل بالقيام بأعباء العائلة التي تركها والده حين يقول:

لكنني لا أستطيع فإن لي أمّا يصدّ حنائها أوهامي
وصغار أخوان يرون سلامهم في الكائنات معلقاً بسلامي
فقدوا الأب الحاني فكنت لضعفهم كهفاً يصدّ غوائل الأيام
لكن الشاعر استطاع أن يتجاوز تلك المرحلة حيث تحسّنت حال المادّية وعاد
إليه بعض التحسّن الصّحي، يدلّ على ذلك ما جاء في إحدى قصائده التي يقول
فيها :

ما كنت أحسبُ بعد موتك يا أبي ومشاعري عمياء بالأحزان
أنّي سأظنمُ للحياة وأحتسي من نهرها المتوهّج النّشوان
وأعود للدنّيا بقلب خافق للحبّ والأفراح والألحان
فإذا أنا ما زلتُ طفلاً مولعاً بتعقّب الأضواء والألوان



كان الشّابي على إثر تخرّجه من الزيتونة، أو قبل ذلك بقليل، يعلم أنّه مريض
في قلبه؛ لكنّ أعراض الدّاء لم تظهر عليه واضحة إلاّ سنة ١٩٢٩، وكان والده
قد رغب إليه في أن يتزوّج. فلم يجد أبو القاسم بداً من أن يستشير طبيباً، ليوفّق
بين رغبة والده وبين مقتضيات حالته الصّحيّة. وقد توجّه الشّابي برفقة صديقه
الصّحفي السنوسي لاستشارة الدكتور محمّد الماطري، النّطاسي البارع في تونس،
ولكن لم يكن قد مضى عليه يومذاك في ممارسة الطّبّ سوى عامين. وبسط
الدكتور الماطري للشّابي حالة مرضه، وحقيقة أمر ذلك المرض كما ذكر له أنّ
هناك حالات كثيرة سفّهت آراء كبار الأطباء في مرض القلب. غير أنّه حذّره
على كلّ حال عواقب الإجهاد الفكري والجسدي. وبناء على رأي الدكتور
الماطري وامتثالاً لرغبة والده عزم الشّابي على الزّواج. ولكن يبدو أن حياته
الزّوجيّة لم تبدأ فعلاً قبل عام ١٩٣٠.

لكنّ الشّابي، يبدو أنّه كان يحمل بذور مرضه منذ طفولته، فقد ازدادت

حالته الصحيّة تدهوراً بعد الزواج لأسباب متعددة: منها تطوّر المرض مع الزمن، ثمّ ضعف بنية الشّاعر، والأحوال السيّئة التي كانت تحيط به في حياته الطّالبيّة، ووفاة والده وحيبته الصّغيرة، وإهماله لنصائح الأطباء في الاعتدال في حياته الفكرية والجسديّة.

وقد عالج الشّابي مجموعة من أطباء القلب ومنهم الطبيب الفرنسي الدكتور كالو، وكانوا ينصحونه بالإقامة في الأماكن المعتدلة المناخ. ثمّ بدأت التّوبات القلبية الحادة تنتاب الشّاعر قبل أن يرزق ولده البكر في أواخر عام ١٩٣١. أمّا أخا الشّاعر محمد الأمين الشّابي فإنّه يروي للسّنوسي خبر نوبة انتابت الشّاعر عام ١٩٣٠ حيث يقول: « كان يعتلج من ضائقة صدرية من ذات القلب فزعت لها أمّه وزوجته (وأخوه) عندما كان أبو القاسم يخز لهم بعينين لا ترجوان معونة من أحد، إلّا من قلبه لو استعاد اتّزانه... نوبة دامت ساعتين يقلّب في أثناثهما وجهه ولا ينبس إلا بقطرات من العرق تتلألأ على وجهه بالجهد الذي تبذله الحياة لتحقيق وجودها. ونحن نشرب لنغيثه شيء يطلبه (ولا ندري ما هو)... ساعتين من هذا الفزع الجهيد تقريباً.... ثمّ هجعت النّوبة، إذ لان وجهه ورأينا عينيه تُطمئننا عن فوزه بالراحة. وبالفعل هيؤ^(١) وبدأ يسوّي ثيابه ورقبة قميصه. ثمّ تكلم منشراحاً صوته انشراح من حطّ وزره ونزع الحمل الجهيد، وبادرنا للاستجابة لأمره مغتبطين:

- أعطني ورقاً، والقلم من جيب فرملتي^(٢). (وأعطيناه ما طلب). فأخذ يكتب حالاً. أذكرها الآن، فهي هذه القصيدة:

يا إله الوجود، هذي جراح في فؤادي تشكو إليك الدّواهي

(١) هيؤ: صار حسن الهيئة.

(٢) الفرملة: صدار يلبس على القسم الأعلى من الجسم.

ولم يحسن الشّابي مداراة مرضه، بل استمرّ يرهق نفسه بما كان الأطباء قد نهوه عنه^(١).

وقضى الشّابي صيف ١٩٣٢ مستشفياً وراح ينتقل بين المصايف والمنتجعات، ولكنّ ذلك لم يُجده نفعاً. بل ساءت حاله في آخر عام ١٩٣٣ واشتدّت عليه الآلام فاضطرّ إلى ملازمة الفراش حتّى إذا مرّ الشتاء وأقبل الربيع حرّم عليه أطبّاءه الكتابة والمطالعة وطلبوا إليه أن ينتقل إلى «حامة توزر» طلباً للراحة وهي موضع فيه عين ماء حارّ تستشفى بها بعض العلل. وأخيراً أعيا الدّاء على التمرّض المنزلي، فغادر الشّابي إلى العاصمة حيث دخل مستشفى الطّليان في الثالث من تشرين الأول سنة ١٩٣٤ قبل وفاته فيها في التاسع منه عند الساعة الرابعة صباحاً من نهار الاثنين. ونقل جثمانه في أصيل ذلك اليوم إلى «توزر» ودفن فيها. وقد نال الشّابي بعد وفاته عناية كبرى، وتألّفت عام ١٩٤٦ لجنة لإقامة ضريح له نقل رفاته إليه باحتفال مهيب في الثالث عشر من شهر أيّار سنة ١٩٤٦ حضره جمع غفير من رجال العلم والأدب والسياسة.

٢ - ديوانه:

في صيف ١٩٣٤ شرع الشّابي في جميع ديوانه الذي أسماه «أغاني الحياة»، لكنّ المنية باغتته وحالت دون تحقيق ما هدف إليه. ويبدو أنّ الشّاعر أشرف شخصياً على اختيار الأشعار التي رضي أن يحتويها ديوانه. وقد تولى أخوه محمّد الأمين الشّابي طبع الديوان بعد وفاة الشّاعر. وما يلفت النّظر أنّ الشّابي كان على شيء من التّضحّج جعله ينجز ديوانه في مدى ثماني سنوات أو عشر على الأكثر، وهو على صغر سنّه شاعر مُكثّر، إذا قيس بأمثاله من الشعراء المعاصرين، حتّى أولئك الذين هم أكبر منه سنّاً.

(١) أبو القاسم الشّابي: زين العابدين السنوسي ص ٣٠.

في أحد مقالاته يصف الشّابي الشعر فيقول: «الشعر ما تسمعه وتبصره في ضجّة الرّيح، وهدير البحار، وفي نسمة الورد الحائرة يدمدم فوقها النّحل، ويرفرف حولها الفراش، وفي النغمة المردّدة يرسلها الفضاء الفسيح...». ويبدو من هذا التّحديد، أنّه ينطبق على الشعر الرومانطيسي حيث يعتمد الأديب على نفسيّته وحدها وعلى انفعالاته. وإذا شاءت الصّدْفُ أن يتأثر الأديب بما أو بمن حوله، فإنّه يضيف عليه ألواناً من ذاته تفقده كلّ موضوعيّة. ثم أنّ هذا التّحديد ينطبق على الأدب عامّة، كما ينطبق على كلّ أنواع الفنون، من الموسيقى الى الرّسم الى النحت...

والشّابي شاعر وجداني يندرج شعره في إطار المذهب الرومانطيسي حيث سعى الشّاعر الى تأكيد ذاته الشخصيّة في زمن كانت البيئة السياسيّة والاجتماعيّة تحاول سلب حرّيّة الفرد وخصوصيّته، تلك الذّات الفرديّة التي حاول الاستعمار في بلدان الشّرق أن يكفّرها عن المطالبة بحقوق بلدانها ورفقي شعوبها.

أمّا شعر الشّابي فإنّه يركّز في خصائصه اللفظيّة على ما أشاعته المدرسة الرّمزيّة آنذاك، خاصة على كتابات جبران خليل جبران وغيره من كتّاب الغرب. قال زين العابدين السّنوسي في معرض كلامه عن شعر صديقه الشّابي: «المكانة الأولى في الشعر (عنده) لمفعول رنّة الألفاظ وامتزاجها امتزاجاً موسيقياً غامضاً، هو منبع ما في الشعر من جمال وتأثير عميق وصور جذابة حتّى لتجد الصّورة المرئيّة تندمج مع اللّحن المسموع وتنضمّ إليه انضمام النظير للنّظير». فالغاب والضّباب والرّاعي النافخ في نايه والثلج كلّها أمور لم يعرفها الشّابي معرفة عميقة، ومع ذلك كانت أكثر الألفاظ دوراناً في شعره. وتتجلّى رمزيّة الشّاعر في مواقع متعدّدة من شعره نذكر منها على سبيل المثال:

ذلّ قلبي،
مات حبي^(١)!

فاذرفي، يا مقلّة اللّيل، الدّراري عبّراتُ
حول حبي، فهو قد ودّع آفاق الحياة
بعد أن ذاق اللّهيّب.

واندبني
واغسلني
بدموع الفجر من أكواب زهر الزّنبق.

٤ - أغراض شعره:

تدور أغراض شعره في الوجدانيّات وما يتبعها من تأمل في الذات والوجود،
وقد أبدى منذ البدء عزوفه عن نظم الشعر التقليدي وكان له موقف لا يبتعد كثيراً
عن موقف أدباء المهجر، ونفر من أدباء المشرق الذي سعوا الى سبيل الحياة
الغربيّة والتنفير من الحياة الشّرقية والى نفي كلّ عبقرية خلاقة في التراث العربي.
وقد أعلن مراراً أنّ شعره هو تعبير عن شعوره:

شعري نَفَائَةٌ صَدْرِي إِنَّ جَاشَ فِيهِ شَعُورِي
وكان وفيّاً بوعده إذ اقتصرت أغراضه في الديوان على التأمل في الوجود
ووصف الغابة، والزنبقة، والطّيور، والخريف، والمساء، والكآبة، والطفولة، والله،
والموت، والأمومة، والغزل والحبّ.

أما معانيه فإنّها تتدفّق حتّى تفيض أحياناً عن اللفظ، ذلك أنّ الشّاعر، لما
اكتفى بعدد معين من الموضوعات الوجدانيّة، كان عليه أن يكرّرها مراراً، ممّا
أوقعه في التّرديد المملّ الذي جعل القاريء يخلط بين قصائد الديوان، فحين

(١) الحبيّ: (بكسر الحاء) الحبيب.

يتكلم الشّابّي عن شعره يخاطبه قائلاً :

فيك ما في عوالمي من ظلامٍ سرمديّ، ومن صباحٍ وليدٍ
فيك ما في عوالمي من نجومٍ ضاحكاتٍ خلف الغمام الشّروِدِ
فيك ما في طفولتي من سلامٍ وابتسامٍ وغبطةٍ وسعودٍ

أمّا النّاحية الوطنيّة في شعر الشّابّي فقد أولاها الدّارسون عناية خاصّة، في حين أنّ هذه الناحية لم تشغل الشّاعر إلّا بطريقة ثانويّة جدّاً. وإذا كان الشّاعر قد افتتح ديوانه ببيتين جعل عنوانهما : « من وراء الظّلام » هما :

ضَيّع الدّهر مجدّ شعبي، ولكنْ ستردّ الحياةَ يوماً وشاحه
إنّ ذا عصرٌ ظلمةٍ، غير أنّي من وراء الظّلام شِمتُ صباحه
وإذا كانت قصيدته « إرادة الحياة » هي التي يَسُرّ له شهرة في الشّرق، يحسده عليها الشّعراء، فإنّ هذه الشّهرة تعود إلى البيتين الأوّلين من القصيدة وهما :

إذا الشّعب يوماً أراد الحياةَ فلا بدّ أن يستجيب القدرُ،
ولا بدّ لليل أن ينجلي ولا بدّ للقيّد أن ينكسرُ
ثم يأتي بعد هذين البيتين عشرة أبيات متفرّقة تتبع هذا النّمط في وصف النّضال السّياسي وفي الدّعوة الرّمزيّة إلى الطّموح والتّحرّر.

على أنّ سائر أبيات القصيدة تختلف كثيراً عن هذا النّمط وتغوص في رمزيّة لا تتفق مع أي مضمون سياسي أو نضالي مثل :

تسائل: أين ضبابُ الصّباحِ وسِحْرُ المساءِ وضوءُ القمرِ،
وأسرابُ ذاك الفراشِ الجميلِ ونحلّ يغنيّ وغيمٌ يمرّ؟

٥ - المرأة في شعره:

كانت المرأة نعيم الشّابي وجحيمة فغنى لها في كلّ مراحل حياته. وإذا كنا

قد ذكرنا شيئاً عن زواجه في تلك المقدمة، فسندرس في ما يلي حبّه خارج إطار العلاقة الزوجيّة. فقد انقسم الناس حول حبّ الشّاتيّ قسمين: أحدهما يرى أنّ الشّاعر يصف في غزله نساء من عالم الواقع، دعاه إلى وصفهنّ ميله إليهن في وقت كانت فيه نفسه منصرفة إلى الحياة، وكان يتمتّع بصحّة ونشاط، أو كان في هدنة مع مرضه. أمّا الفريق الآخر، فيرى أنّ الشّاتيّ خلق لنفسه مثلاً للمرأة وراح يتحدّث إليه، ملقياً عليه من خياله الشّيء الكثير.

وحول هذا الموضوع لا بدّ من العودة إلى كتاب زين العابدين السنوسي حيث يقول إنّ الشّاتيّ أحبّ رفيقة طفولته، وتغنّى بحبّها حبّاً عذرياً خالصاً. ثمّ ماتت تلك الحبيبة وهما في سنّ المراهقة، ماتت وتركته يندب الحبّ ويرثيها، إذ بقيت في نفسه حاضرة. وقد جاء هذا الشّعْر عذرياً، عند الشّاتيّ، في مستهلّ صباه، وذلك قبل أن يبلغ العشرين من عمره، كما جاء ضعيف الأسلوب بالمقارنة مع شعره الذي جاء فيما بعد. وكان يسيطر على هذا الشّعْر لون من الحزن والكآبة، والحنين:

مات من تهوى! وهذا اللّحد قد ضمّ الحبيب،
فابك، يا قلب، بما فيك من الحزن المذيب.

أمّا في الطّور الثّاني فقد أحبّ الشّاعر حبّاً صريحاً مادياً، وأحبّ نساءً بعينهنّ. ذلك أنّ الشّاعر نضج باكراً وانتقل في بيئة مغلقة إلى بيئة منفتحة، بعيدة كلّ البعد عن الرّقابة، وملئمة بالمغريات. فساهم ذلك في إذكاء الجانب الغريزيّ في نفسه. فقصيدته: «صلوات في هيكل الحبّ» لا يمكن إلّا أن تكون في فتاة بعينها حيث يقول فيه:

كلّما أبصرتك عيناى، تمشي	من بخطوٍ موقع كالشّيد
خفق القلب للحياة ورفّ الزّ	هرّ في حقل عمريّ المجرود
كلّ شيءٍ موقع فيك حتّى	لفتة الجيد واهتزاز النهود
خطوات سكرانة بالأناشيد	مدّ، وصوت كرجع ناي بعيد

أما قصيدة «السّاحرة» فهي بدورها وصف للقاء جرى بينه وبين امرأة، وتشكّل هذه القصيدة قصّة متكاملة لما تحتوي عليه من السّرد والوصف والحوار حيث نجد فيها الأبيات التّالية:

راعها منه صوته ووجوهه	وشجاها شحوبه وسهوه ^(١)
فأمرت كفاً على شعره العا	ري برفقٍ كأنها ستيمه
وأطلت بوجهها الباسم الحل	و على خده وقالت تلومه:
خلّ عبء الحياة عنك، وهيا	بمحيًا كالصّبح طلقٍ أديمه
واحتضني فلأنني لك حتّى	يتواري هذا الدّجى ونجومه
واقطف الورد من خدودي وجيدي	ونهودي، وافعل به ما ترومه...
والتقت عندهما الشّفاه، وغنت	قَبْلَ أَجفلت لديها همومه

أما، في قصيدته، «تحت الغصون»، فيصف الشّاعر خلوة كانت في منتهى الصّراحة، والنّزوع العاطفي، وجاءت وصفاً لمغامرة واقعية تعبّر عن رغبة مكبوتة عند الشّاعر، وسنورد بعض أبياتها للوقوف على التطوّر الشعري عنده، وليس لتتبّع علاقاته العاطفيّة، وفيها يقول:

ها هنا في خمائل الغاب تحت الزّ	ان والسّنديان والزّيتون
ما أرقّ الشّباب في جسمك الغضّ	ضٍ وفي جيدك البديع الثّمين
قَبْلاً علّمت فؤادي الأغاني	وأنارت له ظلام السّنين
أي خميرٍ رشفت، بل أيّ نارٍ	في شفاهٍ بديعة التّكوين
وسكرنا هناك في عالم الأح	لام، تحت السّماء، تحت الغصون
ونسينا الحياة والموت والكو	نَ وما فيه من منى ومنون

إنّ الغزل في هذه الأبيات حسّي مادّي، وإذا تركنا المعاني والصّور - وبعضها يمكن أن نحمله على المجاز - فلا بدّ من التّأكيد، في هذه القصيدة وفي غيرها،

(١) السّهوم: العبوس.

بأنّ تعابيره لا يمكن أن تؤخذ إلّا على سبيل العلاقة المادّيّة مثل: ورأينا النّهود تهتزّ... وابعثي في دمي الحرارة... واحتضني... قبليني... آه ما أعذب الغرام... خضمّ يموج بالإثم...

على أنّنا نبادر إلى التأكيد على أنّ غزله لا يمكن أن يُقارن بالغزل الروحي الذي رأيناه عند الصوفيّين أمثال ابن الفارض، وابن عربي وغيرهما، لأنّ تعابير الصوفيّة لا تنكشف انكشاف ألفاظ الشّابي، بل تشكّل مع غيرها من القصائد وحدة منسجمة متكاملة لا يمكن تجزئتها.

٦ - الطّبيعة في شعره:

يبقى أن نشير إلى أنّ للطّبيعة عند الشّابي حيّزاً بارزاً في ديوانه، غير أنّنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ وصف الطّبيعة لم يكن مقصوداً لذاته، بل أراد الشاعر من خلاله أن يربط بينه وبين أحواله النّفسيّة. ومن أبرز العوامل التي جعلت الشّابي يتعلّق بالطّبيعة، تنقله منذ نشأته الأولى مع أسرته في أماكن متعدّدة ذات مظاهر طبيعيّة مختلفة، ثمّ تنقله في أثناء مرضه الأخير بين المنتجعات الصّحيّة، طلباً للصيف البارد والشتاء الحارّ، أضف إلى ذلك اتّجاهه إلى الشّعر الرومانطيقي وانصرافه عن فنون الشّعر التقليديّة. وقد تجلّى حبّه للطّبيعة في قصيدته المشهورة «أغاني الرّعاة» التي نظمها في منطقة ريفيّة جبليّة جميلة، والتي مطلعها:

أقبل الصّبح يغنّي للحياة النّاعسة
والربّي تحلم في ظلّ الغصون المائسة

ثم تطلّ فكرة الطّبيعة مسيطرة عليه حتّى بعد أن دخل في آخر سنوات عمره، ويستبدّ به حبّ الطّبيعة وحبّ العيش في الجبال والغابات، منفرداً بعيداً عن النّاس، وعن هموم شعبه الذي حمل قضيتّه في مطلع شبابه، مستغنياً عن الكفاح وعن الرسالة التي نذر نفسه لها. وهو لا يكتفي بأن ينشد هذه الحياة لنفسه فقط، بسبب مرضه، بل راح يدعو الآخرين إلى هذه الحياة طالباً منهم أن يفعلوا فعله:

ليت لي أن أعيش في هذه الدنـ
أصرف العمر في الجبال وفي الغـ
أرقب الموت والحياة، وأصغي
لا أعني نفسي بأحزان شعبي
هذه عيشة تقدسها نفـ
يا سعيداً بوحدي وانفرادي
بات بين الصنوبر الميـ
لحديث الآزال والآباد
فهو حيّ يعيش عيش الجماد
سي وأدعو لمجدها وأنادي!

ويبقى أن نشير إلى أن عبقرية الشابي إنما هي في شعره الوجداني الذي يجري
على السليقة وأن عنصر التعبير عنده أهم من عنصر التفكير .

برحليون في ١٨/١٢/١٩٩٢

القِسْمُ الثَّانِي

رَبْعَةٌ (★)

(★) لقد رتبت قصائد الديوان بحسب القوافي، فقد أخذت في الاعتبار قافية البيت الأول منها، لكنني أثبتت في قافية الهاء كل القصائد التي ينتهي بيتها الأول بالهاء سواء كانت فيه رويًا أم غير روي.



أبو القاسم الشابي

إرادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
ولا بد لليل أن ينجلي
ومن لم يعانق شوق الحياة
جويل لمن لم تشق المساء
كذلك قالت لي الكائنات
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد للقبدر أن ينكسر
نبخر في جو ما، وأندثر
من صفة العدم المنصر
وحدثني روضها المستنير

وعدت الزئبق بين الفجاج.
إذا ما لمحت إلى غايي
ولم أجت وعور الشعاب
«كلم ومن لا يجت صعوة الجبال»
فبعث أبق الدهر بين الخمر،
فجئت بطلبي وماء الشباب
واهمرت، أصغي لقصة الهمود.
وعزف الهياج، ووقع المطر

نموذج من خط الشابي.



صورة الشابي عام 1930

قافية الهمزة

نشيد الجبار

أو هكذا غنى بُروميثيوس

[من الكامل]

- 1 -

سَأَعِيشُ رَغَمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ كالنَّسْرِ فوقَ القِمَّةِ الشَّمَاءِ^(١)
أُرْنُو إِلَى الشَّمْسِ المَضيئَةِ... هازئاً بالسُّحْبِ، والأمطارِ، والأنواءِ^(٢)
لَا أَرْمُقُ الظِّلَّ الكَثِيبَ... وَلَا أَرَى مَا فِي قَرَارِ الهُوَّةِ السَّوداءِ^(٣)
وَأَسِيرُ فِي دُنْيَا المِشَاعِرِ، حَالِماً، غَرِداً - وتلكَ سَعَادَةُ الشُّعْرَاءِ
أَصْغِي لِمُوسِيقَى الحَيَاةِ، وَوَحْيِهَا وَأَذِيبُ رُوحَ الكونِ فِي إنْشَائِي
وَأَصِيخُ لِلصَّوْتِ الإِلَهِيِّ، الَّذِي يُحْيِي بقلبي مَيِّتَ الأَصْدَاءِ^(٤)
وَأَقُولُ لِلقَدَرِ الَّذِي لَا يَنْشَنِي عَنْ حَرْبِ آمَالِي بِكُلِّ بَلَاءِ^(٥)
« لَا يُطْفِئُ اللَّهَبَ المَوْجِّعَ فِي دَمِي مَوْجُ الأَسَى، وعواصِفُ الأَرْزَاءِ »^(٦)
« فَاهْدُمْ فَوَادِي مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ مِثْلَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ »

(١) الشَّمَاءُ : الشَّامِخَةُ، العَالِيَةُ.

(٢) الأنواءُ : الأمطارُ.

(٣) رَمَقَ : نَظَرَ نَظْراً خَفِيفاً. قَرَارَ : قَعَرَ. الهُوَّةُ : الحَفْرَةُ العَمِيقَةُ.

(٤) أَصِيخُ : أَسْتَمِعُ.

(٥) يَنْشَنِي : يَنْصَرِفُ، يَكْفَى.

(٦) الأَرْزَاءُ : المِصَابِئُ.

- « لا يعرفُ الشَّكْوَى الذَّلِيلَةَ والبُكَاءَ ،
« ويعيشُ جَبَّاراً ، يحدِّقُ دائماً
« إملاً طريقي بالمخاوفِ ، والدُّجَى ،
« وانشرْ عليه الرُّعبَ ، وانشرْ فوقه
« سَاطِلُ أمشي رَغَمَ ذلكَ ، عازفاً
« أمشي بروحِ حالمٍ ، متوهِّجٍ
« النُّورِ في قلبي وبينَ جوانحي
« إني أنا النَّايُ الذي لا تنتهي
« وأنا الخِصَمُ الرُّحْبُ ، ليس تزيدهُ
« أمّا إذا خمدتَ حياتي ، وانقضى
« وخبا لهيبُ الكونِ في قلبي الذي
« فأنا السَّعيدُ بأنني متحوِّلٌ
« لأذوبَ في فجرِ الجمالِ السرمديِّ
« وأقولُ للجَمْعِ الَّذِينَ تجشَّموا
« ورأوا على الأشواكِ ظِلِّي هامِداً
« وغدوا يَشْبُونُ اللَّهيبَ بكلِّ ما
« ومضوا يَمْدُونُ الخُوَانَ ، ليأكلوا
- (٧) ضراعة : خضوع .
(٨) الحصباء : الحجارة الصغيرة .
(٩) الرُّجْمُ : الشُّهْبُ تظهر في السَّمَاءِ . البأساء : الفقر والمشقة .
(١٠) نائي : ربما كانت ما ينوء به الشاعر من مصاعب الحياة .
(١١) خبا : خمد وهدأ .
(١٢) الآثام : الخطايا والذنوب .
(١٣) تجشَّم : تكلَّف على مشقة .
(١٤) الدِّمَاءُ : بقيَّة الرُّوح .
(١٥) شَبَّ : أوقد النَّار . الأشلاء : القطع من اللحم .
(١٦) الخوان : طبق الطَّعام . ارتشف : امتصَّ بشفتيه .

إِنِّي أَقُولُ - لَهُمْ - وَوَجْهِي مُشْرِقٌ
 «إِنَّ الْمَعَاوِلَ لَا تَهْدُ مُنَاكِبِي
 «فَارْمُوا إِلَى النَّارِ الْحَشَائِشَ...، وَالْعَبَا
 «وَإِذَا تَمَرَّدَتِ الْعَوَاصِفُ، وَانْتَشَى
 «وَرَأَيْتُمُونِي طَائِرًا، مَتَرْنِمًا
 «فَارْمُوا عَلَى ظِلِّي الْحِجَارَةَ، وَاخْتَفُوا
 «وَهَنَّاكَ، فِي أَمْنِ الْبُيُوتِ، تَطَارَحُوا
 «وَتَرْتَّمُوا - مَا شِئْتُمْ - بِشَتَائِمِي
 «أَمَّا أَنَا فَأَجْبِيكُمْ مِنْ فَوْقَكُمْ
 «مَنْ جَاشَ بِالْوَحْيِ الْمُقَدَّسِ قَلْبُهُ

وَعَلَى شِفَاهِي بَسْمَةٌ اسْتَهْزَاءُ
 وَالنَّارَ لَا تَأْتِي عَلَى أَعْضَائِي» (١٧)
 يَا مَعْشَرَ الْأَطْفَالِ تَحْتَ سَمَائِي
 بِالْهَوْلِ قَلْبُ الْقَبَةِ الزَّرْقَاءِ» (١٨)
 فَوْقَ الزَّوَارِعِ، فِي الْفَضَاءِ النَّائِي» (١٩)
 خَوْفَ الرِّيحِ الْهَوِجِ وَالْأَنْوَاءِ...
 غَثَّ الْحَدِيثِ، وَمَيَّتَ الْآرَاءِ» (٢٠)
 وَتَجَاهَرُوا - مَا شِئْتُمْ - بِعِدَائِي
 وَالشَّمْسُ وَالشَّفَقُ الْجَمِيلُ إِزَائِي:»
 لَمْ يَحْتَفِلْ بِحِجَارَةِ الْفَلَتَاءِ» (٢١)

أَيُّهَا الْحُبُّ

- 2 -

[من الخفيف]

وَهُمُومِي، وَرَوَعَتِي، وَعَنَائِي
 وَسَقَامِي، وَلَوَعَتِي، وَشَقَائِي (١)

أَيُّهَا الْحُسْبُ أَنْتَ سِرٌّ بِلَائِي
 وَنُحُولِي، وَأَذْمُعِي، وَعَذَابِي

★ ★ ★

وَحَيَاتِي، وَعِزَّتِي وَإِبَائِي

أَيُّهَا الْحُبُّ! أَنْتَ سِرٌّ وَجُودِي

(١٧) المناكب: الأكتاف.

(١٨) انتشى: بدأ يسكر. الهول: الأمر الشديد. القبة الزرقاء: كناية عن السماء.

(١٩) النَّائِي: البعيد.

(٢٠) تَطَارَحُوا: تبادلوا. الغث: الرديء الفاسد.

(٢١) جاش: هاج وتدفق.

(١) النحول: الضعف، وكان الشاعر نحيل الجسم.

وَشُعَاعِي مَا بَيْنَ دَيْجُورٍ دَهْرِي
يَا سَلَاَفَ الْفُؤَادِ! يَا سُمَّ نَفْسِي
أَلْهَيْبٌ يَتُورُ فِي رَوْضَةِ النَّفْسِ
وَأَلْفِي، وَقُرَّتِي، وَرَجَائِي^(٢)
فِي حَيَاتِي يَا شِدَّتِي! يَا رَخَائِي^(٣)
فَيَطْفَعِي، أَمْ أَنْتَ نُورُ السَّمَاءِ؟

★ ★ ★

أَيُّهَا الْحُبُّ قَدْ جَرَعْتُ بِكَ الْحُزَّ
فَبِحَقِّ الْجَمَالِ، يَا أَيُّهَا الْحُ
لَيْتَ شِعْرِي! يَا أَيُّهَا الْحُبُّ، قُلْ لِي:
نَ كُؤُوسًا، وَمَا اقْتَنَصْتُ ابْتِغَائِي^(٤)
بُ حَنَانِيكَ بِي! وَهَوْنٌ بِلَائِي^(٥)
مِنْ ظَلَامٍ خُلِقْتَ، أَمْ مِنْ ضِيَاءِ؟

(٢) ديجور : ظلام. القرّة : ما يُسرّ به الإنسان ويعطمش.

(٣) السّلاف من الشّيء : خالصة.

(٤) اقتنصت ابتغائي : نلت غايتي.

(٥) حنانيك : تحنن عليّ وترأف بي.

قافية الباء

يا شعر

[من الكامل]

- 3 -

يَا شِعْرُ أَنْتَ فَمُ الشُّعُورِ، وَصَرَخَةُ الرُّوحِ الْكَيْسِبِ
يَا شِعْرُ أَنْتَ صَدَى نَحِيبِ الْقَلْبِ، وَالصَّبِّ الْغَرِيبِ^(١)

★ ★ ★

يَا شِعْرُ أَنْتَ مَدَامَعٌ عَلَقْتَ بِأَهْدَابِ الْحَيَاةِ
يَا شِعْرُ أَنْتَ دَمٌّ، تَفَجَّرَ مِنْ كُلِّ لُومِ الْكَائِنَاتِ^(٢)

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! قَلْبِي - مِثْلَمَا تَدْرِي - شَقِيٌّ، مُظْلَمٌ
فِيهِ الْجِرَاحُ، النَّجْلُ، يَقْطُرُ مِنْ مَغَاوِرِهَا الدَّمُّ^(٣)

★ ★ ★

جَمَدَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ أَرْزَاءُ الْحَيَاةِ الْعَابِسَةِ^(٤)

(١) الصَّبِّ: العاشق.

(٢) كلوم: جراح.

(٣) النجل: الواسعة، العميقة.

(٤) أَرْزَاءُ: مصائب. والهاء في شفتيه تعود إلى «القلب».

فَهُوَ التَّعِيسُ، يُذِيبُهُ نَوْحُ الْقُلُوبِ الْبَائِسَةِ

★ ★ ★

أَبْدًا يَنْوَحُ بِحُرْقَةٍ، بَيْنَ الْأَمَانِي الْهَائِيَةِ
كَالْبُبُلِ الْغَرِيدِ مَا بَيْنَ الزُّهُورِ الدَّائِيَةِ^(٥)

★ ★ ★

كَمْ قَدْ نَضَحْتُ لَهُ بِأَنْ يَسْأَلُو، وَكَمْ عَزَّيْتُهِ
فَأَبَى، وَمَا أَصْنَى إِلَى قَوْلِي، فَمَا أَجْدَيْتُهُ^(٦)

★ ★ ★

كَمْ قُلْتُ: «صَبْرًا يَا فُؤَادُ! أَلَا تَكْفُ عَنْ النَّحِيبِ؟»
«فَإِذَا تَجَلَّدَتِ الْحَيَاةُ تَبَدَّدَتْ شُعْلُ اللَّهَيْبِ»^(٧)

★ ★ ★

«يَا قَلْبُ!» «لَا تَجْزَعُ أَمَامَ تَصَلُّبِ الدَّهْرِ الْهَاصُورِ»^(٨)
«فَإِذَا صَرَخْتَ تَوْجَعًا هَزَّاتَ بِصَرَخَتِكَ الدُّهُورُ»

★ ★ ★

«يَا قَلْبُ! لَا تَسْخُطْ عَلَى الْأَيَّامِ، فَالزَّهْرُ الْبَدِيعُ»
«يُصْنِغِي لَضَجَّاتِ الْعَوَاصِفِ قَبْلَ أَنْغَامِ الرَّبِيعِ»

★ ★ ★

«يَا قَلْبُ! لَا تَقْنَعْ بِشَوْكِ الْيَاسِ مِنْ بَيْنِ الزُّهُورِ»

(٥) الدَّائِيَةُ: الدَّابَّةُ.

(٦) أَجْدَيْتُهُ: نَفَعْتُهُ. يَمَيِّزُ الشَّاعِرُ بَيْنَ صَوْتِ عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ.

(٧) تَجَلَّدَتْ: صَبَرَتْ.

(٨) الْهَاصُورُ: الَّذِي يَنْتَهِرُ عَلَى فَرَسَتِهِ.

« فَوَرَاءَ أَوْجَاعِ الْحَيَاةِ عُذُوبَةُ الْأَمَلِ الْجُسُورِ »^(٩)

★ ★ ★

« يَا قَلْبُ! لَا تَسْكُبْ دُمُوعَكَ بِالْفَضَاءِ فَتَنْدَمَ »
« فَعَلَى ابْتِسَامَاتِ الْفَضَاءِ قَسَاوَةُ الْمُتَهَكِّمِ »

★ ★ ★

لَكِنَّ قَلْبِي وَهُوَ - مُخْضَلُّ الْجَوَانِبِ بِالدُّمُوعِ^(١٠)
جَاشَتْ بِهِ الْأَحْزَانُ، إِذْ طَفَحَتْ بِهَا تِلْكَ الصَّدُوعُ^(١١)

★ ★ ★

يَبْكِي عَلَى الْحُلُمِ الْبَعِيدِ بِلَوْعَةٍ، لَا تَنْجَلِي
غَرْدًا، كَصَدَاحِ الْهَوَاتِفِ فِي الْفَلَا، وَيَقُولُ لِي:^(١٢)

★ ★ ★

« طَهَّرْ كُلُّوْمَكَ بِالدُّمُوعِ، وَخَلِّهَا، وَسَيِّلَهَا »^(١٣)
« إِنَّ الْمَدَامِيعَ لَا تَضِيْعُ حَقِيرَهَا وَجَلِيلَهَا »

★ ★ ★

« فَمِنْ الْمَدَامِيعِ مَا تَدْفَعُ جَارِفًا حَسَكَ الْحَيَاةُ »^(١٤)
« يَرْمِي لَهَاوِيَةِ الْوُجُودِ بِكُلِّ مَا يَبْنِي الطُّغَاةُ »

★ ★ ★

(٩) الجسور: الشجاع. ما زال في نفس الشاعر بقية من الأمل ومن الإيمان.

(١٠) مخضل: ندي، مبتل.

(١١) جاش: هاج. الصدوع: الشقوق.

(١٢) الهواتف: الأصوات تسمع دون أن يرى صاحبها. الفلا: الغلاة، الصحراء الواسعة.

(١٣) الكلوم: الجروح. دموع الشاعر هي دواء لأوجاعه.

(١٤) الحسك: العداوة والحقد.

« وَمِنْ الْمَدَامِيعِ مَا تَأَلَّقَ فِي الْغَيَاهِبِ كَالنُّجُومِ »^(١٥)
« وَمِنْ الْمَدَامِيعِ مَا أَرَاكَ النَّفْسَ مِنْ عَبْءِ الْهُمُومِ »

★ ★ ★

فَارْحَمِ تَعَاسَتَهُ، وَنُحْ مَعَهُ عَلَى أَحْلَامِهِ
فَلَقَدْ قَضَى الْحُلُمُ الْبَدِيعُ عَلَى لَطْفِ الْأَمِ

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! يَا وَحْيَ الْوُجُودِ الْحَيِّ، يَا لُغَةَ الْمَلَايِكِ
غَرَّدَ، فَأَيَّامِي أَنَا تَبْكِي عَلَى إِيقَاعِ نَايِكِ

★ ★ ★

رَدَّدَ عَلَى سَمْعِ الدَّجَى أَنْتَ قَلْبِي الْوَاهِيَّةُ^(١٦)
وَأَسْكَبَ بِأَجْفَانِ الزُّهُورِ دُمُوعَ قَلْبِي الدَّامِيَّةِ

★ ★ ★

فَلَعَلَّ قَلْبَ اللَّيْلِ أَرْحَمُ بِالْقُلُوبِ الْبَاكِئَةِ
وَلَعَلَّ جَفْنَ الزَّهْرِ أَحْفَظُ لِلدُّمُوعِ الْجَارِيَةِ

★ ★ ★

كَمْ حَرَكْتَ كَفَّ الْأَسَى أَوْتَارَ ذِيَاكَ الْحَنِينِ
فَتَهَامَلْتُ أَحْزَانَ قَلْبِي فِي أَغَارِيدِ الْأَنِينِ^(١٧)

★ ★ ★

(١٥) الغياهب: الظلمات.

(١٦) الدجى: الظلام. الواهية: الضعيفة.

(١٧) تهاملت: تركت وأهملت. لم يبق إلا الطبيعة يمكنه أن يبثها شكواه، أو الليل يمكن أن يرحم قلبه المعذب.

فَلَكُمْ أَرْقَتْ مَدَامَعِي، حَتَّى تَقَرَّحَتِ الْجُفُونُ
ثُمَّ التَفَّتْ، فَلَمْ أَجِدْ قَلْبًا يُقَاسِمُنِي الشُّجُونُ

★ ★ ★

فَعَسَى يَكُونُ اللَّيْلُ أَرْحَمَ، فَهُوَ مِثْلِي يَنْدُبُ
وَعَسَى يَصُونُ الزَّهْرُ دَمْعِي، فَهُوَ مِثْلِي يَسْكُبُ

★ ★ ★

قَدْ قَنَعْتُ كَفَّ الْمَسَاءِ الْمَوْتَ بِالصَّمْتِ الرَّهِيْبِ،^(١٨)
فَعَدَا كَأَعْمَاقِ الْكُهُوفِ، بِلَا ضَجِيجٍ أَوْ وَجِيبٍ^(١٩)

★ ★ ★

يَأْتِي بِأَجْنَحَةِ السُّكُونِ، كَأَنَّهُ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ
لَكِنَّ طَيْفَ الْمَوْتِ قَاسٍ، وَالذُّجَى طَيْفٌ رَحِيمٌ

★ ★ ★

مَا لِلْمَنِيَّةِ لَا تَرْقُ عَلَى الْحَيَاةِ النَّائِحَةِ؟
سَيِّانٍ أَفْنَدَةً، تَيْئِنٌ، أَوْ الْقُلُوبُ الصَّادِحَةُ^(٢٠)

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! هَلْ خُلِقَ الْمُنُونُ بِلَا شَعْوٍ كَالْجَمَازِ؟^(٢١)
لَا رَعَشَةً تَعْرُو يَدَيْهِ إِذَا تَمَلَّقَهُ الْفُوَازُ؟^(٢٢)

★ ★ ★

(١٨) قَنَعْتُ: أَلْبَسْتُ الْقِنَاعَ.

(١٩) الْوَجِيبُ: الْارْتِجَافُ وَالْخَفْقَانُ.

(٢٠) سَيِّانٍ: مُتَسَاوِيَانِ. صَدَحَ: رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْغَنَاءِ.

(٢١) الْمُنُونُ: الْمَوْتُ. يَبْلُغُ ذُرُوءَ الْيَأْسِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ.

(٢٢) تَعْرُو: تُصِيبُ.

أَرَأَيْتَ أَزْهَارَ الرَّيِّيعِ ، وَقَدْ ذَوَتْ أَوْرَاقُهَا (٢٣)
فَهَرَّتْ إِلَى صَدْرِ التُّرَابِ ، وَقَدْ قَضَتْ أَشْوَاقُهَا؟ (٢٤)

★ ★ ★

أَرَأَيْتَ شُخْرُورَ الْفَلَا ، مُتَرَتِّمًا بَيْنَ الْغُصُونِ
جَمَدَ النَّشِيدِ بِصَدْرِهِ ، لَمَّا رَأَى طَيْفَ الْمُنُونِ؟

★ ★ ★

فَقَضَى ، وَقَدْ غَاضَتْ أَغَارِيدُ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ (٢٥)
وَهَوَى مِنْ الْأَغْصَانِ ، مَا بَيْنَ الزُّهُورِ الْبَاسِرَةِ؟ (٢٦)

★ ★ ★

أَرَأَيْتَ أُمَّ الطِّفْلِ تَبْكِي ذَلِكَ الطِّفْلَ الْوَحِيدَ
لَمَّا تَنَاوَلَهُ ، بِعُنْفٍ ، سَاعِدُ الْمَوْتِ الشَّدِيدِ؟

★ ★ ★

أَسَمِعْتَ نَوْحَ الْعَاشِقِ الْوَلَهَّانِ ، مَا بَيْنَ الْقُبُورِ
يَبْكِي حَبِيبَتَهُ؟ فَيَا لِمَصَارِعِ الْمَوْتِ الْجَسُورِ!

★ ★ ★

طَفَحَتْ بِأَعْمَاقِ الْوُجُودِ سَكِينَةُ الصَّبْرِ الْجَلِيدِ (٢٧)
لَمَّا رَأَى عَدْلَ الْحَيَاةِ يَضُمُّهُ اللَّحْدُ الْكُنُودُ (٢٨)

(٢٣) ذَوَتْ: ذبلت.

(٢٤) هَرَّتْ: هرات (مخففة)، أي اشتد عليها البرد فقتلها.

(٢٥) غاض: ذهب في الأرض وغاب، وأصله في الماء.

(٢٦) الباسرة: النبتة أول ظهورها.

(٢٧) طفح: امتلأ وفاض.

(٢٨) الكنود: الذي يلحق المصائب بالناس. إن الشاعر يشك بالعدالة في هذا الكون. وقد بلغ في هذه القصيدة منتهى التشاؤم بالوجود.

فَتَدَفَّقَتْ لَحْنًا، يُرَدِّدُهُ عَلَى سَمْعِ الدُّهُورِ
صَوْتُ الْحَيَاةِ بِضَجَّةٍ...، تَسْعَى عَلَى شَفَاةِ الْبُحُورِ

★ ★ ★

يَا شِعْرًا! أَنْتَ نَشِيدُ أَمْوَاجِ الْخِضَمِّ السَّاحِرَةِ^(٢٩)
النَّاصِعَاتِ، الْبَاسِمَاتِ، الرَّاقِصَاتِ، الطَّاهِرَةِ

★ ★ ★

السَّافِرَاتِ، الصَّادِحَاتِ مَعَ الْحَيَاةِ إِلَى الْأَبَدِ^(٣٠)
كَعَرَائِسِ الْأَمَلِ الضَّحُوكِ، يَمْسُنَ مَا طَالَ الْأَمَدُ^(٣١)

★ ★ ★

هَآ إِنَّا أَزْهَارَ الرَّبِيعِ تَبَسَّمَتْ أَكْمَامُهَا
تَرْنُو إِلَى الشَّفَقِ الْبَعِيدِ، تَغُرُّهَا أَحْلَامُهَا

★ ★ ★

فِي صَدْرِهَا أَمَلٌ، يَحْدَقُ نَحْوَ هَاتِيكَ النُّجُومِ
لَكِنَّهُ أَمَلٌ، سَتَلْحِذُهُ جَبَابِرَةُ الْوُجُومِ^(٣٢)

★ ★ ★

فَلَسَوْفَ تُغْمِضُ جَفْنَيْهَا، عَنْ كُلِّ أَضْوَاءِ الْحَيَاةِ
حَيْثُ الظَّلَامُ مَخِيَمٌ فِي جَوْ دَيَّاسِكَ السُّبَاتِ^(٣٣)

★ ★ ★

(٢٩) الخضم: البحر.

(٣٠) السافرات: الكاشفات عن وجوههن.

(٣١) يمسن: من ماس، اختال في مشيته.

(٣٢) ستلحذه: ستقبه. الوجوم: الامتناع عن الكلام.

(٣٣) السبات: النوم.

هَـا إِنِّهَا هَمَسَتْ بِأَذَانِ الْحَيَاةِ غَرِيْدَهَا
قَتَلْتُ عَصَافِيْرُ الصَّبَاحِ صُدَاحَهَا وَنَشِيْدَهَا (٣٤)

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! أَنْتَ نَشِيْدُ هَاتِيْكَ الزُّهُورِ الْبَاسِمَةِ
يَا لَيْتَنِي مِثْلُ الزُّهُورِ، بِلَا حَيَاةٍ وَاجِمَةِ

★ ★ ★

إِنَّ الْحَيَاةَ كَثِيْبَةٌ، مَغْمُورَةٌ بِدُمُوعِهَا!!
وَالشَّمْسُ أَضْجَرَهَا الْأَسَى، فِي صَحْوِهَا وَهَجُوعِهَا (٣٥)

★ ★ ★

فَتَجَرَّعْتُ كَأْساً دِهَاقاً، مِنْ مُشْغَعَةِ الشَّفَقِ (٣٦)
فَتَمَايَلْتُ، سَكْرَى إِلَى كَهْفِ الْحَيَاةِ.. وَلَمْ تُفِقْ

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! أَنْتَ نَحِيْبُهَا لِمَا هَوَتْ لِسْبَاتِهَا
يَا شِعْرُ أَنْتَ صُدَاحُهَا، فِي مَوْتِهَا وَحَيَاتِهَا (٣٧)

★ ★ ★

أَنْظُرْ إِلَى شَفَقِ السَّمَاءِ، يَفِيْضُ عَنْ تِلْكَ الْجِبَالِ
بِشُعَاعِهِ الْخَلَابِ، يَغْمُرُهَا بِسَمَاتِ الْجَمَالِ

★ ★ ★

(٣٤) الصَّدَاحُ: رَفَعِ الصَّوْتُ بِالْغَنَاءِ .

(٣٥) الْهَجُوعُ: نَوْمُ اللَّيْلِ .

(٣٦) دِهَاقٌ: مَمْتَلِئَةٌ، طَافِحَةٌ .

(٣٧) لَمْ يَبْقَ لِلشَّاعِرِ إِلَّا شِعْرُهُ يَبْتَهُ لَوَاعِجِ نَفْسِهِ .

فَيُثِيرُ فِي النَّفْسِ الْكَيْبَةَ عَاصِيفًا لَا يَرُكِّدُ
وَيُوجِّجُ الْقَلْبَ الْمُعَذَّبَ شُعْلَةً لَا تَحْمُدُ

★ ★ ★

يَا شِعْرُ! أَنْتَ جَمَالُ أَضْوَاءِ الْغُرُوبِ السَّاحِرَةِ
يَا هَمْسَ أَمْوَاجِ الْمَسَاءِ، الْبَاسِمَاتِ الْحَائِرَةِ

★ ★ ★

يَا نَايَ أَحْلَامِي الْحَبِيبَةِ! يَا رَفِيقَ صَبَابَتِي^(٣٨)
لَوْلَاكَ مَتُّ بِلَوْعَتِي، وَبِشِقْوَتِي، وَكَاتِبَتِي^(٣٩)

★ ★ ★

فِيكَ أَنْطَوْتُ نَفْسِي، وَفِيكَ نَفَخْتُ كُلَّ مَشَاعِرِي
فَأَصْدَحُ عَلَى قِمَمِ الْحَيَاةِ بِلَوْعَتِي، يَا طَائِرِي^(٤٠)

نشيد الأسي

[من مجزوء الكامل] - 4 -

يَا لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لِلَّيْلِ النَّفْسُ مِنْ صُبْحٍ قَرِيبٍ؟
فَتَقَرَّ عَاصِفَةُ الظَّلَامِ، وَيَهْجَعُ الرَّعْدُ الْغَضُوبُ^(١)
وَيُرْتَّلَ الْإِنْسَانُ أَغْنِيَةً مَعَ الدُّنْيَا، طُرُوبُ

★ ★ ★

(٣٨) الصَّبَابَةُ: رَقَّةُ الْحُبِّ.

(٣٩) الشَّقْوَةُ: الشَّقَاءُ.

(٤٠) يقول إنَّ شعره هو تعبير عن مأساته في هذا الكون الغريب.

(١) يهجع: يرقد، ينام.

مَا لِلرِّيَّاحِ تَهَبُّ فِي الدُّنْيَا، وَيَدْرِكُهَا اللَّغُوبُ^(٢)
 إِلَّا رِيَّاحِي، فَهِيَ جَامِحَةٌ، تَمَرُدُّهَا عَصِيبُ؟
 مَا لِي تُعَذِّبُنِي الْحَيَاةُ كَأَنَّنِي خُلِقَ غَرِيبُ؟
 وَتَهْدُ مِنْ قَلْبِي الْجَمِيلِ؟ فَهَلْ لِقَلْبِي مِنْ ذُنُوبِ؟
 وَإِذَا سَأَلْتُ: «لِمَ الْوُجُودُ، وَكُلُّهُ هَمٌّ مُذِيبُ؟»
 قَالَتْ: «نَوَامِيسُ السَّمَاءِ قَضَتْ، وَمَا لَكَ مِنْ هُرُوبِ؟»^(٣)
 آهٍ عَلَى قَلْبِي! وَإِنْ شَقِيتُ كَشَقَوْتِهِ قُلُوبُ
 أَنْقَى مِنْ الْمَوْجِ الْوُضِيِّ، وَمِنْ نَشِيدِ الْعَنَدَلِيبِ
 لَمْ تَقْتَرِفْ إِثْمَ الْحَيَاةِ، وَكَانَ مَأْوَاهَا اللَّهَيْبُ

★ ★ ★

يَا مُهْجَةَ الْغَابِ الْجَمِيلِ أَلَمْ يُصَدِّعْكَ النَّحِيبُ؟
 يَا وَجْنةَ الْوَرْدِ الْأَنِيقِ أَلَمْ تَشَوْهَكَ النَّدُوبُ؟
 يَا جَدُولَ الْوَادِي الطَّرُوبِ أَلَمْ يُرْتَقِكَ الْقُطُوبُ؟^(٤)
 يَا غَيْمَةَ الْأَفُقِ الْخَضِيبِ أَلَمْ تُمَزِّقْكَ الْخُطُوبُ؟
 يَا كَوَكِبَ الشَّفَقِ الضَّحُوكِ أَمَا أَلَمَ بِكَ الشُّحُوبُ؟^(٥)
 هَا أَنْتَ ذَا فِي الْأَفُقِ تَضْحَكُ، لَا تَهَمُّ، وَلَا تَخِيبُ
 تُلْقِي عَلَى قُنَنِ الْجِبَالِ رِداءً لِأَلَاءِ قَشِيبِ^(٦)
 لِنَنَامَ أَوْرَادُ الْجِبَالِ الشُّمِّ، فِي مَهْدٍ عَجِيبِ^(٧)
 وَلَكِي تَغْنِيكَ الْجَدَاوِلُ لَحْنَهَا الْعَذْبَ الْحَيِيبُ

(٢) اللغوب: الضعف والحمافة.

(٣) نواميس: قوانين. إنه يستسلم لمشينة الأقدار.

(٤) رنق: كدر.

(٥) الشحوب: الاصفرار.

(٦) اللألاء: الضوء.

(٧) أورداد: جمع ورد، وهو السرب من الطيور.

وَتَرَى جَمَالَكَ مِنْ بَنَاتِ الْغَابِ مِعْطَارًا، لَعُوبُ
 مَعْشُوقَةٍ، فِي فَرْعِهَا تَاجٌ مِنَ الْوَرْدِ الْخَضِيبِ
 تَتَلَوُ أَنَاشِيدَ الرَّبِيعِ، كَأَنَّهَا نَجْوَى الْقُلُوبِ
 يَا كوكبَ الشَّفَقِ الضَّحُوكِ! وَأَنْتَ مَبْتَهَلُ الْكَيْسِ
 لُحْ فِي السَّمَاءِ! وَغَنُّ أَبْنَاءِ الشَّقَاوَةِ وَالْخُطُوبِ
 أَنْشُودَةٌ تَهْبُ الْعِزَاءَ لِكُلِّ مُبْتَسِرٍ غَرِيبِ
 فَالطَّيْرُ قَدْ أَغْفَتَ، وَأَسْكَتَ صَوْتُهَا اللَّيْلُ الْهَيُوبُ^(٨)
 وَابْسَطْ جَنَاحَكَ فِي الْوُجُودِ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ، خُلُوبٌ
 مُتَأَلِّقٌ بَيْنَ النُّجُومِ، كَأَنَّهُ حُلْمٌ طَرُوبٌ
 وَانْشُرْ ضِيَاءَكَ سَاطِعًا، لِيُنِيرَ أَعْمَاقَ الْقُلُوبِ
 فَعَلَى جَوَانِبِهَا مِنَ الْأَحْزَانِ دِيَجُورٌ رَهِيْبٌ^(٩)



مَا لِلْمِيَاهِ نَقِيَّةٍ حَوْلِي، وَيُنْبُوعِي مَشُوبٌ؟^(١٠)
 مَا لِلصَّبَاحِ يَعُودُ لِلدُّنْيَا، وَصُبْحِي لَا يَكُونُ؟^(١١)
 مَا لِي يَضِيقُ بِي الْوُجُودُ، وَكُلُّ مَا حَوْلِي رَحِيبٌ؟
 مَا لِي وَجَمْتُ وَكُلُّ مَا فِي الْغَابِ مُغْتَرِدٌ طَرُوبٌ؟
 مَا لِي شَقِيتُ، وَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ أَخَذَ عَجِيبٌ:
 فِي الْأَرْضِ أَقْدَامُ الرَّبِيعِ تُلَامِسُ السَّهْلَ الْجَدِيدِ
 فَإِذَا بِهِ يَحْيَا، وَيُنْبِتُ رَائِقَ الزَّهْرِ الرَّطِيبِ
 وَهَنَّاكَ أَنْوَارُ النَّهَارِ تُطِلُّ مِنْ خَلْفِ الْغُرُوبِ

(٨) الهيوب: المهيب، المخيف.

(٩) ديجور: ظلام.

(١٠) مشوب: معتكر.

(١١) يؤوب: يعود، يرجع.

فَتُخَضَّبُ الأمواج، والآفاق، والجَبَلُ الخَضِيبُ^(١٢)
 إِنَّ الوجودَ الرَّحْبَ، والغاباتِ، والأفُقَ الخَضِيبُ
 لَمْ تَخُبْ أشواقَ الحياةِ بِهَا، فَعَادَرَهَا القُطُوبُ
 أما أنا ففَقَدْتُهَا، واللَّيْلُ مُرَبِّدٌ، رَهِيْبٌ^(١٤)
 والريْحُ تَعْصِفُ بالورود...، فَعِشْتُ سُخْرِيَةَ الخُطُوبِ..

★ ★ ★

مَهْمَا تَضَاكَتِ الحياةُ فَإِنِّي أَبْدَأُ كَثِيبُ
 أَصْغِي لأوجاعِ الكآبةِ، والكآبةُ لَا تُجِيبُ
 فِي مَهْجَتِي تَتَأَوَّهَ البَلَوَى، وَيَعْتَلِجُ النَّحِيبُ^(١٥)
 وَيَضُجُّ جَبَّارُ الأَسَى، وَتَجِيشُ أمواجُ الكُرُوبِ
 إِنِّي أَنَا الرُّوحُ الَّذِي سَيَظَلُّ فِي الدُّنْيَا غَرِيبُ
 وَيَعِيشُ مُضْطَلِعاً بِأَحْزَانِ الشَّيْبَةِ وَالْمَشِيبِ^(١٦)

الكآبة المجهولة

[من المسرح]

— 5 —

أَنَا كَثِيبُ،

أَنَا غَرِيبُ،

(١٢) تخضَّب: تصبغ.

(١٣) تخبو: تهدأ، تسكن.

(١٤) مربدّ: مغبرّ.

(١٥) يعتلج: يتضارب، يتلاطم.

(١٦) مضطلعاً: محتملاً.

كَاتِبِي خَالَفَتْ نَظَائِرَهَا^(١)
 غَرِيبَةً فِي عَوَالِمِ الْحَزَنِ
 كَاتِبِي فِكْرَةٌ مَغْرَدَةٌ
 مَجْهُولَةٌ مِنْ مَسَامِعِ الزَّمَنِ
 لَكِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَنَّتَهَا
 بِمُهَجَّتِي، فِي شَبَابِي الثَّمَلِ^(٢)
 سَمِعْتُهَا، فَأَنْصَرَفْتُ مُكْتَبَا
 أَشْدُو بِحُزْنِي، كَطَائِرِ الْجَبَلِ
 سَمِعْتُهَا أَنَّةً يَرْجَعُهَا
 صَوْتُ اللَّيَالِي، وَمُهَجَّةُ الْأَزَلِ^(٣)
 سَمِعْتُهَا صَرَخَةً مُضْغَضَةً^(٤)
 كَجَدُولٍ فِي مَضَايِقِ السُّبُلِ
 سَمِعْتُهَا رَنَّةً، يَعَانِقُهَا
 شَوْقٌ إِلَى عَالَمٍ يُضْغَضُهَا
 ضَعِيفَةٌ مِثْلَ أَنَّةٍ صَعِدَتْ
 مِنْ مُهَجَّةٍ هَدَاهَا تَوَجُّعُهَا
 كَابَةُ النَّاسِ شُعْلَةٌ، وَمَتَى
 مَرَّتْ لِيَالٍ خَبَتْ مَعَ الْأَمَدِ^(٥)
 أَمَا اكِتَابِي فَلَوْعَةٌ سَكَنْتْ
 رُوحِي، وَتَبَقَى بِهَا إِلَى الْأَبَدِ

-
- (١) نظائرها: مثيلاتها.
 (٢) الثَّمَل: السكران. إِنَّ حزنه هو التشديد الذي يردده، وهذا ذروة الإحساس بالكآبة.
 (٣) المهجّة: الروح.
 (٤) مضغضة: خاضعة.
 (٥) خبا: خمد، سكن.

أَنَا كَثِيبٌ، أَنَا غَرِيبٌ
وَلَيْسَ فِي عَالَمِ الْكَاتِبَةِ مَنْ
يَحْمِلُ مِيعَارَ بَعْضِ مَا أَجْدُ^(٦)
كَاتِبِي مَرَّةً، وَإِنْ صَرَخْتُ
رُوحِي فَلَا يَسْمَعُهَا الْجَسَدُ

كَاتِبِي ذَاتُ قَسْوَةٍ صَهَرَتْ
مَشَاعِرِي فِي جَهَنَّمَ الْأَلَمِ
لَمْ يَسْمَعْ الدَّهْرُ مِثْلَ قَسْوَتِهَا
فِي يَقْظَةٍ قَطُّ، لَا، وَلَا حُلْمٍ

كَاتِبِي شُعْلَةٌ مُوجَّجَةٌ،^(٧)
تَحْتَ رَمَادِ الْكَوْنِ تَسْتَعِرُ^(٨)
سَيَعْلَمُ الْكَوْنُ مَا حَقِيقَتُهَا
وَيَطْلُعُ الْفَجْرُ يَوْمَ تَنْفَجِرُ

كَاتِبَةُ النَّاسِ شُعْلَةٌ، وَمَتَى
مَرَّتْ لِيَالٍ خَبَتْ مِنَ الْأَمَدِ^(٩)
أَمَّا اِكْتِسَابِي فَلَوْعَةٌ، سَكَنْتُ
رُوحِي، وَتَبَقَّى بِهَا إِلَى الْأَبَدِ

(٦) معيار: جزء من عشرة. مأساته أنه يصرخ وحيداً فلا يسمعه أحد.

(٧) موججة: ملتهبة بصورة دائمة.

(٨) تستعر: تشتعل بشدة.

(٩) خبت: انطفأت. الأمد: الزمن والوقت. يريد القول أن كاتبة لا تشبه كاتبة الآخرين فهي خالدة.

السَّامَةُ

- 6 -

[من المتقارب]

سَمِئْتُ الْحَيَاةَ، وَمَا فِي الْحَيَاةِ
سَمِئْتُ اللَّيَالِي، وَأَوْجَاعَهَا
فَحَطَمْتُ كَأْسِي، وَأَلْقَيْتُهَا
فَأَنْتَ، وَقَدْ غَمَرْتَهَا الدُّمُوعُ
وَأَلْقَى عَلَيْهَا الْأَسَى ثَوْبَهُ
وَمَا إِنْ تَجَاوَزْتُ فَجَرَ الشَّبَابِ
وَمَا شَعَشَعْتُ مِنْ رَحِيقِ بَصَابٍ^(١)
بِوَادِي الْأَسَى وَجَحِيمِ الْعَذَابِ
وَقَرَّتْ، وَقَدْ فَاضَ مِنْهَا الْحَبَابُ^(٢)
وَأَقْبَرَهَا الصَّمْتُ وَالْإِكْتِنَابُ^(٣)

★ ★ ★

فَأَيْنَ الْأَمَانِي وَالْحَانِهَا؟
لَقَدْ سَحَقْتَهَا أَكْفُ الظَّلَامِ
فَمَا الْعَيْشُ فِي حَوْمَةٍ بِأَسْهَا
كَثِيبٍ، وَحِيدٌ بِالْأَمِهِ
ذَوَتْ فِي الرَّبِيعِ أَزَاهِيرُهَا
لَوَيْنَ النَّحُورَ عَلَى ذَلَّةٍ
فَحَالَ الْجَمَالُ، وَغَاضَ الْعَبِيرُ
وَأَيْنَ الْكُؤُوسُ؟ وَأَيْنَ الشَّرَابِ
وَقَدْ رَشَقْتَهَا شِفَاهُ السَّرَابِ^(٤)
شَدِيدٌ، وَصَدَّاحُهَا لَا يُجَابُ^(٥)
وَأَحْلَامِهِ، شَدُوهُ الْإِنْتِحَابِ
فَنِمْنٌ، وَقَدْ مَصَّهْنِ التُّرَابِ^(٦)
وَمُتْنٌ وَأَحْلَامُهُنَّ الْعَذَابِ^(٧)
وَأَذْوَى الرَّدَى سِحْرُهُنَّ الْعُجَابِ^(٨)

(١) الصَّاب: شجر شرا به مرّ المذاق.

(٢) الْحَبَاب: فقاقيع تظهر على سطح الماء أو الخمر.

(٣) أَقْبَرَهَا: دفنها. وقد وردت عبارة «أقبر» مكان «أقبرها» وهي خطأ.

(٤) رشف: شرب من الإناء ولم يترك به شيئاً.

(٥) الحومة: معظم الشيء: الصداح: المنشد.

(٦) ذوت: ذبلت.

(٧) النَّحُور: أعالي الصدر.

(٨) حال: زال، غاب.

قبضة من ضباب

[من مجزوء الكامل]

- 7 -

مَهْمَا تَأَمَّلْتُ الْحَيَاةَ، وَجُبْتُ مَجْهَلَهَا الرَّهِيْبَ
وَنَظَرْتُ حَوْلِي، لَمْ أَجِدْ إِلَّا شُكُوكَ الْمُسْتَرِيْبَ
حَتَّى دَهَشْتُ، وَمَا أَفِدْتُ بَدَهْشَتِي رَأْيًا مُصِيْبَ
لَكِنِّي أَجْهَدْتُ نَفْسِي، وَمَهْيَ بَادِيَةِ اللَّغُوبِ^(١)
وَدَفَعْتُهَا وَمَهْيَ الْهَزِيلَةِ فِي مُغَالَبَةِ الْكُرُوبِ^(٢)
فِي مَهْمِهِ مُتَقَلِّبٍ، تُخْشَى غَوَائِلُهُ، جَدِيدِيبِ^(٣)
فَإِذَا أَصَابَتْ مِنْ مَنَاهِلِهِ شَرَابًا تَسْتَطِيبُ
أُرُوتَ جَوَانِحَهَا، وَذَلِكَ حَسْبُهَا كَيْمَا تَكُؤُوبُ^(٤)
وَمَنْ ارْتَوَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تَسَنَّمَهَا خَطِيبُ^(٥)
أَوْ لَا فَقَدْ رَكِبَتْ مِنَ الْأَيَّامِ مَرْكَبَهَا الْعَصِيبُ..
وَقَضَّتْ كَمَا شَاءَ الْخُلُودُ، وَفِي جَوَانِحِهَا اللَّهِيْبُ^(٦) !

(١) اللغوب: الضعف والحماقة.

(٢) الكروب: المصائب.

(٣) المهمة: القفر. الغوائل: الدواهي، المصائب، وهي جمع غائلة.

(٤) تؤول: تعود، ترجع.

(٥) تسنم الشيء: اعتلاه، وأصلها سنام البعير: أعلى ظهره.

(٦) الجوانح: الجوانب.

من حديث الشيوخ

— 8 —

[من الطويل]

أَلَا إِنَّ أَخْلَامَ الشَّبَابِ ضَيَّلَةٌ تُحَطَّمُهَا مِثْلَ الْغُصُونِ الْمَصَائِبُ
سَأَلْتُ الدِّيَاجِي عَنْ أَمَانِي شَيْبَتِي فَقَالَتْ: «تَرَامَتْهَا الرِّيحُ الْجَوَائِبُ»^(١)
وَلَمَّا سَأَلْتُ الرِّيحَ عَنْهَا أَجَابَنِي: تَلَقَّفَهَا سَيْلُ الْقَضَا، وَالنَّوَائِبُ^(٢)
«فَصَارَتْ عَفَاءً، وَاضْمَحَلَّتْ كَذَرَّةً عَلَى الشَّاطِئِ الْمَحْمُومِ، وَالْمَوْجِ صَاخِبُ»^(٣)

أيها الليل

— 9 —

[من الخفيف]

أَيُّهَا اللَّيْلُ! يَا أَبَا الْبُؤْسِ وَالْهُوْ لِ، يَا هَيْكَلَ الْحَيَاةِ الرَّهِيْبِ!
فِيكَ تَجَنُّوْ عِرَائِسُ الْأَمَلِ الْعَذْ بِ، تُصَلِّي بِصَوْتِهِ الْمَحْبُوبِ^(١)
فَيُشِيرُ النَّشِيدُ ذَكَرَى حَيَاةٍ حَجَبَتْهَا غُيُومٌ دَهْرٌ كَثِيبِ
وَتَرَفُّ الشُّجُونُ مِنْ حَوْلِ قَلْبِي سَكُونِ، وَهَيَّيْ، وَقُطُوبِ^(٢)
أَنْتَ يَا لَيْلُ! ذَرَّةٌ، صَعَدَتْ لِلْ- كُونِ، مِنْ مَوْطِئِ الْجَحِيمِ الْغَضُوبِ
أَيُّهَا اللَّيْلُ! أَنْتَ نَفْمٌ شَجِيٌّ فِي شَفَاهِ الدَّهْوَرِ، بَيْنَ النَّحِيبِ
إِنَّ أَنْشُودَةَ السُّكُونِ، الَّتِي تَرْتَجِّجُ فِي صَدْرِكَ الرَّكُودِ، الرَّحِيبِ^(٣)

(١) الجوائب: من جاب أي قطع البلاد.

(٢) تَلَقَّفَ: تناول بسرعة. القضا: القضاء. النَّوَائِبُ: المصائب.

(٣) عفاء: دارة محوطة. المحموم: الساخن. يقول: إِنَّ أَخْلَامَ الشَّبَابِ تَتَبَدَّدُ وَتَضِعُ لِأَنَّهَا تَصْطَلِمُ بِالْوَاقِعِ، كَرِيْشَةٍ فِي مَهَبِ الرِّيحِ أَوْ كَذَرَّةٍ مِنَ الرَّمَالِ عَلَى الشَّاطِئِ الَّذِي جَاشَتْ أَمْوَاجُهُ.

(١) تجنُّو: تجلس على ركبتها.

(٢) الشُّجُونُ: الأحزان. القطوب: ضم الحواجب والعبوس.

(٣) الرَّكُودُ: الهادئ.

رَنَّةَ الْحَقِّ، وَالْجَمَالَ الْخُلُوبِ
تَهْزُ الْحَيَاةَ هَزَّ الْخَطُوبِ^(٤)
س، فَتَبْكِي، بِلَوْعَةٍ وَنَحِيبِ
وَعَوِيلاً مُرّاً، شَجُونَ الْقُلُوبِ
جَاعٍ، يُلْقِي عَلَيْكَ شَجْوَ الْكُئِيبِ^(٥)
سَارٍ، مُخْضَلَّةً بِدَمْعٍ حَبِيبِ^(٦)
وَلَسَكَ اللَّهُ مِنْ فُؤَادٍ، كُئِيبِ
فُورٍ، طِفْلاً بِصَدْرِكَ الْغَرِيبِ^(٧)
نَضْرَةَ الضَّحُوكِ، الطَّرُوبِ
بِ، جَمِلاً، كَبْهَجَةِ الشُّؤُوبِ^(٨)
ن! وَيَا مِعْزَفَ التَّعِيسِ الْغَرِيبِ
فَيْكَ، تَنْهَلُ رَنَّةَ الْمَكْرُوبِ^(٩)
بِ، وَتَذْوِي لَدَى لَهَيْبِ الْخُطُوبِ^(١٠)
بُ ظِلَالُ الدُّهُورِ، ذَاتَ قُطُوبِ
السُّودِ، تَدُبُّ الْأَيَّامُ أَيَّ دَيْبِ^(١١)

تُسْمِعُ النَّفْسَ، فِي هَدْوٍ الْأَمَانِي
فَتَصَوِّغُ الْقُلُوبَ، مِنْهَا أَغَارِيداً،
تَتَلَوَّى الْحَيَاةَ، مِنْ أَلَمِ الْبُؤْ
وَعَلَى مَسْمَعِكَ، تَنْهَلُ نُوحاً
فَأَرَى بُرْقِعاً شَفِيفاً، مِنْ الْأَو
وَأَرَى فِي السُّكُونِ أَجْنَحَةَ الْجَبِّ
فَلَكَ اللَّهُ! مِنْ فُؤَادٍ رَحِيمٍ
يَهْجَعُ الْكَوْنُ، فِي طَمَأْنِينَةِ الْعُصْ
وَبَأْخَصَانِكَ الرَّحِيمَةِ يَسْتَيْقِظُ، فِي
شَادِيّاً، كَالطُّيُوبِ بِالْأَمَلِ الْعَذِّ
يَا ظِلَامَ الْحَيَاةِ! يَا رَوْعَةَ الْحُزْ
وَبَقِيثَارَةَ السَّكِينَةِ، فِي كَ
فَيْكَ تَنْمُو زَنَابِقُ الْحُلْمِ الْعَذِّ،
خَلْفَ أَعْمَاقِكَ الْكَثِيْبَةِ تَنْسَا
وَبِفُؤُودِيكَ، فِي ضَمَائِرِكَ



صَاحِ! إِنَّ الْحَيَاةَ أَنْشُودَةُ الْحُزْ نِ، فَرْتَلُ عَلَى الْحَيَاةِ نَحِيْبِي

(٤) الخطوب: المصائب.

(٥) البرقع: القناع. شفيف: شفاف. الشجو: الحزن.

(٦) مُخْضَلَّة: نديّة مبتلة.

(٧) يهجع: ينام. إن الليل يحتوي كل أسرار هذا الكون.

(٨) الشؤبوب: الدفعة من المطر تستقبل بفرح.

(٩) تنهل: يشتد انصبابها. المكروب: الحزين.

(١٠) تذوي: تذبل.

(١١) الفودان: جانب الرأس مما يلي الأذنين إلى الأمام. الضفائر: خصلات من الشعر على شكل

غداثر.

إِنَّ كَأْسَ الْحَيَاةِ مُتَرَعَّةٌ بِالْأَدَى
 إِنَّ وَادِيَ الظَّلَامِ يَطْفَحُ بِالْهَوَى
 لَا يَغُرَّتْكَ ابْتِسَامُ بَنِي الْأَرَى
 أَنْتَ تَدْرِي أَنَّ الْحَيَاةَ قُطُوبُ
 إِنَّ فِي غَيْبَةِ الدَّهْوَرِ، تَبَاعاً
 سَدَدَتْ فِي سَكِينَةِ الْكَوْنِ، لِلْأَعْمَاءِ
 نَظْرَةً مَزَقَتْ شِغَافَ اللَّيَالِي
 وَرَأَتْ فِي صَمِيمِهَا، لَوَعَةَ الْحُزْ
 لَا تُحَاوِلْ أَنْ تَنْكَرَ الشَّجْوَى، إِنِّي
 فَتَبَرَّمْتُ بِالسَّكِينَةِ وَالضَّجَّةِ،
 كُنْ كَمَا شَاءَتْ السَّمَاءُ كَثِيباً
 أَنْفُوسُ تَمُوتُ، شَاخِصَةً بِالْهَوَى
 أَمْ قُلُوبٌ مُحِطَّاتٌ عَلَى سَا
 إِنَّمَا النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ طَيُورُ
 يَعْصُفُ الْهَوَلُ فِي جَوَانِبِهِ السَّوَى

مَعِ، فَاسْكُبْ عَلَى الصَّبَاحِ حَبِيبِي
 لِ، فَمَا أَبْعَدَ ابْتِسَامَ الْقُلُوبِ!
 ضِ فَخَلَفَ الشُّعَاعِ لَذْعُ اللَّهْيَبِ
 بَ وَخُطُوبٌ، فَمَا حَيَاةُ الْقُطُوبِ؟
 لِحَطِيبٍ يَمُرُّ إِثْرَ خَطِيبِ (١٢)
 قِ، نَفْسِي لَحْظاً بَعِيدَ الرُّسُوبِ (١٣)
 فَرَأَتْ مُهْجَةَ الظَّلَامِ الْهَيُوبِ (١٤)
 نِ، وَأَصْنَعْتُ إِلَى صُرَاخِ الْقُلُوبِ
 قَدْ خَبِرْتُ الْحَيَاةَ خُبْرَ لَيْبِ (١٥)
 بَلْ قَدْ كَرِهْتُ فِيهَا نَصِيبي.. (١٦)
 أَيُّ شَيْءٍ يَسُرُّ نَفْسَ الْأَرِيبِ؟
 لِ، فِي ظُلْمَةِ الْقُنُوطِ الْعَصِيبِ؟ (١٧)
 حَلِ لُجِّ الْأَسَى، بِمَوْجِ الْخُطُوبِ؟
 قَدْ رَمَاهَا الْقَضَا بِوَادٍ رَهِيْبِ
 دِ فَيَقْضِي عَلَى صَدَى الْعَنْدَلِيبِ

★ ★ ★

قَدْ سَأَلْتُ الْحَيَاةَ عَنْ نِعْمَةِ الْفَجْدِ
 فَسَمِعْتُ الْحَيَاةَ، فِي هَيْكَلِ الْأَحْزَا
 رِ، وَعَنْ وَجْهَةِ الْمَسَاءِ الْقُطُوبِ (١٨)
 نِ، تَشْدُو بِلَحْنِهَا الْمَحْبُوبِ:

(١٢) لَا يَسْتَقِيمُ مَعْنَى الْبَيْتِ إِلَّا بِجَعْلِ لَفْظَةِ «خَطِيبٍ» مَنْصُوبَةً عَلَى أَنَّهَا إِسْمٌ «إِنَّ».

(١٣) «نَفْسِي»: هِيَ فَاعِلُ سَدَدَ. الرُّسُوبُ: هُنَا بِمَعْنَى النِّفَازِ.

(١٤) شِغَافٌ: حِجَابٌ، وَأَصْلُهُ فِي الْقَلْبِ. الْهَيُوبُ: الْمَخِيفُ.

(١٥) الْخُبْرُ: الْمَصْدَرُ مِنْ فَعَلَ «خَبَرَ» وَ«اخْتَبَرَ».

(١٦) تَبَرَّمَ: مَلَّ، سَمَ.

(١٧) الْقُنُوطُ: الْيَأْسُ.

(١٨) الْوَجْهَةُ: الْعَبُوسُ وَالْقُطُوبُ.

مَا نَشِيدُ الصَّبَّاحِ غَيْرُ نَحِيبٍ
 فِي ضِيقِ الْحَيَاةِ غَيْرَ كَيْبٍ
 م، بِالدَّمْعِ، وَالدَّمِ الْمَسْكُوبِ^(١٩)
 فِي اللَّيَالِي، بِحُزْنِهَا الْمَشْبُوبِ! «^(٢٠)
 بِاسْمِ، وَالرَّجَاءِ دُونَ لُغُوبِ^(٢١)
 فَجَرٍ، وَلَكِنَّهُ شُعَاعُ الْغُرُوبِ
 ح، تَنْسَابُ مَنْ فَمِ الْعَنْدَلِيبِ
 ب، حِيناً - وَبُدِّلَتْ بِنَحِيبِ^(٢٢)
 ن، وَلَكِنَّهَا سِمَامُ الْقُلُوبِ^(٢٣)

مَا سُكُوتُ السَّمَاءِ إِلَّا وَجُومٌ
 لَيْسَ فِي الدَّهْرِ طَائِرٌ يَتَغْنَى
 خَضَبَ الْاِكْتِتَابِ أَجْنَحَةَ الْآيَا
 وَعَجِيبٌ أَنْ يَفْرَحَ النَّاسُ فِي كَهْدٍ
 كُنْتُ أُرْنُو إِلَى الْحَيَاةِ بِلَحْظِ
 ذَاكَ عَهْدٍ حَسِبْتُهُ بِسَمَةِ الدَّ
 ذَاكَ عَهْدٍ، كَأَنَّهُ رَتَّةُ الْأَفْرَا
 خُفِّتْ - رَيْثَمَا أَصَحَّتْ لَهَا بِالْقَلْدِ
 إِنَّ خَمَرَ الْحَيَاةِ وَرْدِيَّةَ اللَّو

★ ★ ★

مِي، إِلَى اللَّحْدِ، جَائِرَاتُ الْخُطُوبِ
 وَتَهَاوَتْ إِلَى الْجَحِيمِ الْغُضُوبِ
 لَمْ يَزَلْ بَيْنَ جَيْتَةٍ، وَذُحُوبِ^(٢٤)
 س، ضِيَالاً، كَرَائِعَاتِ الْمَشِيبِ^(٢٥)
 هَ مِنْ جَدُولِ الزَّمَانِ الرَّهِيْبِ!
 ن، فَعَشْتُهُ مِنْ شُعَاعِ اللَّهِيْبِ..^(٢٦)

جَرَفَتْ مِنْ قَرَارَةِ الْقَلْبِ أَحْلَا
 فَتَلَاشَتْ عَلَى تَخُومِ اللَّيَالِي
 وَتَوَى فِي دُجْنَةِ النَّفْسِ، وَمَضَ
 ذُكْرِيَاتٌ تَمِيسُ فِي ظِلْمَةِ النَّفْ
 يَا لِقَلْبٍ تَجَرَّعَ اللَّوْعَةَ الْمُرَّ
 وَمَضَتْ فِي صَمِيمِهِ شُعْلَةُ الْحُزْنِ

(١٩) خَضَبَ: صَبَغَ.

(٢٠) الْمَشْبُوبُ: الْمَشْتَعَلُ.

(٢١) لُغُوبٌ: ضَعِيفٌ أَحْمَقُ.

(٢٢) أَصَاخُ: اسْتَمَعَ.

(٢٣) السَّمَامُ: السَّيْمُ.

(٢٤) تَوَى: أَقَامَ. دُجْنَةُ: ظِلْمَةٌ.

(٢٥) تَمِيسُ: تَخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهَا.

(٢٦) يَقُولُ إِنَّ الْحُزْنَ الْمَشْتَعَلَ فِي قَلْبِهِ أَشْعَلَ نَوْرَ عَقْلِهِ حَتَّى عَاشَهُ ذَلِكَ النُّورَ أَيْ جَعَلَهُ أَعْمَى مِنْ شِدَّةِ الْوَهَجِ.

فلسفة الثعبان المقدس

— 10 —

فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان. وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية الى الشحورور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه، فسماه «تضحية» وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس...

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حينما تحاول أن تسوغ طريقها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية فتسميها: «سياسة الادماج» وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذي لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها في هذا العالم، وبلوغ الكمال الانساني المنشود، ولكن الفناء حقيقة شنيعة، مبغضة، لا ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام.

[من الكامل]

كان الربيعُ الحيُّ روحاً، حالماً
يمشي على الدنيا، بفكرة شاعر
والأفق يملأه الحنان، كأنه
والكون من طهر الحياة كأنما
والشاعرُ الشحورور يرقص، مُنشداً
شعر السعادة والسلام، ونفسه
ورآه ثعبانُ الجبال، فغممه

غضَّ الشَّبابِ، مُعَطَّرَ الجلبابِ^(١)
ويطوفُها، في موكبِ خَلَابِ^(٢)
قَلْبُ الوجودِ المنتجِ الوَهَّابِ
هوَ معبَّدٌ، والغابُ كالمحرابِ
للشمسِ، فوقَ الوردِ والأعشابِ
سَكْرَى بِسِحرِ العالَمِ الخَلَابِ
ما فيه من مَرَحٍ، وفيضِ شبابِ^(٣)

(١) الجلباب: القميص.

(٢) الخَلَاب: الفاتن الجميل يخلب العقل.

(٣) غمه: أحزنه.

وانقضّ، مضطّغاً عليه، كأنّه
بُغِتَ الشَّقِيّ، فصاح في هول القضا
وتدَفَّق المسكينُ يصرخُ نائراً:
« لا شيء، إلّا أنّني متغزلّ
ألقى من الدنيا حناناً طاهراً
أيعدّ هذا في الوجود جريمة؟!
« لا (أين)، فالشرعُ المقدسُ ههنا
وسعادة الضعفاء جُرمٌ.. ما له
ولتشهد الدنيا التي غنيّتها
أنّ السّلام حقيقة، مكذوبة
« لا عدل، إلّا إنّ تعادلتِ القوى
فتبسّم الثّعبانُ بسمة هازية
« يا أيّها الغرّ المثرثر، إنّني
والغرّ يعذره الحكيمُ إذا طفى
« فاكبح عواطفك الجوامح، إنّها
« إنني إله، طالما عبّد الورى

سَوِّطُ القضاء، ولعنة الأرباب^(٤)
متلفّناً للصّائل المتّاب^(٥)
« ماذا جنيتُ أنا فحقّ عقابي؟
« بالكائنات، مغرّد في غابي
وأبّتها نجوى المحبّ الصّابي^(٦)
أينَ العدالة يا رفاق شبابي؟
رأيُ القويّ، وفكرة الغلاب!
« عند القويّ سوى أشدّ عقاب!
حلّم الشباب، وروعة الإعجاب
والعدل فلسفة اللّهب الخابي^(٧)
وتصادم الإرهاب بالإرهاب
وأجاب في سمّت، وفرط كذاب^(٨)
أرثي لشورة جهلك التلاب^(٩)
« جهل الصّبا في قلبه الوّتاب
شردت بلّك، واستمع لخطابي^(١٠)
ظليّ، وخافوا لعنتي وعقابي^(١١)

(٤) انقضّ: اندفع، انصبّ. مضطّغاً: من الضغينة، وهي الحقد. السّوط: أداة من جلد تضرب بها الدّواب.

(٥) الصّائل: من صال، يصل بمعنى وتّب يشب. المتّاب: القاصد مرّة بعد مرّة.

(٦) الصّابي: الذي يميل إلى الشباب ولهوه.

(٧) الخابي: الساكن، الخامد.

(٨) السمّت: الوقار.

(٩) الغرّ: الذي لا تجربة له ولا خبرة. التلاب: الخاسر، الهالك.

(١٠) كبح: لجم، منع. جمع: تمرّد. اللّب: العقل.

(١١) الورى: الناس.

فَرَحِينَ، شَانَ الْعَابِدِ الْأَوَابِ» (١٢)
يَوْمًا تَكُونُ ضَحِيَّةَ الْأَرْبَابِ»
قُدْسِيَّةً، خُلِّصَتْ مِنَ الْأَوْشَابِ» (١٣)
فَتَحُلَّ فِي لَحْمِي وَفِي أَعْصَابِي
فِي نَاطِرِي، وَحْدَةً فِي نَابِي
وَتَصِيرَ بَعْضَ أُلُوهْتِي وَشَبَابِي...؟
فِي رُوحِي الْبَاقِي عَلَى الْأَحْقَابِ...
أُسَمِّي مِنَ الْعِيشِ الْقَصِيرِ النَّابِي» (١٤)
وَالْمَوْتُ يَخْنُقُهُ: «إِلَيْكَ جَوَابِي»
وَالرَّأْيُ، رَأْيُ الْقَاهِرِ الْغَلَابِ
وَارْحَمْ جَلَالِكَ مِنْ سَمَاعِ خُطَابِي

«وَتَقَدِّمُوا لِي بِالضَّحَايَا مِنْهُمْ
وَسَعَادَةُ النَّفْسِ التَّقِيَّةِ أَنَهَا
فَتَصِيرُ فِي رُوحِ الْأُلُوهَةِ بَضْعَةً،
أَفَلَا يَسُرُّكَ أَنْ تَكُونَ ضَحِيَّتِي
وَتَكُونَ عِزًّا فِي دَمِي، وَتَوْهُّجًا
وَتَذَوَّبَ فِي رُوحِي الَّتِي لَا تَنْتَهِي
إِنِّي أَرَدْتُ لَكَ الْخُلُودَ مُؤَلَّهًا
فَكَّرْتُ، لِيُتَذَرِكَ مَا أُرِيدُ، وَإِنَّهُ
فَأَجَابَهُ الشُّعُورُ، فِي عُمْصِ الرَّدَى
«لَا رَأْيَ لِلْحَقِّ الضَّعِيفِ، وَلَا صَدَى
فَأَفْعَلْ مَشِيئَتِكَ الَّتِي قَدْ شِئْتَهَا

★ ★ ★

وَكَذَلِكَ تَتَّخِذُ الْمَظَالِمُ مَنْطِقًا عَذْبًا لِتَخْفِي سَوْءَةَ الْأَرْبَابِ (١٥)

الدنيا الميته

[من الكامل]

- 11 -

لَكُنْهَا تَحِيًّا بِلَا أَلْبَابِ (١)
يَدُوي حَوَالِي جَنْدَلٍ وَتَرَابِ (٢)

إِنِّي أَرَى... فَأَرَى جَمُوعًا جَمَّةً
يَدُوي حَوَالِيهَا الزَّمَانُ، كَأَنَّمَا

(١٢) الْأَوَابِ: النَّابِ.

(١٣) الْأَوْشَابِ: الْأَخْلَاطُ الْمُنْفَرِقَةُ مِنَ النَّاسِ.

(١٤) النَّابِي: الْقَبِيحُ، غَيْرُ الْمَطْمَئِنِّ.

(١٥) الْأَرْبَابِ: جَمْعُ أَرْبٍ، وَهِيَ الْغَايَةُ وَالْهَدَفُ.

(١) أَلْبَابِ: قُلُوبِ.

(٢) الْجَنْدَلُ: الْعَتَاخُ.

وإذا استجابوا للزَّمان تناكروا
وقضوا على رُوح الأُخوة بينهم
فرحت بهم غولُ التعاسة والفنا
لُعَبٌ، تُحرِّكها المَطامعُ، واللَّهَى
وأرى نفوساً، مِنْ دُخان، جامدٍ
موتى، نَسُوا شَوْقَ الحياة وعزمها
وخبا بهم لَهَبُ الوجودِ، فما بقوا
لا قلبَ يفتحهم الحياة، ولا حِجَى
بل في الترابِ المَيِّتِ، في حَزَنِ الثرى
وتموت خاملةً، كزهريِّ بئس
أبدًا تُحدِّقُ في الترابِ...، ولا تَرَى
الشَّاعرُ الموهوبُ يَهْرِقُ فَنَّهُ
ويعيشُ في كونٍ، عقيمٍ، مَيِّتٍ
والعالمُ التَّحريرُ يُنْفِقُ عُمُرَهُ
يحيا على رِمَمِ القَدِيمِ المَجْتَوَى
والشَّعبُ بينهما قطيعٌ، ضائعٌ

وتَراشَقُوا بالشَّوكِ والأُحْصَابِ^(٣)
جَهلاً وعاشوا عيشَةَ الأَغْرابِ
وَمَطَامِيعُ السَّلَابِ والغَلَابِ
وَصَغَائِرُ الأحقادِ والآرابِ^(٤)
مَيِّتٍ، كأشباحٍ، وراءَ ضَبَابِ
وتحرَّكُوا كَتَحَرَّكَ الأنْصَابِ^(٥)
إلا كمحترقٍ مِنَ الأَخْشَابِ^(٦)
يَسْمُو سُمُو الطَّائِرِ الجَوَابِ^(٧)
تنمو مَشَاعِرُهُمْ مع الأعْشَابِ^(٨)
ينمو ويدبُّل في ظَلامِ الغَابِ
نورَ السماء...، فروحها كتراب...!
هدراً على الأَقْدَامِ والأَعْتَابِ
قَدْ شَيَّدَتْهُ غِباوَةُ الأحْقَابِ^(٩)
في فَهْمِ أَلْفَاظٍ، ودوسِ كِتَابِ^(١٠)
كالذُّودِ في حِمَمِ الرَّمَادِ الخَابِي^(١١)
دنياه دُنيا مأكَلٍ وشَرَابِ

(٣) الأُحْصَاب: صغار الحجارة.

(٤) اللَّهَى: جمع اللهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. الآراب: جمع أَرَب، وهي الأمانة والبغية.

(٥) الأنْصَاب: جمع نُصَب، وهو كل ما عُبد من أصنام أو تماثيل من دون الله.

(٦) خبا: انطفأ، خفت نوره.

(٧) الحجى: العقل.

(٨) الحَزَن: الأرض الغليظة في ارتفاع.

(٩) عقيم: لا خير فيه ولا نفع.

(١٠) التَّحرير: العاقل، الحاذق، الفطن.

(١١) المَجْتَوَى: المكروه. الخابي: الخامد، الساكن.

أَلْوَيْلُ لِلْحَسَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ ماذا يلاقِي مِنْ أَسَىٍّ وَعَذَابٍ!

صوتٌ من السَّمَاءِ

[من الكامل]

- 12 -

في اللَّيْلِ نَادَيْتُ الْكَوَاعِبَ سَاخِطاً
« الْحَقْلُ يَمْلِكُهُ جَبَابِرَةُ الدَّجَى
« وَالتَّهْرُ، لِلْغُولِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي
« وَعَرَائِسُ الْغَابِ الْجَمِيلِ ، هَزِيلَةٌ
« مَا هَذِهِ الدُّنْيَا الْكَرِيهَةُ؟ وَيَلَهَا!
« الْكُونُ مُصْنَعٌ ، يَا كَوَاكِبُ ، خَاشِعُ
متأجَّجَ الْآلَامِ وَالْآرَابِ: (١)
وَالرَّوْضُ يَسْكُنُهُ بَنُو الْأَرْبَابِ (٢)
لَا تَرْتَوِي ، وَالْغَابُ لِلْحَطَّابِ (٣)
ظُمَايَ لِكُلِّ جَنَىٍّ ، وَكُلِّ شَرَابٍ
حَقَّتْ عَلَيْهَا لَعْنَةُ الْأَحْقَابِ! (٤)
طَالَ انْتِظَارِي ، فَاَنْطِقِي بِجَوَابٍ!

★ ★ ★

فَسَمِعْتُ صَوْتاً سَاخِراً ، مَتَمَوِّجاً
وَحَفِيفَ أَجْنَحَةٍ تَرْفَرُ فِي الْفَضَا
الْفَجْرُ يُولَدُ بِاسْمَاءٍ ، مَتَهَلَّلَا
فَوْقَ الْمَرْوَجِ الْفَيْحِ ، وَالْأَغْشَابِ (٥)
وَصَدَى يَرْنُ عَلَى سُكُونِ الْغَابِ:
فِي الْكُونِ ، بَيْنَ دُجْنَةٍ وَضَبَابٍ (٦)

(١) الْآرَابُ: الْأَمَانِيُّ وَالْحَاجَاتُ.

(٢) الدَّجَى: الظَّلَامُ.

(٣) الْغُولُ: حَيَوَانٌ وَهْمِيٌّ.

(٤) الْأَحْقَابُ: الْمُدَّةُ الطَّوِيلَةُ مِنَ الدَّهْرِ.

(٥) الْفَيْحُ: جَمْعُ الْفَيْحَاءِ ، وَهِيَ الْوَاسِعَةُ.

(٦) الدُّجْنَةُ: الْغَيْمُ الْكَثِيرُ الْمَظْلَمُ.

للتاريخ

[من الكامل]

— 13 —

«البؤسُ لابنِ الشَّعبِ يأكلُ قلبه
والشَّعبُ معصوبُ الجفونِ ، مُقسَّم
والحقُّ مقطوعُ اللِّسانِ مُكبَّلُ
هذا قليلٌ مِنْ حَيَاةٍ مُرَّةٍ»
والمجدُ والإثراءُ للأغرابِ
كالشَّاةِ ، بين الذَّئبِ والقَصَّابِ^(١)
والظِّلْمُ يمرحُ مُذهَّبُ الجلبابِ^(٢)
في دولةِ الأنصَابِ والألقابِ^(٣)

(١) معصوب: من قَصَبَ بمعنى اجتمع وأحاط. الشَّاة: النعجة.

(٢) مُذهَّب: مُذهَّب. الجلباب: القميص.

(٣) الأنصَاب: جمع نُصَب، وهو كلُّ ما يعبد من أصنام أو تماثيل ونحوها من دون الله.

قافية التاء

إلى قلبي التائه

- 14 - [مجزوء الرمل]

مَا لَأَفَاقِكَ يَا قَلْبِي سُوداً، حَالِكَاتُ؟
وَلَأُورَادِكَ بَيْنَ الشَّوْكِ صُفْرًا، ذَاوِيَاتُ؟^(١)
وَلَأُطْيَارِكَ لَا تَلْغُو؟ فَأَيْنَ النِّغَمَاتُ؟^(٢)
مَا لِمِزْمَارِكَ لَا يَشْدُو بِغَيْرِ الشَّهَقَاتُ؟
وَلَأُوتَارِكَ لَا تَخْفُقُ إِلَّا شَاكِياتُ
وَلَأُنْغَامِيكَ لَا تَنْطُقُ إِلَّا بَاكِياتُ
وَلَقَدْ كَانَتْ صَبَاحَ الْأَمْسِ بَيْنَ النَّسَمَاتُ
كَعْذَارِي الْغَابِ، لَا تَعْرِفُ غَيْرَ الْبَسَمَاتُ؟
هُوَذَا يَا قَلْبِي الْبَحْرُ، وَأَمْوَاجُ الْحَيَاةِ!
هُوَذَا الْقَارِبُ مَشْدُوداً إِلَى تِلْكَ الصَّفَاةِ^(٣)!
هُوَذَا الشَّاطِئُ! لَكِنْ أَيْنَ رَبَّائِكَ؟ مَاتَ!
أَيْنَ أَحْلَامُكَ يَا قَلْبِي؟ لَقَدْ قَاتَ الْقَوَاتُ!

(١) الأوراد: الورود، جمع وردة.

(٢) اللغو: ما لا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ.

(٣) الصفاة: الصخرة.

تلكَ أطيَّارٌ، أنيقاتٌ، طِرابٌ، فرِحَاتٌ
غرَدَتْ، ثم تَوَارَتْ في غِيايَاتِ الحَيَاةِ

★ ★ ★

أنتَ يا قلبيَ قلبٌ، أنضجَتْهُ الزَّفَرَاتُ
أنتَ يا قلبيَ عُشٌّ، نَفَرَتْ عَنْهُ القَطَاةُ^(٤)
فأطَارَتْهُ إلى النَّهْرِ الرِّيحُ العَاثِيَاتُ^(٥)
فَهُوَ في التِّيَّارِ أَوْرَاقٌ، وأَعْوَادٌ عُرَاةٌ
أنتَ حَقْلٌ، مُجْدِبٌ، قد هَزَّاتُ مِنْهُ الرِّعَاةُ
أنتَ لَيْلٌ، مُعْتِمٌ، تَنْدُبُ فِيهِ البَاكِياتُ
أنتَ كَهْفٌ، مَظْلِمٌ، تَأْوِي إِلَيْهِ البَائِسَاتُ
أنتَ صَرْحٌ، شَادَهُ الحُبُّ على نَهْرِ الحَيَاةِ
لِبَنَاتِ الشَّعْرِ...، لَكِنْ قَوَّضَتْهُ الحَادِثَاتُ^(٦)
أنتَ قَبْرٌ، فِيهِ مِنْ أَيَّامِي الأُولَى رُفَاتُ

★ ★ ★

أنتَ عودٌ، مَزَقْتَ أوتارَهُ كَفَّ الحَيَاةُ
فَهُوَ في وَحْشَتِهِ الخَرَسَاءُ، بَيْنَ الكَائِنَاتِ
صَامِتٌ كَالْقَبْرِ، إِلَّا مِنْ أُنَيْنِ الذِّكْرِيَّاتِ
أنتَ لَحْنٌ سَاحِرٌ، يَخْبُطُ في التِّيِّهِ المَوَاتِ^(٧)
أنتَ أَنشودَةٌ فَجَرٍ...، رَتَّلْتُهَا الظُّلُمَاتُ

★ ★ ★

(٤) القَطَاةُ: نوع من الطُّيُورِ.

(٥) العَاثِيَةُ: الظَّالِمَةُ.

(٦) يقول إن قلبه كان هيكلًا للشَّعْرِ لَكِنْ الأَقْدَارُ هَدَمَتْهُ.

(٧) يَخْبُطُ: يسير على غير هدى. التِّيِّهِ: الأرض الواسعة يَضِيعُ فِيهَا المَرءُ.

أَيُّهَا السَّارِي، مَعَ الظُّلْمَةِ، فِي غَيْرِ أَنْاءٍ
 مُطَرِّقًا، يَخْبُطُ فِي الصَّحْرَاءِ، مَكْبُوحَ الشَّكَاةِ^(٨)
 تَهَتْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا أُبْتُ بِغَيْرِ الْحَسَرَاتِ
 صَلِّ يَا قَلْبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ آتٍ
 صَلِّ فَالْنَّازِعُ لَا تَبْقَى لَهُ غَيْرُ الصَّلَاةِ

الطَّفُولَةُ

— 15 —

[من مجزوء الكامل]

لِلَّهِ مَا أَحْلَى الطَّفُولَةَ! إِنَّهَا حَلُمُ الْحَيَاةِ
 عَهْدٌ كَمَعْسُولِ الرُّؤْيَى مَا بَيْنَ أَجْنَحَةِ السَّبَاتِ...^(١)
 تَرْنُو إِلَى الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا بَعِينٍ بِإِسْمِهِ
 وَتَسِيرُ فِي عَدَوَاتٍ وَادِيهَا بِنَفْسٍ حَالِمَةٍ^(٢)

★ ★ ★

إِنَّ الطَّفُولَةَ تَهْتَزُّ فِي قَلْبِ الرَّيِّعِ^(٣)
 رِيَانَةً مِنْ رَيِّقِ الْأَنْدَاءِ فِي الْفَجْرِ الْوَدِيعِ^(٤)
 غَنَّتْ لَهَا الدُّنْيَا أَغَانِي حُبِّهَا وَحُبُورِهَا^(٥)

(٨) مُطَرِّقًا: سَاكِتًا. الشَّكَاةُ: الشَّكْوَى. يَطْلُقُ الشَّاعِرُ صَرِيخَةً إِيمَانٍ مَدْوِيَّةً لِأَنَّهُ يَعْتَبِرُ أَنَّ الصَّلَاةَ هِيَ السَّلَاحُ الرَّحِيدَ أَمَامَ الْمَوْتِ.

(١) السَّبَاتُ: النَّوْمُ.

(٢) الْعَدَوَاتُ: جَمْعُ عَدَوَاءٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ غَيْرُ الْمَطْمَئِنَّةِ.

(٣) الْبَيْتُ مَخْتَلٌ الْوِزْنِ.

(٤) رِيَانَةٌ: مَرْتَوِيَّةٌ. الْأَنْدَاءُ: جَمْعُ نَدَى.

(٥) الْحُبُورُ: الْفَرْحُ.

فتأودتْ نشوى بأحلامِ الحَيَاةِ ونُورِهَا^(٦)

★ ★ ★

إنَّ الطُّفُولَةَ حِقْبَةَ شَعْرِيَّةٍ بِشُعُورِهَا
وَدُمُوعِهَا، وَسُرُورِهَا، وَطُمُوحِهَا، وَغُرُورِهَا
لم تمشِ في دُنيا الكآبةِ، والتَّعَاسَةِ، والعَذَابِ
فترى على أضوائِها ما في الحَقِيقَةِ مِنْ كِذَابٍ^(٧)

الرواية الغريبة

— 16 —

[من الطويل]

ستجعلُنَا الأَيَّامُ أَضْحُوكَةَ الآتِي
عَظِيمٍ، غَرِيبِ الفَنِّ، مُبْدِعِ آيَاتِ
ووسط ضَبَابِ الهَمِّ، تَمَثِيلِ أَمْوَآتِ^(١)
وَيَضْحَكَ مِنْهَا مَنْ يَمَثُلُ مَا يَأْتِي^(٢)
على الغَيْرِ، مُضْحُوكٌ على دورِ العَاتِي

ضَحِكُنَا على الماضي البعيدِ، وفي غدٍ
وتلكَ هِيَ الدُّنْيَا، رِوَايَةُ سَاحِرٍ
يُمَثِّلُهَا الأَحْيَاءُ فِي مَسْرَحِ الأَسَى
ليشهدَ مَنْ خَلْفَ الضَّبَابِ فَصُولَهَا
وكلُّ يُوْدِّي دَوْرَهُ... وهو ضَاحِكٌ

(٦) تأود: اعوجَّ والتوى. نشوى: سكرى

(٧) الكذاب: الكذب.

(١) الأسى: الحزن.

(٢) ما يأتي: يريد الغد والمستقبل.

(٣) العاتي: الظالم.

قافية الثاء

سِرْ مع الدهر

[من مجزوء الخفيف]

— 17 —

سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، لَا تَصُدَّتْكَ الْأَهْوَالُ، أَوْ تُفْزِعَنَّكَ الْأَحْدَاثُ
سِرْ مَعَ الدَّهْرِ، كَيْفَمَا شَاءَتِ الدُّنْيَا، وَلَا يَخْدَعَنَّكَ النَّفَاثُ^(١)
فَالَّذِي يُرْهِبُ الْحَيَاةَ شَقِيًّا، سَخِرَتْ مِنْ مَصِيرِهِ الْأَجْدَاثُ^(٢)

(١) النَّفَاثُ: الذي ينفث السُّمَّ أي يبصقه من فمه، وهنا ينفث الكلام السيِّء الكاذب.

(٢) الْأَجْدَاثُ: القبور. يقول إن القبور ستلفظ الطَّغَاةَ إذا لم ينالوا عقابهم في هذه الدُّنْيَا.

قافية الحاء

أغنية الأحران

- 18 -

[من مجزوء الرمل]

غَنَّنِي أَنْشُودَةَ الْفَجْرِ الضَّحُوكُ

أَيُّهَا الصَّدَّاحُ! ^(١)

فَلَقَدْ جَرَّعَنِي صَوْتُ الظَّلَامِ

أَلَمَّا عَلَّمَنِي كُرَّةَ الْحَيَاةِ

إِنَّ قَلْبِي مَلَّ أَصْدَاءَ النُّوَّاحِ ^(٢)

★ ★ ★

غَنَّنِي يَا صَاحُ!

حَطَّمْتُ كَفَّ الْأَسَى قِيَارَتِي

فِي يَدِ الْأَخْلَامِ

فَقَضْتُ صَمْتًا، أَنْشِيدُ الْغَرَامِ

(١) الصَّدَّاح: المغني.

(٢) أصداء: جمع صدى، وهو رجيع الصوت. يحاول الشاعر، في هذه القصيدة، أن ينسى ما يعاينه من الآلام ولكن دون جدوى.

بَيْنَ أَزْهَارِ الْخَرِيفِ الذَّاوِيَةِ^(٣)
وَتَلَاشْتُ فِي سُكُونِ الْإِكْتِيَابِ
كَصَدَى الْغَرِيدِ

★ ★ ★

كُفَّ عَنْ تِلْكَ الْأَغَانِي الْبَاسِمَةِ
أَيُّهَا الْعُصْفُورُ!
فَحَيَاتِي أَلْفَتْ لَحْنَ الْأَسَى
مِنْ زَمَانٍ قَدْ تَقَضَّى، وَعَسَى
أَنْ يُثِيرَ الشَّدْوُ، فِي صَمْتِ الْفُؤَادِ^(٤)
أَنَّهُ الْأَوْتَارُ...

★ ★ ★

لَا تُغْنِنِي أَغَارِيدَ الْمَبَاخِ
بُلْبُلَ الْأَفْرَاحِ!
فَقُؤَادِي وَهُوَ مَغْمُورُ الْجِرَاحِ
بِتَبَارِيحِ الْحَيَاةِ الْبَاكِئَةِ^(٥)
لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ السُّرُورِ
وَأَغَانِي النُّورِ
إِنْ مَنْ أَصْنَى إِلَى صَوْتِ الْمَنُونِ
وَصَدَى الْأَجْدَاثِ^(٦)

(٣) الذَّاوِيَةُ: الذَّابِلَةُ.

(٤) الشَّدْوُ: الغناء. يكرّر الشاعر محاولة نسيان ألمه ويطلب من العصفور الغريد أن يتعلّم أناشيد

الحزن انسجاماً مع نفسية الشاعر.

(٥) تَبَارِيح: جمع تبريح، وهي الشِّدَّة والضَّيق.

(٦) الْأَجْدَاث: القبور.

لَيْسَ تَسْتَهْوِيهِ أَلْحَانُ الطُّيُورِ
بَيْنَ أَزْهَارِ الرَّيِّعِ السَّاحِرَةِ
وَابْتِسَامَاتِ الْحَيَاةِ، السَّافِرَةِ^(٧)
عَنْ جَلَالِ اللَّهِ!

★ ★ ★

غَنِّني يَا صَاحِ ، أَنَاتِ الْجَحِيمِ
وَاسْقِنِي الْآلَامَ
أَتَرَعِ الْكَأْسَ بِأَوْجَاعِ الْهُمُومِ^(٨)
وَاسْقِنِي ، إِنِّي كَرِهْتُ الْابْتِسَامَ
غَنِّني نَدْبَ الْأَمَانِي الْخَائِبَةِ
وَاللَّيَالِي السُّودَ

★ ★ ★

غَنِّني صَوْتَ الظَّلَامِ الْمُكْتَتِبِ
إِنِّي أَهْوَاهُ
هَآكَ كَأْسَ الْقَلْبِ فَاْمَلُهَا نُوَاخُ
وَاسْكُبِ الْحُزْنَ بِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ!
إِنَّهَا مِنْ طِينَةِ الْحُزْنِ الْمَرِيرِ
صَاغَهَا الْخَلَاقُ

★ ★ ★

بُئِستِ الْأَفْرَاحُ ، أَفْرَاحُ الْحَيَاةِ^(٩)
إِنَّهَا أَحْلَامُ

(٧) السَّافِرَةُ : غير المقنعة .

(٨) أترع : ملاً . يقول الشاعر إنه كره الابتسام في حين أنه لم يذق طعمه الحقيقي .

(٩) بُئِستِ : بُئِسَ ، من أفعال الذَّم .

تَخْلُبُ اللَّبَّ بِأَلْحَانِ عَذَابٍ^(١٠)
وَأَغَارِيدَ، كَأَمْلَاقِ السَّمَا
ثُمَّ لَا تَلْبِثُ أَنْ تَذْوِي كَمَا
تَذْبُلُ الْأَزْهَارُ

★ ★ ★

خَبَّرْنِي، مَا الَّذِي خَلَفَ الْغُيُومَ...؟
رَبَّةَ الْأَحْلَامِ

أَفْتَى الْهَوْلَ، وَجَبَّارُ الْهُمُومِ؟
أَمْ عَرُوسُ الْأَمَلِ الْعَذْبِ الشَّرُودِ
تَتَهَادَى بَيْنَ لَأْلَاءِ الصَّبَاحِ؟^(١١)
كَمَلَاكِ النُّورِ

★ ★ ★

أَنَا فِي دَرْبِ الْحَيَاةِ الْغَامِضَةِ
تَائِهَةً، حَيْرَانُ
بَيْنَمَا أَبْصِرُ فِي وَجْهِ الْحَيَاةِ
ظُلْمَةً الْأَحْزَانِ فِي ظِلِّ الْأَلَمِ
إِذْ أَرَى فِي جَفْنَيْهَا نُورًا، بَدِيعُ
بَاسِمًا، فَتَانُ

★ ★ ★

هَا أَنَا أَسْمَعُ فِي قَلْبِ الْحَيَاةِ
صَيْحَةَ الْأَلَامِ

(١٠) تخلص: تسحر. إن أفراح هذا الكون هي خداع وهي قصيرة العمر كالزهور التي تذبل سريعاً.

(١١) لألاء: ضوء.

مُرَّةً تَنْسَابُ، مِنْ قَلْبِ حَظِيمٍ^(١٢)
 مَلَأَ الْحُزْنَ أَقْصِيهِ دُمُوعُ
 هَا أَنَا أَسْمَعُ أَصْوَاتَ السُّرُورِ
 كَضَّتِ الْإِيَّامُ^(١٣)

جمال الحياة

- 19 -

[من مجزوء الرمل]

وَقَدْ لَاحَتْ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ	سِرْتُ فِي الرُّوضِ ،
نَحْوَ رَبَّاتِ الْجَنَاحِ	وَجَنَاحُ الْفَجْرِ يُومِي
سَعْيَ غَيْدَاءٍ ، رَدَّاحِ ^(١)	وَالدُّجَى يَسْعَى رُوَيْدَا
سَجَسَجًا ، فَوْقَ الْبَطَاحِ ^(٢)	وَتَسِيمُ الصُّبْحِ يَسْرِي
نَ ، وَزَهْرُ الرُّوضِ صَاحِ	وَحَرِيرُ النَّهْرِ سَكْرًا
نَ ، جَوْنَاءُ اللَّيَاحِ ^(٣)	فَرَّتْ نَحْوَ جَلَالِ الْكُوْ
رِ قَاضِحِ أَيِّ افْتِضَاحِ ^(٤)	ثُمَّ بَانَتْ فِي سُفُو
مِسْ ، مِنْ كَأْسِ الْأَقَاحِ ^(٥)	فَاحْتَسَتْ خَمْرَ نَدَى الدَّاءِ

(١٢) تنساب: تجري. حطيم: محطّم.

(١٣) كض: لم أقع على تفسير لها، وربما كانت « كظاً » بمعنى امتلأ غضباً.

(١) الدجى: سواد الليل. غيداء: متمايلة بنعومة. الرّدّاح: الثقبلة الأوراك من النساء.

(٢) السجسج من الرياح: اللينة. البطاح: الأماكن المتسعة.

(٣) رنت: نظرت. الجوناء: الشمس. اللياح: الصّباح.

(٤) سفور: طلوع الشمس. يصف الشمس وقد أطلت على الطبيعة على طريقته الرومانطيقية.

(٥) احتست: شربت. يقول: إن الشمس أذابت الندى الذي يكلل تيجان الزهور.

وَاعْتَلَتْ بَلْقِيسُ عَرْشَ اللَّيْلِ ، فِي تِلْكَ النَّوَاحِي ^(٦)
تُمْ مَالَتْ لِغُرُوبِ بَعْدَ إِضْرَامِ الْكَفَّاحِ
وَاسْتَوَى اللَّيْلُ بِرَغَمِ الشَّمْسِ سِ فِي الْعَرْشِ الْفُسَّاحِ ^(٧)

★ ★ ★

هَكَذَا الدَّهْرُ بِأُزْيَاءِ غُدُوٍ ، وَرُوحِ ^(٨)
وَضِيَاءِ ، وَظَلَامِ وَسُكُونِ ، وَصِيَّاحِ
وَنَشِيدِ ، وَقَوَّاحِ وَانْقِبَاضِ ، وَانْشِرَاحِ ^(٩)
إِنَّمَا الدَّهْرُ وَمِثْلَا قُ اللَّيَالِي كَشَجَاحِ ^(١٠)

(٦) بلقيس: ملكة معروفة بجمالها .

(٧) الفُسَّاح: الفسيح .

(٨) أزياء: هيئات. يقول: إِنَّ للدَّهْر مدّاً وجزراً كما للبحر .

(٩) الفواح: انتشار الرائحة .

(١٠) الشَّجَاح: ربّما أراد الشَّحَاج وهو صوت الغراب، ولم أقع على تفسير آخر واضح في المعاجم التي بين يدي .

قافية الدّال

حديث المقبرة

— 20 —

«وهو حوارٌ فلسفيّ، مدارّه الحياة» «والموت، والخلود والكمال».

في ليلة مظلمة، من ليالي الصيف، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل، وفي ذلك السكون الشامل، والظلام المزكوم، اخذ يمشي بين أشجار الزيتون المزهرة في مسلك منفرد، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة، حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت الدهور.

وبين القبور الخرساء الجائمة تحت أضواء النجوم، حيث يتحدث كل شيء بجلال الموت وتفاهة الحياة، جلس الشاعر باقدام متعبة، ونفس ثائرة، واجفان قد اذبلتها الأحزان، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات، وتقلبت امامه صور الموت وأمواج الحياة، وتتابعت امامه رسوم الأيام الكثيرة، ما نام منها في قلب الأزل وما لم يزل ينمو في احشاء الأبد الكبير، وجاشت في قلبه هاته العصور والخواطر، وعجت في صدره عجيج الأمواج الثائرة، فאלقاها الى الليل في النشيد التالي:

[من المتقارب]

أَتَفْنِي ابْتِسَامَاتُ تِلْكَ الْجَفُونِ ؟^١ وَيَخْبُو تَوْهُّجُ تِلْكَ الْخُدُودِ ؟^(١)

(١) خبا: هداً وسكن.

وتَهْوِي إلى التُّرْبِ تلكَ النَّهْودُ؟^(٢)
وينحُلُ صَدْرُ، بَدِيعٍ، وَجِيدُ.
وفتنةُ ذاكَ الجمالِ الفَرِيدُ^(٣)
أنيقُ الغدائرِ، جَعْدٌ، مَدِيدُ
هَبَاءٌ، حَقِيرًا، وَتُرْبًا، زَهِيدُ
وَسُكْرُ الشَّبَابِ، الْغَرِيرِ، السَّعِيدُ

وتذوي وَرَيْدَاتُ تلكَ الشِّفَاهِ؟
وينهدُّ ذاكَ القَوامُ الرَّشِيقُ
وترِيدُ تلكَ الوُجُوهُ الصَّبَّاحُ
ويغبرُّ فرعٌ كجَنَحِ الظَّلَامِ
ويُصْبِحُ في ظُلُمَاتِ القُبُورِ
وينجابُ سِحْرُ الغَرامِ القويِّ

★ ★ ★

ويذهبُ هذا الفَضَاءُ البعيدُ؟
ويهرُمُ هذا الزَّمَانُ الْعَهِيدُ؟^(٤)
وليلُ الوجودِ، الرهيبُ، العتيدُ؟
وبَدْرٌ يُضِيءُ، وَغَيْمٌ يَجُودُ؟
وسِحْرٌ، يطرُرُ تلكَ البُرُودُ؟^(٥)
يَضُجُّ، وَيَذوي دويُّ الوليدِ؟
وتخطو إلى الغَابِ خَطُورُ الرُّعُودِ؟
كَأَنَّ صَدَاهَا زَيْيَرُ الْأَسُودِ
وتمشي، فتَهْوِي صُخُورُ النَّجُودِ؟^(٦)
وَتَهْتَفُ لِلْفَجْرِ بَيْنَ الْوُرُودِ؟
وَيَنْهَلُ مِنْ كُلِّ ضَوْءٍ جَدِيدُ؟
وَنَفْحُ الشَّبَابِ، الْحَيِّ، السَّعِيدُ؟
ليلهُو بها الموتُ خَلْفَ الْوُجُودِ..

أَتَطْوِي سَمَوَاتُ هذا الوجودِ؟
وَتَهْلِكُ تلكَ النُّجُومُ الْقُدَامَى؟
ويقضي صَبَاحُ الحَيَاةِ الْبَدِيعُ؟
وشمسٌ توشِّي رداءَ الغمامِ؟
وضوءٌ، يُرْصَعُ مَوْجَ الْغَدِيرِ؟
وبحرٌ فسيحٌ، بعيدُ الْقَرَارِ،
وريحٌ، تمرُّ مُرُورَ الْمَلَائِكِ،
وعاصفةٌ من بناتِ الْجَحِيمِ،
تَعِجُّ، فَتَذوي حنايا الْجِبَالِ
وطيرٌ، تَغْنِي خِلَالَ الْغُصُونِ،
وزهرٌ، يَنْمِقُ تلكَ التَّلَالِ
ويعَبِقُ مِنْهُ أريجُ الْغَرامِ
أيسْطُو على الكُلِّ ليلُ الْفَنَاءِ

(٢) تذوي: تذبل.

(٣) اريد: صار أغبر اللون.

(٤) العهد: القديم العهد.

(٥) البرود: نوع من الألبسة.

(٦) النجود: جمع نجد، وهو الأرض المشرفة المرتفعة.

وَيَنْثُرَهَا فِي الْفِرَاقِ الْمُخِيفِ كَمَا تَنْثُرُ الْوَرْدَ رِيحٌ شَرُودُ
فَيَنْضُبُ يَمُّ الْحَيَاةِ، الْخَضَمُ وَيَخْمَدُ رُوحُ الرَّيِّعِ، الْوَلُودُ^(٧)
فَلَا يَلْثُمُ النَّورُ سِحْرَ الْخُدُودِ وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ غَضَّ الْوَرُودِ؟

★ ★ ★

كَبِيرٌ عَلَى النَّفْسِ هَذَا الْعَفَاءُ! وَصَعْبٌ عَلَى الْقَلْبِ هَذَا الْهَمُودُ^(٨)
وَمَاذَا عَلَى الْقَدَرِ الْمَسْتَمِرُّ لَوْ اسْتَمَرَّ النَّاسُ طَعَمَ الْخُلُودِ^(٩)
وَلَمْ يُخَفِّرُوا بِالْخَرَابِ الْمَحِيطِ وَلَمْ يُفَجِّعُوا فِي الْحَبِيبِ الْوُدُودُ^(١٠)
وَلَمْ يَسْلُكُوا لِلْخُلُودِ الْمَرْجَى سَبِيلَ الرَّدَى، وَظِلَامَ اللَّحُودِ
فَدَامَ الشَّبَابُ، وَسِحْرُ الْغَرَامِ، وَفَنُّ الرَّيِّعِ، وَلُطْفُ الْوَرُودِ
وَعَاشَ الْوَرَى فِي سَلَامٍ، أَمِينٍ وَعِيشَ، غَضِيرٍ، رَخِيٍّ، رَغِيدُ^(١١)
وَلَكِنْ هُوَ الْقَدَرُ الْمُسْتَبَدُّ يَلْدُ لَهُ نَوْحُنَا، كَالنَّشِيدِ!

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت تزور
جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب، فاشفقت على
الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته الظامّة، فارادت ان
تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد اليقين فخاطبته بهات الأبيات:

تَبَرَّمْتَ بِالْعِيشِ خَوْفَ الْفَنَاءِ وَلَوْ دُمْتَ حَيًّا سَمَتَ الْخُلُودُ
وَعِشْتَ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الْجِبَالِ جَلِيلًا، رَهِييًّا، غَرِيبًا، وَحِيدًا
فَلَمْ تَرْتَشِفْ مِنْ رُضَابِ الْحَيَاةِ وَلَمْ تَصْطَبِحْ مِنْ رَحِيقِ الْوُجُودِ^(١٢)

(٧) اليم: البحر. الخضم: الكثير العطاء.

(٨) العفاء: الزوال وأمحاء الأثر. الهمود: السكون.

(٩) استمرأ: تذوق.

(١٠) خفر: نقض العهد.

(١١) الورى: الناس. الغضير: الناعم من كل شيء.

(١٢) الرضاب: الشراب العذب وأصلها الريق.

وما سِخِرُ ذاكِ الرَّبِّيعِ الوليدُ
وما صرخَةُ القلبِ عندَ الصَّدودِ
ولم تحتفلِ بالمرامِ البعيدِ^(١٣)
من الكونِ - وهو المقيمُ العهيدُ؟
من الكونِ - وهو المقيمُ الأبيدُ - ؟
نِظَامٌ، دَقِيقٌ، بَدِيعٌ، فَرِيدٌ
ولا زَانَهُ غَيْرُ خَوْفِ اللُّحودِ
لما أدركَ النَّاسُ معنى السُّعُودِ
لَمْ يَغْتَبِطْ بالصَّبَاحِ الجَدِيدِ^(١٤)

وما نشوَةُ الحبِّ عندَ المحبِّ
ولم تدرِ ما فتنَةُ الكائناتِ
ولم تفتكرِ بالغَدِ المسترابِ
وماذا يُرَجِّي رَيْسُ الخلودِ
وماذا يودُّ وماذا يخافُ
تَأَمَّلْ...، فَإِنَّ نِظَامَ الحَيَاةِ
فما حَبَّبَ العِيشَ إِلَّا الفَنَاءُ
ولولا شقاءُ الحَيَاةِ الأليمِ
ومن لم يرُعْهُ قُطُوبُ الدِّياجيرِ

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح، فقال يحاورها:

مَنَاصٌ لِمَنْ حَلَّ هَذَا الوجودُ^(١٥)
وهذا الصِّراعُ، العنيفُ، الشَّدِيدُ
وتلك الأغاني، وذاك النِّشِيدُ؟
وتلك النُّجومُ، وهذا الصَّعِيدُ^(١٦)
سِرَاعاً، وَلَكِنَّا لَا نَعُودُ
ومنه الرِّفيعُ، ومنه الزَّهيدُ
ومِنهُ المَشِيدُ، وَمِنهُ المَبِيدُ
وتلك العهودِ الَّتِي لَا تَعُودُ
وفيها الشَّقِيُّ، وفيها السَّعِيدُ
وفيها الوديعُ، وفيها العنيدُ

إذا لم يكن من لقاء المنايا
فأَيُّ غِنَاءٍ لَهْذِي الحَيَاةِ
وذاك الجمال الذي لا يُمَلُّ
وهذا الظَّلَامُ، وذاك الضِّيَاءُ
لماذا نمرُّ بوادي الزَّمانِ
فَنَشْرَبَ مِنْ كُلِّ نَبْعٍ شَرَاباً
ومِنهُ اللَّذِيدُ، وَمِنهُ الكَرِيمُ،
وَنَحْمِلُ عُبْئاً مِنَ الذِّكْرِيَّاتِ
ونشهدُ أَشْكَالَ هَذي الوجوهِ
وفيها البَدِيعُ، وفيها الشَّنِيعُ،

(١٣) المستراب: الذي يحيط به الشك والريبة.

(١٤) قطوب: عبوس. الدياجير: الظلمات.

(١٥) مناص: بد.

(١٦) الصعيد: الأرض.

فَيُصْبِحُ مِنْهَا الْوَلِيُّ، الْحَمِيمُ،
وَكُلٌّ - إِذَا مَا سَأَلْنَا الْحَيَاةَ -
أَتَيْنَاهُ مِنْ عَالَمٍ، لَا نَرَاهُ
وَمَا شَأْنُ هَذَا الْعَدَاءِ الْعَنِيفِ؟
وَيُصْبِحُ مِنْهَا الْعَدُوُّ، الْحَقُّودُ،
غَرِيبٌ لَعَمْرِي بِهَذَا الْوَجُودُ
فُرَادَى، فَمَا شَأْنُ هَذَا الْحَقُّودِ؟
وَمَا شَأْنُ هَذَا الْإِخَاءِ الْوَدُودِ؟

روح الفيلسوف

خُلِقْنَا لِنَبْلُغَ شَأْوَ الْكَمَالِ
وَتَطْهَرُ أَرْوَاحُنَا فِي الْحَيَاةِ
وَنَكْسِبَ مِنْ عَثَرَاتِ الطَّرِيقِ
وَمَجْدًا، يَكُونُ لَنَا فِي الْخُلُودِ
وَنُصْبِحَ أَهْلًا لِمَجْدِ الْخُلُودِ^(١٧)
بِنَارِ الْأَسَى....^(١٨)
قُوًى، لَا تَهْدُ بِدَأْبِ الصُّعُودِ^(١٩)
أَكَالِيلَ مِنْ رَائِعَاتِ الْوُرُودِ

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح، في طريقها الى العالم
المجهول، فطاررت معها روح الفيلسوف، وخلفت عالم الشك
والكتابة لأبنائه البائسين. وظل الشاعر يردد بينه وبين نفسه:

« خُلِقْنَا لِنَبْلُغَ شَأْوَ الْكَمَالِ وَنُصْبِحَ أَهْلًا لِمَجْدِ الْخُلُودِ »

ولكن أفكاره النائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلح عليه
بالأسئلة الكثيرة المرهقة فقال يناجي روح الفيلسوف التي حسبها ما
زالت قريبة منه :

وَلَكِنْ إِذَا مَا لَبَسْنَا الْخُلُودَ
فَهَلْ لَا نَمَلُّ دَوَامَ الْبَقَاءِ؟
وَكَيْفَ يَكُونَنَّ هَذَا « الْكَمَالُ » :
وَنَلْنَا كَمَالَ النَّفُوسِ الْبَعِيدِ
وَهَلْ لَا نَوَدُّ كَمَالًا جَدِيدَ
وَمَاذَا تُرَاهُ؟ وَكَيْفَ الْخُدُودُ؟

(١٧) الشَّوْ: الغاية.

(١٨) بياض بالأصل والمسودة.

(١٩) الدَّأْب: العادة والشَّان.

وإنَّ جمالَ «الكمال» «الطَّموح»
 فما سِحرُهُ إنَّ غداً «واقعاً»
 وهل ينطفئ في النفوس الحنينُ
 فلا تطمحُ النَّفْسُ فوقَ الكمالِ
 إذا لم يَزَلْ شوقُها في الخلودِ
 وحربٌ، ضروسٌ، كما قد عهدتُ
 وإنَّ زال عنها فذاك الفناءُ
 وما دامَ «فكراً» يُرى من بعيدٍ
 يُحسُّ، وأصبحَ شيئاً شهيداً؟
 وتصبحُ أشواقنا في خُمودٍ^(٢٠)
 وفوق الخلودِ لبعضِ المزيّدِ؟
 فذاك لَعَمري شقاءُ الجدودِ^(٢١)
 ونَصْرٌ، وكسرٌ وهمٌ مديدٌ^(٢٢)
 وإنَّ كان في عَرَصاتِ الخلودِ^(٢٣)



كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف، ولكنها كانت اذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه، وكذلك ضاعت اسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا يجيب.

الى الموت

[من المتقارب]

— 21 —

صَبِيَّ الحِياةِ، الشَّقِيَّ العَبيدُ
 أَتُنشِدُ صوتَ الحِياةِ الرَخيِمَ،
 وَتَطْلُبُ وَرْدَ الصَّبَّاحِ المَخِ
 إلى الموتِ! إن شئتَ هَوْنَ الحِ
 أَلَا قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلَالِ البَعيدُ!
 وَأَنْتَ سَاجِدٌ بِهَذَا الوجودِ؟
 ضَبَّ مِنْ كَفِّ حَقْلٍ، حَصِيدِ؟^(١)
 اة، فَخَلَفَ ظلامِ الرَّدَى ما تُريدُ...



(٢٠) الخمود : سكون النار .

(٢١) الجدود : الحظوظ .

(٢٢) الضروس : الشديدة المهلكة .

(٢٣) عَرَصات : ساحات .

(١) البيت مختل الوزن : تنقصه تفعيلة .

إلى الموت! يا ابنَ الحياةِ التَّعيسَ، ففِي الموتِ صَوْتُ الحياةِ الرَّخِيمِ
إلى الموتِ؟ إنْ عَذَّبْتُكَ الدَّهْورُ، ففِي الموتِ قَلْبُ الدَّهْورِ الرَّحِيمِ
إلى الموتِ! فالْمَوْتُ رُوحٌ جَمِيلٌ، يُرْفَرُفُ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الْغُيُومِ
فَرُوحاً بِفَجْرِ الْخُلُودِ الْبَهِيحِ، وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بَنَاتِ النُّجُومِ...

★ ★ ★

إلى الموتِ! فالْمَوْتُ جَامٌّ رَوِيٌّ لِمَنْ أَظْمَأَتْهُ سُمُومُ الْفَلَاةِ^(٢)
وَلَسْتَ بِرَاوٍ - إِذَا مَا ظَمِئْتَ - مِنَ الْمَنْبَعِ الْعَذْبِ قَبْلَ الْمَمَاتِ
فَمَا الدَّمْعُ إِلَّا شَرَابُ الدَّهْورِ، وَمَا الْحُزْنُ إِلَّا غِذَاءُ الْحَيَاةِ
إلى الموتِ! فالْمَوْتُ مَهْدٌ وَثِيرٌ، تَنَامُ بِأَحْضَانِهِ الْكَائِنَاتِ^(٣)

★ ★ ★

إلى الموتِ! إِنْ حَاصَرَتْكَ الْخُطُوبُ، وَسَدَّتْ عَلَيْكَ سَبِيلَ السَّلَامِ
ففِي عَالِمِ الْمَوْتِ تَنْضُو الْحَيَاةَ رِذَاءَ الْأَسَى، وَقِنَاعَ الظَّلَامِ^(٤)
وتَبْدُو، كَمَا خُلِقْتَ غَضَّةً يَفِيضُ عَلَى وَجْهِهَا الْإِبْتِسَامُ
تُعِيدُ عَلَيْهَا ظِلَالَ الْخُلُودِ، وَتَهْفُو عَلَيْهَا قُلُوبُ الْأَنْفَامِ

★ ★ ★

إلى الموتِ! لَا تَخْشَ أَعْمَاقَهُ ففِيهَا ضِيَاءُ السَّمَاءِ الْوَدِيعِ
وفِيهَا تَمِيسُ عِذَارَى السَّمَاءِ، عَوَارِي، يُنْشِدُنَ لَحْناً بَدِيعاً...^(٥)
وفِي رَاحِيَتَيْنِ غُصُونُ النَّخِيلِ يُحَرِّكْنَهَا فِي فَضَاءٍ يَضُوعُ...^(٦)

(٢) جام: إناء من فضة يتخذ للشراب. سموم: رياح حارة. الفلاة: الصحراء.

يقول: إن الموت هو الخلاص الوحيد لمن أظلمت بوجهه هذه الدنيا.

(٣) وثير: ناعم.

(٤) نضا الثوب: خلعه.

(٥) تميس: تختال.

(٦) يضوع: يفوح عطره.

تضيءُ بهِ بَسَمَاتُ الْقُلُوبِ، وتخبو بهِ حَسَرَاتُ الدُّمُوعِ^(٧)



هو الموتُ طيفُ الخلودِ الجميلِ، وَنِصْفُ الحَيَاةِ الذي لا يَنُوحُ
هناك... خَلْفَ الْقَضَاءِ البعيدِ، يَعِيشُ المَنُونُ الْقَوِيُّ الصَّبُّوحُ
يَضُمُّ الْقُلُوبَ إِلَى صَدْرِهِ، لِيَأْسُو مَا مَضَّهَا مِنْ جُرُوحِ^(٨)
وَيُبْعَثَ فِيهَا رَيِّعَ الحَيَاةِ، وَيُبْهِجَهَا بِالصَّبَّاحِ الْفَرُوحِ^(٩)

قلب الشاعر

— 22 —

[من الرَّمْل]

نامَ، أو حَامَ على هذا الوجود ^(١)	كلُّ ما هَبَّ، وما دَبَّ، وما
وينابيعَ، وأغصانٍ تَمِيدُ ^(٢)	مِنْ طَيُورٍ، وَزُهُورٍ، وشَذَى
وبراكينَ، ووديانٍ، وبيدٍ ^(٣)	وبحارٍ، وكهوفٍ، وذُرَى
وفصولٍ، وغَيُولٍ، ورعوذٍ ^(٤)	وضيَاءٍ، وظلالٍ، ودَجَى،
وأعاصيرَ، وأمطارٍ تجوذُ	وثُلُوجٍ، وضبابٍ عَابِرٍ،
وأحاسيسَ، وصَمْتٍ، ونشيدٍ	وتعاليمَ، وَدِينٍ، ورؤَى
غُضَّةَ السَّحَرِ، كأطفالِ الخلودِ	كلُّها تحيا بقلبي، حرَّةَ



-
- (٧) يخبو: يخمد، يهدأ.
(٨) مض: ألم. أي أن لا خلاص للإنسان المعذب إلا بالموت.
(٩) الفروح: الشديد الفرح، واستعمال هذا الاشتقاق نادر.
(١) دب: مشى مشياً بطيئاً.
(٢) الشذى: الرائحة الزكية. ماد: تحرك واضطرب.
(٣) بيد: جمع بيدا، وهي الصَّحراء.
(٤) غيول: جمع غيل، وهو الشجر الكثيف الملتف.

ههنا، في قلبي الرُحْب، العميقُ
ههنا، تَعَصِفُ أهوالُ الدُّجَى
ههنا، تَهْتَفُ أصداءُ الفَناءِ
ههنا، تَمْشِي الأماني، والهوى،
ههنا الفَجْرُ الذي لا ينتهي
ههنا، أَلْفُ خِصَمٍّ، ثَائِرٍ
ههنا، في كلِّ آنٍ تَمْحِي

يرْقُصُ الموتُ وأطيافُ الوجودِ
ههنا، تخْفُقُ أحلامُ الورودِ
ههنا، تُعزَفُ ألحانُ الخلودِ
والأسى، في مَوْكِبٍ فُخْمِ النَّشِيدِ
ههنا اللَّيْلُ الذي ليسَ يَبِيدُ^(٥)
خالدِ الثُّورَةِ، مجهولِ الحُدودِ^(٦)
صُورُ الدُّنْيَا، وتبدو من جَدِيدِ

رثاءُ فجري

[من الكامل]

— 23 —

يا أيُّهَا الغَابُ، المُنَمَّقُ بالأشْعَةِ والوردِ!
يا أيُّهَا النُّورُ النَّقِيُّ! وأيُّهَا الفَجْرُ البَعِيدُ!
أينَ اختفيتَ؟ وما الذي أَقْصَاكَ عن هذا الوجودِ
آه! لقدَ كَانَتْ حَيَاتِي فيكَ حَالِمَةً، تَمِيدُ^(١)
بينَ الخُمائلِ، والجداولِ، والترنمِ، والنَّشِيدِ
تُصْغِي لنجواكَ الجميلةِ، وهي أغْنِيَةُ الخلودِ
وتعيشُ في كَوْنٍ مِنَ الغَفَلاتِ، فَتَّانٍ، سَعِيدِ
آه! لقدَ غَنَى الصَّبَّاحُ، فَدَمَدَمَ اللَّيْلُ العَتِيدُ^(٢)
وتألَّقَ النَّجْمُ الوَضِيءُ، فَأَعْتَمَ الغَيْمُ الرُّكُودُ
ومضى الرَّدَى بِسَعَادَتِي، وقضى على الحُصْبِ الولِيدِ

(٥) يبيد : يزول وينتهي.

(٦) الخضمُّ : البحر العظيم.

(١) تميد : تضطرب وتحرك.

(٢) دمدم : غضب.

المجد

— 24 —

[من الطويل]

يَوَدُّ الْفَتَى لَوْ خَاضَ عَاصِفَةً الرَّدَى
لِيُدْرِكَ أَمْجَادَ الْحُرُوبِ، وَلَوْ دَرَى
فَمَا الْمَجْدُ فِي أَنْ تُسْكِرَ الْأَرْضَ بِالْدِّمَا
وَلَكِنَّهُ فِي أَنْ تَصُدَّ بِهَمَّةٍ
وَصَدَّ الْخَمِيسَ الْمَجْرَ وَالْأَسَدَ الْوَرْدَا^(١)
حَقِيقَتَهَا مَا رَامَ مِنْ بَيْنِهَا مَجْدًا
وَتَرَكَّبَ فِي هَيْجَانِهَا فَرَسًا نَهْدًا^(٢)
عَنِ الْعَالَمِ الْمَرْزُوءِ، فَيُضِلَّ الْأَسَى صَدَا^(٣)

صلوات في هيكَلِ الْحَبِّ

— 25 —

[من الخفيف]

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطَّفُولَةِ، كَالْأَحْلَامِ
كَالسَّمَاءِ الضُّحُوكِ كَاللَّيْلِ الْقَمَرَاءِ
يَا لَهَا مِنْ وَدَاعَةٍ وَجَمَالٍ
يَا لَهَا مِنْ طَهَارَةٍ، تَبْعُثُ التَّقْدِيرَ
يَا لَهَا رَقَّةً تَكَادُ يَرْفُ الْوَرْدُ
أَيُّ شَيْءٍ تُرَاكِ؟ هَلْ أَنْتِ «فِينِيسُ»
لَتُعِيدَ الشَّبَابَ وَالْفَرَحَ الْمَعْسُولَ لِلْعَالَمِ التَّعِيسِ الْعَمِيدِ^(١)
كَاللَّحْنِ، كَالصَّبَاحِ الْجَدِيدِ
كَالْوَرْدِ، كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ
وَشَبَابِ مَنْعَمٍ أُمْلُودِ^(٢)
سَ فِي مَهْجَةِ الشَّقِيِّ الْعَنِيدِ! ...
دُ مِنْهَا فِي الصَّخْرَةِ الْجُلْمُودِ!
تَهَادَتْ بَيْنَ الْوَرَى مِنْ جَدِيدِ^(٣)
لَتُعِيدَ الشَّبَابَ وَالْفَرَحَ الْمَعْسُولَ لِلْعَالَمِ التَّعِيسِ الْعَمِيدِ^(٣)

(١) الخميس: الجيش المؤلف من خمسة فرق. المجر: الجيش العظيم. الورد: الأسد الشجاع.

(٢) الهيجاء: الحرب. النهْد من الفرسان: الجميل، والجسيم، والمشرق.

(٣) المرزوء: من الرّزء، وهي المصيبة. يريد القول أن البطولة الحقّة هي في ردّ الظلم عن بني البشر.

(١) الأملود: الناعم اللّتين.

(٢) فينيس: إلهة الجمال عند اليونان.

(٣) العميد: الشّديد الحزن.

أم ملاك الفردوس جاء إلى الأَر
 أنتِ... ما أنتِ؟ أنتِ رسمٌ جميلٌ
 فيكِ ما فيه من غموضٍ وعمقٍ
 أنتِ.. ما أنتِ؟ أنتِ فجرٌ من السَّحرِ
 فأراه الحياةَ في مُونِقِ الحُسْنِ
 أنتِ روحُ الرِّبيعِ، تختالُ في الدُّنيا فتَهتَزُّ رائعاتُ الورودِ
 وتهبُّ الحياةُ سكرى من العُطرِ، ويدوي الوجودُ بالتغريدِ
 كلما أبصرتكِ عيناىَ تمشينِ
 خَفَقَ القلبُ للحياة، ورفَّ الزَّهرُ في حقلِ عمريِ المجرودِ^(٥)
 وانتشتُ روحي الكئيبةَ بالحبِّ
 أنتِ تُحيينَ في فؤادي ما قد
 وتُشيدَينَ في خرائبِ روحي
 من طموحٍ إلى الجمالِ إلى الفنِّ،
 وتُبشِّينَ رَقَّةَ الشَّوقِ، والأحلامِ
 بعد أن عانقتُ كآبةَ أيَّامي
 أنتِ أنشودةُ الأنشيدِ غناكِ
 فيكِ شَبُّ الشَّبابِ، وشَّحُّ السَّخَرِ
 وتراءى الجمالُ، يَرُقُصَ رقصاً
 وتهادتُ في أفقِ روحكِ أوزانُ
 فتَمايلتِ في الوجودِ، كلحنِ

(٤) العهد: القديم. يشير إلى الملائكة التي تشارك المرأة في صفات الجمال.

(٥) المعمود: الحزين.

(٦) المونق: الحسن المعجب. كأنما يقول إنَّ جمال الوجود مُستمد من جمال المرأة.

(٧) المجرود: الذي يغمره القحط. أي أنَّ الحياة جرداء بدون المرأة.

(٨) المجدود: اليابس. الخمرة هي مصدر كلِّ إلهام ووحى.

خطوات، سكرانة بالأناشيد، وصوت، كَرَجَعِ نايٍ بعيدٍ
 وقوام، يَكَادُ يَنْطُقُ بالألحان في كلِّ وقفةٍ وقعودٍ
 كلُّ شيءٍ موقعٌ فيك، حتّى لَفَحَةُ الجيدِ، واهتزازُ النهودِ^(٩)
 أنتِ...، أنتِ الحياةُ في قدسها السّامي، وفي سحرها الشّجيّ الفريدِ
 أنتِ...، أنتِ الحياةُ، في رِقّةِ الفجرِ في رونقِ الرّبيعِ الوليدِ
 أنتِ...، أنتِ الحياةُ، كلِّ أوانٍ في رُواءٍ من الشّبابِ، جديدِ^(١٠)
 أنتِ...، أنتِ الحياةُ فيك وفي عَيْنَيْكِ آياتُ سحرها الممدودِ
 أنتِ دنيا من الأناشيد والأحلام
 أنتِ فوق الخيالِ، والشّعْرِ، والفنِّ
 أنتِ قُدسي، ومعبدي، وصباحي، وربيعي، وتَشَوّتي، وخُلودي



يا ابنة النّور، إنني أنا وخدي
 فدعيني أعيشُ في ظِلِّكَ العذبِ
 عيشةً للجمالِ والفنِّ والإلهامِ
 عيشةً النَّاسِكِ البتولِ يُناجي الرّ
 وامنحيني السلامَ والفرحَ الرّو
 وارحميني، فقد تهدمتُ في كو
 أنقذيني من الأسى، فَلَقَدْ أُمْسِيَتْ لا أَسْتَطِيعُ حَمْلَ وجودي
 في شِعَابِ الزّمانِ والموتِ أمشي تحت عبءِ الحياة جَمَّ القيودِ
 وأماشِي الورى ونفسي كالقبرِ، وقلبي كالعالمِ المهْدودِ:
 ظلّمةً، ما لها ختامٌ، وهولٌ شائعٌ في سكونها الممدودِ

(٩) الجيد: أعلى الصّدر.

(١٠) الرّواء: حسن المنظر.

(١١) الدّهول: الغياب عن الرّشد.

تَبَسَّمتُ فِي أَسَى وَجُمُودِ
 مِنَ الشَّوْكِ ذَابِلَاتِ الْوُرُودِ
 وَشُدِّي مِنْ عَزَمِي الْمَجْهُودِ
 أَنْغَنِي مَعَ الْمَنَى مِنْ جَدِيدِ
 بُبْلِيٍّ، مُكَبَّلٍ بِالْحَدِيدِ
 حَيَاةَ الْمُحَطَّمِ الْمَكْدُودِ^(١٢)
 أَنْقِذْنِي، فَقَدْ مَلِيتُ رَكُودِي!^(١٣)

وَإِذَا مَا اسْتَخَفَّنِي عَبَثُ النَّاسِ
 بَسَمَةً مَرَّةً، كَأَنِّي أُسْتَلُّ
 وَأَنْفَخِي فِي مَشَاعِرِي مَرَحَ الدُّنْيَا
 وَابْعَثِي فِي دَمِي الْحَرَارَةَ، عَلَّيْ
 وَأَبْثُ الْوُجُودَ أَنْغَامَ قَلْبِ
 فَالْصَّبَّاحُ الْجَمِيلُ يُنْعِشُ بِالْدَفْءِ
 أَنْقِذْنِي، فَقَدْ سَمْتُ ظَلَامِي!



مَا جَدَّ فِي فَوَادِي الْوَحِيدِ
 مِنَ السَّحَرِ ذَاتُ حُسْنٍ فَرِيدِ
 تَنْثُرُ النُّورَ فِي فَضَاءٍ مَدِيدِ
 فِي سَكْرَةِ الشَّبَابِ السَّعِيدِ
 وَلَا ثَوْرَةَ الْخَرِيفِ الْعَتِيدِ
 بِأَنَاشِيدِ حُلُوةِ التَّغْرِيدِ^(١٤)
 أَوْ طَلْعَةِ الصَّبَّاحِ الْوَلِيدِ
 كَأَبَادِيدَ مِنْ نُّثَارِ الْوُرُودِ^(١٥)
 صُورَةَ مِنْ حَيَاةِ أَهْلِ الْخُلُودِ
 وَالْهَامُ حُسْنُكَ الْمَعْبُودِ
 شَادَهُ الْحُسْنُ فِي الْفَوَادِ الْعَمِيدِ^(١٦)

آه يَا زَهْرَتِي الْجَمِيلَةَ لَوْ تَدْرِينَ
 فِي فَوَادِي الْغَرِيبِ تُخَلِّقُ أَكْوَانٌ
 وَشُمُوسٌ وَضَمَاءٌ وَنُجُومٌ
 وَرَبِيعٌ كَأَنَّهُ حُلْمُ الشَّاعِرِ
 وَرِياضٌ لَا تَعْرِفُ الْحَلْكَ الدَّاجِي
 وَطُيُورٌ سَحَرِيَّةٌ تَتَنَاقَى
 وَقُصُورٌ كَأَنَّهَا الشَّقَقُ الْمُخْضُوبُ
 وَغَيُومٌ رَقِيقَةٌ تَتَهَادَى
 وَحَيَاةٌ شَعْرِيَّةٌ هِيَ عِنْدِي
 كُلُّ هَذَا يَشِيدُهُ سِحْرُ عَيْنِكَ
 وَحَرَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَهْدِمِي مَا

(١٢) المكدود : المغلوب .

(١٣) الرِّكُود : الجمود والسكون .

(١٤) تتناغى : تتبادل الكلام اللطيف .

(١٥) أباديد : متفرقة . النُّثَار : الشيء المنثور .

(١٦) العميد : الحزين .

وحرامٌ عليكِ أَنْ تَسْحَقِي آمَالَ نَفْسٍ تَصْبُو لِعَيْشٍ رَغِيدٍ
منكِ تَرْجُو سَعَادَةً لَمْ تَجِدْهَا فِي حَيَاةِ الْوَرَى وَسِحْرِ الْوُجُودِ
فَالْإِلَهُ الْعَظِيمُ لَا يَرْجُمُ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ فِي جَلَالِ السُّجُودِ

قلت للشعر

[من الخفيف]

— 26 —

تَتَغَنَّى، وَقِطْعَةً مِنْ وَجُودِي
أُبْدِي إِلَى صَمِيمِ الْوُجُودِ
فِيكَ مَا فِي عَوَاطِفِي مِنْ نَشِيدِ
لَا يُغْنِي، وَمِنْ سُرُورِ عَهْدِ^(١)
سَرْمَدِيٍّ، وَمِنْ صَبَاحِ وَلِيدِ
ضَاكِحَاتِ خَلْفِ الْغَمَامِ الشَّرُودِ
وَسَرَابٍ، وَيَقْظَةِ، وَهَجُودِ
وَابْتِسَامٍ، وَغِبْطَةِ، وَسُعُودِ
وَشَجُونٍ، وَبَهْجَةِ، وَجُمُودِ
تَتَشَّى سَنَابِلِي وَوُرُودِي^(٢)
عَلَى مَسْمَعِ الشَّبَابِ السَّعِيدِ
السَّاحِرِ مَا لَذَّ مِنْ ثَمَارِ الْخُلُودِ
شَاكِبِ اللَّوْنِ، عَارِي الْأُمُودِ^(٣)
مِي وَغَشْتُهُ بِالْغَيُومِ السُّودِ

أَنْتَ يَا شِعْرُ، فَلَذَّةٌ مِنْ فُؤَادِي
فِيكَ مَا فِي جَوَانِحِي مِنْ حَنِينِ
فِيكَ مَا فِي خَوَاطِرِي مِنْ بَكَاءِ
فِيكَ مَا فِي مَشَاعِرِي مِنْ وَجُومِ
فِيكَ مَا فِي عَوَالِمِي مِنْ ظَلَامِ
فِيكَ مَا فِي عَوَالِمِي مِنْ نَجُومِ
فِيكَ مَا فِي عَوَالِمِي مِنْ ضَبَابِ
فِيكَ مَا فِي طِفُولَتِي مِنْ سَلَامِ،
فِيكَ مَا فِي شَبِيتِي مِنْ حَنِينِ،
فِيكَ - إِنْ عَانِقَ الرَّبِيعُ فُؤَادِي -
وَيُغْنِي الصَّبَاحُ أَنْشُودَةَ الْحَبِّ،
ثُمَّ أَجْنِي فِي صَيْفِ أَحْلَامِي
فِيكَ يَبْدُو خَرِيفُ نَفْسِي مَلُولًا،
حَلَلْتَهُ الْحَيَاةُ بِالْحَزَنِ الدَّاءِ

(١) العهد : القديم .

(٢) تتشَّى : تتمايل .

(٣) الأملود : الناعم اللين من الناس والشجر .

فِيكَ يَمْشِي شِتَاءُ أَيَّامِي الْبَا
وَتَجِفُّ الزُّهُورُ فِي قَلْبِي الدَّاءُ
أَنْتَ يَا شِعْرُ قِصَّةٍ عَنْ حَيَاتِي
أَنْتَ يَا شِعْرُ - إِنْ فَرِحْتُ - أَغَارِيدِي
أَنْتَ يَا شِعْرُ كَأْسُ خَمْرٍ عَجِيبٍ
أَتَحَسَّاهُ فِي الصَّبَاحِ ، لِأَنْسَى
وَأُنَاجِيهِ فِي الْمَسَاءِ ، لِيُلْهِئَنِي
أَنْتَ مَا نِلْتُ مِنْ كَهْوفِ اللَّيَالِي
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَلَكٍ ، دَا
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ نَفَمٍ ،
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ جَبَلٍ ، وَعَرٍ ،
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ حَسَكٍ ، يُدْمِي ،
فِيكَ مَا فِي الْوُجُودِ .. حَبَّ بَنُو الْأَرْضِ قَصِيدِي ، أَمْ لَمْ يُحِبُّوا قَصِيدِي
فَسِوَاءٌ عَلَى الطَّيُورِ - إِذَا غَنَّتْ - هُتَافُ السَّوُومِ وَالْمُسْتَعِيدِ
وَسِوَاءٌ عَلَى النُّجُومِ - إِذَا لَاحَتْ - سَكُونُ الدُّجَى وَقَصْفُ الرُّعُودِ
وَسِوَاءٌ عَلَى التَّسِيمِ أَفْئِ الْقَفْرِ تُغْنِي ، أَمْ بَيْنَ غَضِّ الْوُرُودِ
وَسِوَاءٌ عَلَى الْوُرُودِ ، أَفْئِ الْغِيرَانِ فَاحَتْ ، أَمْ بَيْنَ نَهْدٍ وَجِيدٍ^(٧)

كِي ، وَتَرْغِي صَوَاعِقِي وَرُعُودِي^(٤)
جِي ، وَتَهْوِي إِلَى قَرَارٍ بَعِيدٍ ..
أَنْتَ يَا شِعْرُ صُورَةٍ مِنْ وَجُودِي
- وَإِنْ غَنَّتِ الْكَابَةُ - عُودِي
أَتَلَهَّى بِهِ خِلَالِ اللَّحُودِ ..!
مَا تَقْضَى فِي أَمْسِي الْمَفْقُودِ^(٥)
مَرَاةً عَنِ الصَّبَاحِ السَّعِيدِ^(٦)
وَتَصَفَّحْتُ مِنْ كِتَابِ الْخُلُودِ
ج ، وَمَا فِيهِ مِنْ ضِيَاءٍ ، بَعِيدِ
حُلُوهٍ ، وَمَا فِيهِ مِنْ ضَجِيجٍ ، شَدِيدِ
وَمَا فِيهِ مِنْ حَضِيضٍ ، وَهِيدِ
وَمَا فِيهِ مِنْ غَضِيضٍ الْوُرُودِ
أَمْ لَمْ يُحِبُّوا قَصِيدِي
هُتَافُ السَّوُومِ وَالْمُسْتَعِيدِ
سَكُونُ الدُّجَى وَقَصْفُ الرُّعُودِ
تُغْنِي ، أَمْ بَيْنَ غَضِّ الْوُرُودِ
فَاحَتْ ، أَمْ بَيْنَ نَهْدٍ وَجِيدٍ^(٧)

(٤) أرغى: غضب وضح.

(٥) اتحسّاه: أشربه.

(٦) العنت: الضيق والشدة.

(٧) الغيران: جمع غار، وهو الكهف أو المغارة.

طريق الهاوية

— 27 —

[من الخفيف]

بَلْ يَا بَهَاءَ هَذَا الْوُجُودِ!
وَخُلِقْتُنَّ لِلْغَرَامِ السَّعِيدِ
مَا تُجَلِّينَ مِنْ قُطُوبِ الْوُجُودِ^(١)
مَوْتَ مُثْقَلٍ بِالْقِيُودِ...
إِلَى الْمَوْتِ فِي طَرِيقِ كُؤُودِ..^(٢)
خَرِيفٌ يُذَوِّي رَفِيفَ الْوُرُودِ..^(٣)
شَوْكٌ، مُصَقَّحٌ بِالْحَدِيدِ...
عَيْشَهَا فِي تَرْنَمٍ وَغَرِيدِ؟
عِبَاءَ الْحَيَاةِ بِالتَّغْرِيدِ..
تَتَشَطَّى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ عَمِيدِ..^(٤)
شَفَقَ الْحُسْنِ فَوْقَ تِلْكَ الْخُدُودِ

يَا عَذَارَى الْجَمَالِ ، وَالْحُبِّ ، وَالْأَحْلَامِ ،
خُلِقَ الْبُلْبُلُ الْجَمِيلُ لِيَشْدُو
وَالْوُجُودُ الرَّحِيبُ كَالْقَبْرِ ، لَوْلَا
وَالْحَيَاةُ الَّتِي تَخَرُّ لَهَا الْأَحْلَامُ
وَالشَّبَابُ الْحَبِيبُ شِيخُوخَةً تَسْعَى
وَالرَّبِيعُ الْجَمِيلُ فِي هَاتِهِ الدُّنْيَا
وَالْوُرُودُ الْعَذَابُ فِي صَفَةِ الْجَدُولِ
وَالطُّيُورُ الَّتِي تُغْنِي ، وَتَقْضِي
إِنَّهَا فِي الْوُجُودِ تَشْكُو إِلَى الْأَيَّامِ
وَالْأَنَاشِيدِ؟ إِنَّهَا شَهَقَاتُ
صُورَةٍ لِلْوُجُودِ شَوْهَاءَ ، لَوْلَا

★ ★ ★

وَلَكِنَّهُ مَخِيفُ الْوُرُودِ
وَأَفْرُ الْهَوْلِ ، مُسْتَرَابُ الصَّعِيدِ^(٥)
عَبْقَرِيٍّ ، مَا إِنْ لَهُ مِنْ مَزِيدِ
وَتُشْجِي جَوَانِحَ الْجَلْمُودِ^(٦)

يَا زَهْوَرَ الْحَيَاةِ ، لِلْحُبِّ أَنْتَنَ
فَسَيِّلُ الْغَرَامِ جَمُّ الْمَهَاوِي
رُغْمَ مَا فِيهِ مِنْ جَمَالٍ ، وَفَنٍّ
وَأَنَاشِيدَ ، تُسَكِّرُ الْمَلَأَ الْأَعْلَى ،

(١) قطوب: عبوس.

(٢) كؤود: شديدة، صعبة.

(٣) رفيف: بريق، ندى.

(٤) تنشطى: تنتشر. العميد: الذي أضناه العشق.

(٥) مستراب: يُوقع في الشك والريبة. الصعيد: الطريق.

(٦) جوانح الجلمود: جوانب الصخر.

ما بين غامضٍ وشديدٍ^(٧)
 اللواتي تفرشنه بالورودِ
 رائع السحر، ذا جمالٍ فريدٍ
 ويقضي على بهاء الوجودِ
 مظلم الأفق ميّت التغريدِ

وأريج، يكاد يذهب بالألباب
 وسيل الحياة رخب، وأنتن
 إن أردتن أن يكون بهيجاً
 أو بشوك، يدمي الفضيلة والحُب
 إن أردتن أن يكون شنيعاً،

الجمال المنشود

[من الخفيف]

— 28 —

بلّ يا بهاء هذا الوجودِ
 كللت حُسنها صباح الورودِ^(١)
 بالنور، بالهوى، بالنشيدِ
 فأها من سحر تلك الخدود^(٢)
 من الورد، غصّة، أملود^(٣)
 في نشوة الشباب السعيدِ
 ولكن ماذا وراء النهودِ
 في ذلك القرار البعيد..
 تشدو بساحر التغريدِ
 في مولد الربيع الجديد؟
 ضواعة، كفضّ الورودِ؟^(٤)

يا عذاري الجمال، والحُب، والأحلام،
 قد رأينا الشعور منسدلاتٍ
 ورأينا الجفون تبسم..، أو تحلمُ
 ورأينا الخدود، صرّجها السحر،
 ورأينا الشفاه تبسم عن دنيا
 ورأينا النهود تهتز، كالأزهارِ
 فتنة، توقظ الغرام وتذكّيه،
 ما الذي خلف سحرها الحالم، السكران،
 أنفوس جميلة، كطيور الغابِ
 طاهرات، كأنها أرج الأزهارِ
 وقلوب مضيئة، كنجوم الليلِ

(٧) الألباب: العقول.

(١) منسدلات: مرسلات.

(٢) صرّجها: خضبها، صبغها.

(٣) الأملود: اللينة، الناعمة.

(٤) ضواعة: فواحة بالطر.

أم ظلام، كأنه قطع الليل
 وخضم، يموج بالإنهم والنكر،
 لست أدري، فرُبّ زهرٍ شذيٍّ
 صانكُنَّ الإله من ظلمة الروح
 إنَّ ليلَ النفوسِ ليلٌ مريعٌ
 يرزح القلبُ فيه بالألم المر،
 وربيعُ الشبابِ يُذبلُهُ الدهرُ،
 غيرُ باقٍ في الكونِ إلّا جمالُ

وهولٌ يُشيبُ قلبَ الوليدِ
 والشر، والظلال المديد^(٥)
 قاتلٌ رُغمَ حُسْنِهِ المشهودِ
 ومن ضلّة الضمير المريدِ
 سَرَمَدِيّ الأسي، شنيعُ الخلودِ
 ويشقى بعيشِهِ المنكود^(٦)
 ويمضي بحُسْنِهِ المعبودِ
 الروحُ غصّاً على الزمانِ الأبسدِ

أحلام شاعر

- 29 -

[من الخفيف]

سعيّداً بوحدتي وانفرادي
 بين الصنوبر الميَّاد^(١)
 نفسي عن استماع فؤادي
 لحديث الآزال والآباد
 وأصغي إلى خريبر الوادي
 والنهر، والضياء الهادي
 بعيداً عن أمسي وبلادي
 فهو حيّ، يعيش عيش الجماد^(٢)

ليت لي أن أعيشَ في هذه الدنيا
 أصرف العمرَ في الجبالِ، وفي الغاباتِ
 ليس لي من شواغلِ العيش ما يصرف
 أرقبُ الموتَ، والحياةَ، وأصغي
 وأغني مع البلبَلِ في الغابِ،
 وأناجي النجومَ والفجرَ، والأطيارَ
 عيشةً للجمالِ، والفنِّ، أبغيها
 لا أعني نفسي بأخزانِ شعبي

(٥) الخضم: البحر العظيم.

(٦) يرزح: ينوء بحمله الثقيل.

(١) الميَّاد: المتمايل.

(٢) أعني: أتعب.

مِنْ طَرِيفٍ مَسْتَحْدَثٍ، وَتَلَادٍ^(٣)
بَعِيداً عَنْ لَغْوِ تِلْكَ النَّوَادِي^(٤)
وَمِنْ ذَلِكَ الْهُرَاءِ الْعَادِي^(٥)
وَحَفَقِ الصَّدَى، وَشَدُو الشَّادِي
وَهَمْسِ النَّسِيمِ^(٦) لِلأُورَادِ^(٧)
وَأَدْعُو لِمَجْدِهَا وَأُنَادِي

وَبِحَسْبِي مِمَّنِ الْأَسَى مَا بِنَفْسِي
وَبَعِيداً عَنِ الْمَدِينَةِ وَالنَّاسِ،
فَهُوَ مِنْ مَعْدَنِ السَّخَافَةِ وَالْإِفْكِ
أَيْنَ هُوَ مِنْ خَرِيرِ سَاقِيَةِ الْوَادِي
وَحَفِيفِ الْغُصُونِ، نَمَقَهَا الطَّلُّ
هَذِهِ عَيْشَةٌ تَقْدِّسُهَا نَفْسِي

أَيَّتْهَا الْحَالِمَةُ بَيْنَ الْعَوَاصِفِ

[من الخفيف]

— 30 —

وَلَكِنْ مَا بَيْنَ شَوْكِ، وَدُودِ
وَالدَّوْدِ مِنْ صُنُوفِ الْوُرُودِ^(١)
مُفْسِدٌ فِي الْوُجُودِ، غَيْرُ رَشِيدِ
غَرِيباً فِي أَهْلِ هَذَا الْوُجُودِ
وَعِيشِي فِي طَهْرِكَ الْمَحْمُودِ
كَالْمَوْجِ، فِي الْخِضَمِّ الْبَعِيدِ^(٢)
كَالْكُوكَبِ الْبَعِيدِ السَّعِيدِ
وَتَسْمُو عَلَى غُبَارِ الصَّعِيدِ^(٣)
صَاغَهُ اللَّهُ مِنْ عَبِيرِ الْوُرُودِ

أَنْتِ كَالزَّهْرَةِ الْجَمِيلَةِ فِي الْغَابِ،
وَالرِّيَاحِينَ تَحْسَبُ الْحَسَكُ الشَّرِيرَ
فَأَفْهَمِي النَّاسَ..، إِنَّمَا النَّاسُ خَلَقَ
وَالسَّعِيدُ السَّعِيدُ مِنْ عَاشٍ كَاللَّيْلِ
وَدَعِيهِمْ يَحْيَوْنَ فِي ظُلْمَةِ الْإِثْمِ
كَالْمَلَكِ الْبَرِيِّ، كَالْوَرْدَةِ الْبَيْضَاءِ،
كَأَغَانِي الطُّيُورِ، كَالشَّفَقِ السَّاحِرِ
كَتُلُوجِ الْجِبَالِ، يَغْمُرُهَا النُّورُ
أَنْتِ تَحْتَ السَّمَاءِ رُوحٌ جَمِيلٌ

(٣) الطَّرِيفُ والتَّلَادُ : الجديد والقديم.

(٤) اللغْوُ : ما لَا يُعْتَدَ بِهِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامٍ.

(٥) الْإِفْكَ : الْكُذْبُ. الْهُرَاءُ : الْكَلَامُ الْفَاسِدُ.

(٦) الطَّلُّ : النَّدى. الْأُورَادُ : جَمْعُ وَرْدَةٍ.

(١) الْحَسَكُ : نَبَاتٌ شَائِكٌ.

(٢) الْخِضَمُّ : الْبَحْرُ الْعَظِيمُ.

(٣) تَسْمُو : تَرْتَفِعُ.

وبنو الأرض كالقُرودِ، وما أضيّعَ عِطَرَ الورودِ بين القُرودِ!
أنتِ من ريشةِ الإلهِ، فلا تُلقِي بفنِّ السَّماءِ لِجَهْلِ العبيدِ
أنتِ لم تُخلقي لِيقْرُبِكَ النَّاسُ ولكنْ لِتُعْبِدِي مِنْ بعيدٍ...

قال قلبي للاله

[من الخفيف]

- 31 -

فَرَقْتُ بَيْنَ الصُّخُورِ بِجُهْدٍ
وَأَزْهَرْتُ لِلْعَوَاصِفِ، وَحَدِي
فَضَاءَ الْأَسَى بِأَنْفَاسِ وَرْدِي
فَلَمْ تَفْهَمْ الْأَعَاصِيرُ قَصْدِي^(١)
وظَلْتُ فِي الثَّلَجِ تَحْفِرُ لَحْدِي^(٢)
فِي مَرْجِ السَّمَاءِ بِالْعِطْرِ مَجْدِي
فَمَاذَا سَتَفْعَلُ الرِّيحُ بَعْدِي

فِي جِبَالِ الْهَمُومِ، أَنْبَتُ أَغْصَانِي
وَتَغَشَّانِي الضَّبَابُ... فَأُورِقْتُ
وَتَمَايَلْتُ فِي الظَّلَامِ، وَعَظَّرْتُ
وَبِمَجْدِ الْحَيَاةِ، وَالشُّوقِ غَنَيْتُ...
وَرَمْتُ لِلْوَهَادِ أَفْنَانِي الْخَضِرَ،
وَمَضْتُ بِالشَّدَى فَقُلْتُ: « سَتَبْنِي
وَتَغْزِلْتُ بِالرَّبِيعِ، وَبِالْفَجْرِ

(١) الأعاصير: الرياح تهب بشدة.

(٢) الأفنان: الأغصان. اللحد: القبر. يقول الشاعر إنه تغنى للجمال في هذه الكون الزائل ولكن نغماته لم تلق الأذان المصغية من الطبيعة، فعسى أن تصل نغماته إلى أذن الخالق، والبيت الأخير يدل على أن قلب الشاعر مغمم بالإيمان.

قافية الرّاء

إرادة الحياة

[من المقارب]

- 32 -

إذا الشَّعْبُ يوماً أرادَ الحياةَ فلا بُدَّ أنْ يَسْتَجِيبَ القَدْرُ
ولا بُدَّ لِلَّيْلِ أنْ يَنْجِلِي ولا بُدَّ لِلْقَيْدِ أنْ يَنْكَسِرَ
وَمَنْ لمْ يعانقْهُ شَوْقُ الحياةِ تَبَخَّرَ في جَوْهَا، واندَثَرَ^(١)
فويلٌ لِمَنْ لَمْ تَشْقْهُ الحياةُ من صَفْقَةِ القَدَمِ المنتَصِرِ^(٢)
كذلك قالتْ لي الكائناتُ وحدَّثَنِي رُوحُهَا المُسْتَرِ

★ ★ ★

وَدَمَدَمَتِ الرِّيحُ بينَ الفِجَاجِ وفوقَ الجبالِ وتَحْتَ الشَّجَرِ^(٣)
«إذا ما طَمَحْتُ إلى غَايَةٍ رَكِبْتُ المُنَى، وتَسَيْتُ الحَذَرَ»
«ولم أُنَجِّبْ وُغُورَ الشُّعَابِ ولا كَبَّةَ اللَّهَبِ المُسْتَعِرِ»^(٤)
«وَمَنْ لا يَحِبُّ صُعُودَ الجبالِ يَعْشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُقَرِ»

(١) اندثر: بلي وامحى.

(٢) شاق: مال إلى. الصفقة: الضرب بصفحة اليد على القفا، وقد استعملها الشاعر استعمالاً مجازياً.

(٣) دمدم: غضب. إن الشاعر مدين في شهرته بعض الشيء إلى هذه القصيدة التي جعلت منه مناصلاً سياسياً على المستوى القومي.

(٤) الشُعاب: مفردُها شعبة، وهي الطريق. الكَبَّة: الحملة والدَّفعة في الحرب. المستعر: الملهب.

فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِمَاءُ الشَّبَابِ وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيحُ أَخْرٍ...
وَأَطْرَقَتْ، أَصْغِي لِقَصْفِ الرُّعُودِ وَعَزَفِ الرِّيحِ، وَوَقَعَ الْمَطَرُ^(٥)

★ ★ ★

وَقَالَتْ لِي الْأَرْضُ - لِمَا سَأَلْتُ: أَيَا أُمِّ هَلْ تَكْرَهِيْنَ الْبَشَرَ؟ :
«أَبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الْخَطَرِ»
«وَأَلْعَنُ مَنْ لَا يَمَاشِي الزَّمَانَ، وَيَقْنَعُ بِالْعِيشِ عِيشَ الْحَجَرِ»
«هُوَ الْكَوْنُ حَيٌّ، يَحِبُّ الْحَيَاةَ وَيَحْتَقِرُ الْمَيِّتَ، مَهْمَا كَبُرَ»
«فَلَا الْأَفْقُ يَحْضُنُ مَيِّتَ الطُّيُورِ، وَلَا النَّحْلُ يَلْتِمُ مَيِّتَ الزُّهْرِ»^(٦)
«وَلَوْلَا أُمُومَةُ قَلْبِي الرُّؤُومُ لَمَّا ضَمَّتِ الْمَيِّتَ تَلْهَكَ الْحَقَرُ»^(٧)
«فَوَيْلَ لِمَنْ لَمْ تَشْقُ الْحَيَاةُ، مِنْ لَعْنَةِ الْعَدَمِ الْمُنْتَصِرِ»

★ ★ ★

وَفِي لَيْلَةٍ مِنْ لِبَالِي الْخَرِيفِ مَثْقَلَةٌ بِالْأَسَى وَالضُّجَرِ
سَكِرْتُ بِهَا مِنْ ضِيَاءِ النُّجُومِ وَغَنَيْتُ لِلْحُزْنِ حَتَّى سَكِرَ
سَأَلْتُ الدُّجَى: هَلْ تُعِيدُ الْحَيَاةَ لِمَا أَذْبَلَتْهُ رِييَعُ الْعُمْرِ؟
فَلَمْ تَتَكَلَّمْ شِفَاءَ الظَّلَامِ وَلَمْ تَتَرَنَّمْ عِذَا رَى السَّخَرُ
وَقَالَ لِي الْغَابُ فِي رَقَّةٍ مَحَبَّةٍ مِثْلَ خَفْسِ الْوَتَرِ:
«يَجِيءُ الشِّتَاءُ، شِتَاءُ الضَّبَابِ، شِتَاءُ الثَّلُوجِ، شِتَاءُ الْمَطَرِ،
«فَيَنْطَفِئُ السَّخَرُ، سَخَرُ الْفُصُوفِ، وَسَخَرُ الزُّهُورِ، وَسَخَرُ الثَّمَرِ،
«وَيَسْخَرُ السَّمَاءِ الشَّجِيُّ الْوُدَيْعُ، وَيَسْخَرُ الْمَرْوِجِ، الشَّهِيُّ الْعَطِيرُ»

(٥) أطرق: سكت ولم يتكلم.

(٦) يلثم: يقبل.

(٧) الرؤوم: الحنون. في هذه الأبيات والأبيات اللاحقة عاطفة تجمل القاع في عداد كبار شعراء الرومانطيقية في الأدب العربي.

« وَتَهْوِي الْغُصُونُ، وَأوراقُهَا، وأزهارُ عهدِ حبيبِ نَضِيرٍ »^(٨)
« وتلهو بها الرِّيحُ في كُلِّ وادٍ، ويدفنها السَّيلُ، أتَى عَبْرُ »
« ويفنى الجميعُ كحلْمٍ بديعٍ، تَأَلَّقَ في مهجةٍ واندَثَرَ »^(٩)
« وتَبَقَّى البُذُورُ، التي حُمِّلَتْ ذَخِيرَةً عُمُرٍ جميلٍ، غَبَرَ »
« وذكرى فصولٍ، ورؤيا حَيَاةٍ، وأشباحَ دُنْيَا، تلاشتْ زُمُرُ »
« مِعَانِقَةً - وَهِيَ تَحْتَ الضَّبَابِ، وَتَحْتَ الثَّلُوجِ، وَتَحْتَ الْمَدَرِ »^(١٠)
« لِطَيْفِ الحَيَاةِ الَّذِي لَا يُمَلُّ، وَقَلْبِ الرِّبْعِ الشَّذِيِّ الْخَضِيرِ »
« وَحَالِمَةِ بَأْغَانِي الطَّيُورِ، وَعِطْرِ الزُّهُورِ، وَطَعْمِ الثَّمَرِ »

★ ★ ★

« ويمشي الزَّمَانُ، فتنبو صرُوفٌ، وتذوي صرُوفٌ، وتحيا آخرُ »^(١١)
« وَتُصْبِحُ أَحلامُهَا يَقْظَةً، مَوْشَحَةً بغموضِ السَّحَرِ »^(١٢)
« تُسَائِلُ: أَيْنَ ضَبَابُ الصَّبَاحِ، وَسِحْرُ الْمَسَاءِ؟ وضوءُ الْقَمَرِ؟ »
« وَأَسْرَابُ ذَاكَ الْفَرَّاشِ الْأَنِيقِ؟ وَتَحُلُّ يَغْنًى، وَغَيْمٌ يَمُرُّ؟ »
« وَأَيْنَ الْأَشْعَةُ وَالكَائِنَاتُ؟ وَأَيْنَ الْحَيَاةُ الَّتِي أَنْتَظِرُ؟ »
« ظَمِئْتُ إِلَى النُّورِ، فَوْقَ الْغُصُونِ! ظَمِئْتُ إِلَى الظِّلِّ تَحْتَ الشَّجَرِ! »
« ظَمِئْتُ إِلَى النَّبْعِ، بَيْنَ الْمَرْوَجِ، يَغْنًى، وَيَرْقِصُ فَوْقَ الزَّهْرِ! »
« ظَمِئْتُ إِلَى نَعْمَاتِ الطَّيُورِ، وَهَمْسِ النَّسِيمِ، وَلَحْنِ الْمَطَرِ، »
« ظَمِئْتُ إِلَى الْكَوْنِ! أَيْنَ الْوُجُودُ وَأَنْى أَرَى الْعَالَمَ الْمُنْتَظَرُ؟ »
« هُوَ الْكَوْنُ، خَلْفَ سُبَاتِ الْجُمُودِ، وَفِي أَفْقِ الْيَقْظَاتِ الْكُبَرِ »^(١٣)

(٨) النَّفِيرُ: النَّاعِمُ.

(٩) تَأَلَّقَ: أَشْرَقَ. اندثر: بلي وامحى.

(١٠) الْمَدَرُ: الطَّيْنُ اللَّزَجُ الَّذِي لَا يَخَالِطُهُ رَمْلٌ.

(١١) الصَّرُوفُ: المصائب.

(١٢) السَّحَرُ: فترة من اللَّيْلِ تسبق الفجر.

(١٣) السُّبَاتُ: النَّوْمُ.

« وما هو إلا كخفق الجناح حتى نما شوقها وانتصر »
« فصدعت الأرض من فوقها وأبصرت الكون عذب الصور »
« وجاء الربيع، بأنغامه، وأحلامه، وصباحه العطر »
« وقبلها قبلاً في الشفاء، تُعيد الشَّبَاب الذي قد غبر »^(١٤)
« وقال لها: قد منحت الحياة، وخلدت في نسلك المدخر »
« وباركك النور، فاستقبلي شَبَاب الحياة وخصب العمر »
« ومن تعبد النور أحلامه، يُباركه النور أنى ظهر »
« إليك الفضاء، إليك الضياء، إليك الثرى، الحالم، المزدهر ! »
« إليك الجمال الذي لا يبيد ! إليك الوجود، الرَّحيب، النَّضير ! »^(١٥)
« فميدي - كما شئت - فوق الحقول، بحُلُو الثمار وغض الزهر »^(١٦)
« وناجي النَّسيم، وناجي الغيوم، وناجي النجوم، وناجي القمر »
« وناجي الحياة وأشواقها، وفتنة هذا الوجود الأغر »^(١٧)



« وشفَّ الدُّجى عن جمال عميق، يُشبُّ الخيال، ويُذكي الفكر »^(١٨)
« ومُدَّ على الكون سحرَّ غريب، يصرفه ساحر مقتدر »^(١٩)
« وضاءت شموع النجوم الوضاء، وضاع البخور، بخور الزهر »
« ورَفَرَفَ روح، غريبُ الجمال بأجنحة من ضياء القمر »
« ورَنَّ نشيد الحياة المقدس في هيكَل، حالم، قد سحر »
« وأعلن في الكون: أن الطموح لهيب الحياة، وروح الظفر »

(١٤) غبر: مرّ ومضى.

(١٥) يبيد: يفتي.

(١٦) ماد: تحرك واضطرب. الغض: الناعم.

(١٧) الأغر: الأبيض من كل شيء.

(١٨) شف: كشف وكان شفافاً. يُشب: يصير شاباً. يُذكي: يُشعل، يُوقد.

(١٩) يصرفه: يحوله، يتصرف به.

« إِذَا طَمَحَتْ لِلْحَيَاةِ النَّفُوسُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرُ! »^(٢٠)

الجنة الضائعة

[من الكامل]

- 33 -

كَمْ مِنْ عُهودٍ عَذِبةٍ فِي عَدْوَةِ الوَادِي النَّضِيرِ
فُضِيَّةِ الْأَسْحَارِ مُذْهَبَةِ الْأَصَائِلِ وَالْبُكُورِ^(١)
كَانَتْ أَرْقَ مِنْ الزُّهُورِ، وَمِنْ أَغَارِيدِ الطُّيُورِ
وَأَلَذَّ مِنْ سِحْرِ الصَّبَا فِي بَسْمَةِ الطِّفْلِ الْغَرِيرِ
قَضَيْتُهَا وَمَعِيَ الْحَبِيبَةُ لَا رَقِيبَ وَلَا نَذِيرَ
إِلَّا الطُّفُولَةَ حَوْلْنَا تَلْهُو مَعَ الْحُبِّ الصَّغِيرِ
أَيَّامَ كَانَتْ لِلْحَيَاةِ حَلَاوَةُ الرُّوضِ الْمَطِيرِ
وَطَهَارَةُ الْمَوْجِ الْجَمِيلِ، وَسِحْرُ شَاطِئِهِ الْمُنِيرِ
وَوَدَاعَةُ الْعُصْفُورِ، بَيْنَ جَدَاوِلِ الْمَاءِ النَّمِيرِ^(٢)
أَيَّامَ لَمْ نَعْرِفْ مِنَ الدُّنْيَا سِوَى مَرَحِ السُّرُورِ
وَتَتَبَعَ النَّخْلِ الْأَنِيقِ وَقُطْفِ تَيْجَانِ الزُّهُورِ
وَتَسَلَّقَ الْجَبَلَ الْمُكَلَّلَ بِالصَّنَوْبَرِ وَالصُّخُورِ
وَبَنَاءِ أَكْوَاحِ الطُّفُولَةِ تَحْتَ أَعْشَاشِ الطُّيُورِ
مَسْقُوفَةً بِالْوَرْدِ، وَالْأَعْشَابِ، وَالْوَرَقِ النَّضِيرِ
نَبْنِي، فَتَهْدُمُهَا الرِّيحُ، فَلَا نَضِجُ وَلَا نَشُورُ

(٢٠) البيت الأخير يعيد القارئ إلى نقطة البداية وربما بإشارة متعمدة من الشاعر، لإضفاء اللون الوطني والسياسي على القصيدة، في وقت تفوح من أبياتها رومانطيقية قلما نقع على مثلها عند كبار شعراء الرومانطيقية في الغرب.

(١) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت بين العصر والمغرب.

(٢) النмир: الزكي الطعم والرائحة.

ونعودُ نَضْحَكُ للمروجِ ، وللزَّنابقِ ، والغديرِ
ونخاطبُ الأصدقاءَ ، وهي ترفُّ في الوادي المُنيرِ
ونعيد أغنيةَ السَّواقِي ، وهي تُلغو بالخَريرِ^(٣)
ونَظْلُ نَرْكُضُ خَلْفَ أُسْرَابِ الْفَرَّاشِ الْمُسْتَطِيرِ
ونمرُّ ما بين المروجِ الخُضِرِ ، في سكرِ الشُّعُورِ
نشدو ، ونرقصُ - كالبلابلِ - للحياةِ ، وللجُبُورِ^(٤)
ونَظْلُ ننشُرُ للفضاءِ الرَّحْبِ ، والنَّهْرِ الْكَبِيرِ
ما في فؤادينا مِنْ الْأَحْلَامِ ، أو حُلُوِّ الْفُرُورِ
ونَشِيدُ فِي الْأَفْقِ الْمَخْضَبِ مِنْ أَمَانِنَا قُصُورِ
أزهى من الشَّقِّقِ الْجَمِيلِ ، ورونقِ المَرْجِ الْخَضِيرِ
وأجلَّ من هذا الْوُجُودِ ، وكلِّ أَمْجَادِ الدُّهُورِ
أبدًا ، تُذِلُّهَا الْحَيَاةُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ السُّرُورِ
وتَبَثُّ فِينَا مِنْ مَرَاكِ الْكَوْنِ مَا يُغْوِي الْوَقُورِ^(٥)
فنسيرُ ، نَنشُدُ لِهَوْنِا الْمَعْبُودَ - فِي كُلِّ الْأُمُورِ
ونَظْلُ نعبثُ بِالْجَلِيلِ مِنْ الْوُجُودِ ، وبالحَقِيرِ :
- بِالسَّائِلِ الْأَعْمَى وبِالْمَعْتَوِهِ ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ
بِالْقُطَّةِ الْبَيْضَاءِ ، بِالشَّاةِ الْوَدِيعَةِ ، بِالْحَمِيرِ
بِالْعُشْبِ ، بِالْفَنِّ الْمُنُورِ ، بِالسَّنَابِلِ ، بِالسَّفِيرِ^(٦)
بِالرَّمْلِ ، بِالصَّخْرِ الْمَحْطَّمِ ، بِالْجَدَاوِلِ ، بِالْغَدِيرِ
وَاللَّهُوِ ، وَالْعَبَثُ الْبَرِيءُ ، الْحَلُوُ ، مَطْمَحُنَا الْأَخِيرُ
ونَظْلُ نَقْفِرُ ، أو نُثَرِّثِرُ ، أو نَغْنِي ، أو نَدُورُ

(٣) لغا : قال باطلاً وأخطأ .

(٤) الجبور : السُّرُور .

(٥) تبث : تبعث . مراح : فرح ، مرح .

(٦) السِّفِير : ما سقط من ورق الشجر .

لَا نَسَامُ اللَّهَوَ الْجَمِيلَ، وَلَيْسَ يُذَرِّكُنَا الْفُتُورُ
 فَكَأَنَّنَا نَحْيَا بِأَعْصَابٍ مِنَ الْمَرْحِ الْمُثِيرِ
 وَكَأَنَّنَا نَمْشِي بِأَقْدَامٍ مَجْنَحَةٍ، تَطِيرُ
 أَيَّامَ كُنَّا لُبَّ هَذَا الْكَوْنِ، وَالْبَاقِي قُشُورٌ^(٧)
 أَيَّامَ تَفْرَشُ سُبُلَنَا الدُّنْيَا بِأُورَاقِ الزُّهُورِ
 وَتَمُرُّ أَيَّامُ الْحَيَاةِ بِنَا، كَأَسْرَابِ الطَّيُورِ
 بِيضَاءَ لَاعِبَةٍ، مُغَرَّدَةٌ مَجْنَحَةٌ بِنُورِ
 وَتُرْفَرِفُ الْأَفْرَاحُ فَوْقَ رُؤُوسِنَا أَتَى نَسِيرُ
 آه! تَوَارَى فَجَرِي الْقُدْسِيُّ فِي لَيْلِ الدَّهْورِ^(٨)
 وَفَنَى، كَمَا يَفْنَى النَّشِيدُ الْحَلُوفِي صَمْتِ الْأَثِيرِ^(٩)
 أَوَّاهُ، قَدْ ضَاعَتْ عَلَيَّ سَعَادَةُ الْقَلْبِ الْغَرِيرِ
 وَبَقِيتُ فِي وَادِي الزَّمَانِ الْجَهْمِ أَدَابُ فِي الْمَسِيرِ^(١٠)
 وَأَدُوسُ أَشْوَكَ الْحَيَاةِ بِقَلْبِي الدَّامِي الْكَسِيرِ^(١١)
 وَأَرَى الْأَبَاطِيلَ الْكَثِيرَةَ، وَالْمَائِثَمَ، وَالشُّرُورَ
 وَتَصَادَمَ الْأَهْوَاءِ بِالْأَهْوَاءِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ
 وَمَذَلَّةَ الْحَقِّ الضَّعِيفِ، وَعِزَّةَ الظُّلْمِ الْقَدِيرِ!
 وَأَرَى ابْنَ آدَمَ سَائِرًا فِي رَحْلَةِ الْعُمُرِ الْقَصِيرِ
 مَا بَيْنَ أَهْوَالِ الْوُجُودِ، وَتَحْتَ أَعْبَاءِ الضَّمِيرِ
 مُتَسَلِّقًا جَبَلَ الْحَيَاةِ الْوَعْرِ، كَالشَّيْخِ الضَّرِيرِ
 دَامِي الْأَكْفَ، مُمَزَّقَ الْأَقْدَامِ، مُغْبَرَّ الشُّعُورِ

(٧) لب: قلب.

(٨) توارى: احتجب، اختفى.

(٩) الأثير: الفضاء الممتد وراء الأرض.

(١٠) دأب: اعتاد.

(١١) الكسير: المكسور الجناح.

مترنَّحَ الخطواتِ ما بينَ المَزالِقِ والصُّخُورِ
هالتهُ أشباحُ الظَّلامِ، ورآعتهُ صوتُ القُبُورِ^(١٢)
ودويُّ إعصارِ الأسى، والموتُ، في تلكِ الوُغُورِ

★ ★ ★

ماذا جنيتُ من الحياةِ ومن تجاريسِ الدُّهورِ
غَيْرَ الندامةِ والأسى واليأسِ والدَّمَعِ الغزيرِ؟
هذا حَصادي من حقولِ العالَمِ الرَّحْبِ الخطيرِ
هذا حَصادي كُلُّهُ، في يقظةِ العهدِ الأخيرِ

★ ★ ★

قد كنتُ في زمنِ الطُّفولةِ، والسَّذَاجَةِ، والطُّهورِ
أحيًا كما تحيا البَلايلُ، والجداولُ، والزُّهورُ
لا نَحْفَلُ، الدنيا تدورُ بأهلها، أو لا تَدُورُ^(١٣)
واليومَ أحيًا مُرَهَقَ الأعصابِ، مَشْبُوبَ الشُّعُورِ
متأجِّجَ الإحساسِ، أحفلُ بالعظيمِ، وبالحقيرِ
تمشي على قلبي الحياةُ، ويزحفُ الكونُ الكبيرُ^(١٤)
هذا مصيري، يا بني أُمِّي، فما أشقى المصير!

(١٢) هالَ، راعَ: أخافَ، أفزعَ.

(١٣) لا نحفل: لا نكثرث، لا نهتم.

(١٤) تمشي على قلبي الحياة: أي أنه يتحمل أعباءها يطلق في البيت الأخير صرخة الوداع من هذه الحياة، والصرخة حافلة بالأسى والألم اللذين يغمران قلبه.

مأتم الحب

[من مجزوء الرمل] - 34 -

لَيْتَ شِعْرِي !

أَيُّ طَيْرٍ

يَسْمَعُ الْأَحْزَانَ تَبْكِي بَيْنَ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ
تُمْ لَا يَهْتَفُ فِي الْفَجْرِ ، بِرَنَاتِ النَّحِيبِ
بِخُشُوعٍ ، وَكِتَابٍ ؟

★ ★ ★

لَسْتُ أَدْرِي

أَيُّ أَمْرٍ

أُخْرَسَ الْعُصْفُورَ عَنِّي ، أَتَرَى مَاتَ الشُّعُورُ
فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ ، حَتَّى فِي حُشَاشَاتِ الطُّيُورِ ؟^(١)
أَمْ بَكَى خَلْفَ السَّحَابِ ؟

★ ★ ★

فِي الدِّيَاجِي^(٢)

كَمْ أَنَا جِي

مَسَمَعَ الْقَبْرِ ، بِغَصَّاتِ نَحِيْبِي ، وَشُجُونِي
تُمْ أَصْغِي ، عَلَنِي أَسْمَعُ تَرْدِيدَ أُنِينِي
فَأَرَى صَوْتِي قَرِيدًا !

★ ★ ★

(١) حشاشات: بقايا الروح في المحتضر .

(٢) الدِّيَاجِي: الظلمات .

فَأَنَادِي :

« يَا فُؤَادِي »

« مَاتَ مَنْ تَهَوَّى ! وَهَذَا اللَّحْدُ قَدْ ضَمَّ الْحَبِيبَ »^(٣)
« فَأَبْكُ يَا قَلْبُ بِمَا فِيكَ مِنَ الْحُزْنِ الْمُذِيبِ »
« إِبْكُ يَا قَلْبُ ، وَحِيدًا ! »

★ ★ ★

ذُلَّ قَلْبِي ،

مَاتَ حُبِّي !

فَاذْرُفِي يَا مُقْلَةَ اللَّيْلِ ، الدَّرَارِي عَبَرَاتُ^(٤)
حَوْلَ حُبِّي ، فَهُوَ قَدْ وَدَّعَ أَفَاقَ الْحَيَاةِ
بَعْدَ أَنْ ذَاقَ اللَّهْبُ

★ ★ ★

وَأَنْدُبِيهِ ،

وَأَغْسِلِيهِ ،

بِدُمُوعِ الْفَجْرِ ، مِنْ أَكْوَابِ زَهْرِ الزَّنبَقِ
وَأَذْفُنِيهِ بِجَلَالِ ، فِي ضِفَافِ الشَّفَقِ
لِيَرَى رُوحَ الْحَبِيبِ

★ ★ ★

(٣) اللحد : القبر .

(٤) المقلة : العين . الدَّرَارِي : الدموع تشبه الدَّرَّ .

النَّجْوَى

[من مجزوء الرّمل]

— 35 —

قَفْ قَلِيلاً، أَيُّهَا السَّارِي الْقَمَرُ!	وَاصْطَبِرْ ^(١)
يَا سَمِيرِي! فِي أَوْثِقَاتِ الْكَدَرِ	وَالضَّجَرِ
وَاسْقِنِي مِنْ جَدَوَلِ النُّورِ الْبَدِيعِ	قَدَحًا
عَلَّنِي أَفْهَمَ هَيْنَومَ الرِّيبِيعِ	إِنْ صَحَا ^(٢)
كَمْ فُؤَادٍ إِذْ تَوَلَّتْهُ الشُّجُونُ	وَالْهُمُومُ ^(٣)
بُثَّ أَسْلَاكَكَ، وَالْدَّمْعُ هَتُونُ	مَا يَرُومُ ^(٤)
إِنْ تَكُنْ تَضْحَكُ سُخْرًا بِالْبَشْرِ	يَا قَمَرُ!
فَلَكُمْ أَحْزَنَكَ الدَّهْرُ الْخَطِرُ	بِالنُّكْرِ ^(٥)
أَيُّهَا الْقَامُوسُ يَا صَوْتَ الْحَيَاةِ!	وَصَدَاهَا ^(٦)
وَأَغَانِيهَا الْعِذَابَ الشَّادِيَاتِ	وَتَدَاهَا
مَا لِأَمْوَاجِكَ يُطْفِئُهَا الْغُرُورُ	فَتَّشُورُ
ثُمَّ تَأْوِي نَحْوَ هَاتِيكَ الصُّخُورُ	كَالْكَسِيرِ؟ ^(٧)
أَتَرَاهَا تَذْكُرُ الْأَمْسَ الْجَمِيلُ	وَسَلَامُهُ
فَتُحْيِي ذَلِكَ الْمَجْدَ النَّيْلُ	بِابْتِسَامِهِ

(١) السَّارِي: السَّائِرُ لَيْلاً، وَقَدْ جَعَلَ الصِّفَةَ قَبْلَ الْمَوْصُوفِ.

(٢) هَيْنُومُ: كَلَامٌ لَا يُفْهَمُ.

(٣) الشُّجُونُ: الْأَحْزَانُ.

(٤) بُثَّ: نَشَرَ وَفَرَّقَ. الْأَسْلَاكُ: الْأَنْوَارُ الْمَشْعَةُ. هَتُونُ: يَصْبُ الدَّمْعُ.

(٥) النُّكْرُ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الْقَبِيحُ.

(٦) الْقَامُوسُ: الْبَحْرُ الْعَظِيمُ.

(٧) الْكَسِيرُ: الْمَكْسُورُ الْجَنَاحُ.

وَتُغْنِّي، ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ
لَوْعَةُ الْيَوْمِ، فَتَبْكِي وَتَتِنَنَّ
تَحْتَوِيهَا
لِشَقَاهَا^(٨)

الصَّيْحَةُ

[من المنسرح] - 36 -

يَا قَوْمُ! عَيْنِي شَامَتْ
تَتْلُو سَحَاباً رُكَّاماً
يُثِيرُ فِي الْأَرْضِ رِيحاً
تُلْفِي الشَّدِيدَ صَرِيحاً
مِنْهَا الْفَضَاءُ ظَلَامٌ
قَدْ أَوْرَثَتْهُمْ دُوراً
لَا يَعْرِفُ الْمَرءُ مِنْهَا
يَخَالُ كُلَّ خَيَالٍ
لِلْجَهْلِ فِي الْجَوِّ نَاراً^(١)
يَتْلُو قَتَاماً مُسَاراً^(٢)
يُهَيِّجُ فِيهَا غُبَاراً
تُبْقِي الْأَدِيبَ حِمَاراً
وَالنَّاسُ مِنْهَا سُكَارَى
وَأَعْقَبَتْهُمْ خُمَاراً^(٣)
لَيْلًا رَأَى أَمَّ نَهَاراً
سَرَى، تَسْرِبَلٍ فَاراً^(٤)

★ ★ ★

يَا قَوْمُ سِرْتُكُمْ حَثِيثاً
نَبَذْتُمُ الْعِلْمَ نَبْذَ الْـ
خُطَى وَرَاءَ، كِبَاراً^(٥)
نَّوَى قَلِيٍّ، وَصَغَاراً^(٦)

(٨) ثَنَنْ: تَنَافَه. إِنَّ الْأُمُوجَ الصَّاخِبَةَ تَحَنَّنَ إِلَى يَوْمِهَا الْمَاضِي حَيْثُ كَانَتْ تَسْجَحُ بِهَدْوٍ عَلَى صَفْحَةِ الْمَاءِ.

(١) شَامَتْ: انْتَضَرْتُ وَتَرَقَّبْتُ.

(٢) الرُّكَّامُ: الْمُتْرَاكِمُ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ. الْقَتَامُ: الْغُبَارُ.

(٣) الدُّوَارُ: دَوْرَانُ يَصِيبُ الرَّأْسَ.

(٤) تَسْرِبَلُ: لَبَسَ. يَرِيدُ أَنَّهُمْ ضَعِيفُو الْخَيَالِ.

(٥) وَرَاءَ: ضَخْمَةً، أَوْ إِلَى الْوَرَاءِ. حَثِيثاً: سَرِيعاً.

(٦) الْقَلَى: الْبَغْضُ. الصَّغَارُ: الْاِحْتِقَارُ. أَيَّ أَتَاهُمْ لِحَقَارَتِهِمْ رَمَوْا الْعِلْمَ كَمَا تَرْمِي الْقَشُورُ الزَّائِفَةَ، وَلَبَسُوا الْجَهْلَ وَجَعَلُوهُ شِعَاراً لَهُمْ.

لَيْسْتُمْ الْجَهْلَ ثَوْبًا تَخَذْتُمُوهُ شِعَارًا
يَا قَوْمُ مَا لِي أَرَاكُمْ قَطَنْتُمْ الْجَهْلَ ذَارًا؟
أَضَعْتُمْ مَجْدَ قَوْمٍ شَادُوا الْحَيَاةَ فَخَارًا
أَبَقُوا سَمَاءَ الْمَعَالِي بِمَا أَضَاءُوا مَنَارًا
حَاكُوا لَكُمْ ثَوْبَ عِزٍّ خَلَعْتُمُوهُ احْتِقَارًا
ثم ارتديتم لَبُوسَ خِزْيٍ، وَعَارًا^(٧)

★ ★ ★

يَا لَيْتَ قَوْمِي أَصَاخُوا لِمَا أَقُولُ جَهَارًا^(٨)
يَا شِعْرُ! أَسْمَعْتَ لَكِنْ قَوْمِي أَرَاهُمْ سَكَارَى
فَلَا تُبَالِ إِذَا مَا أَعْطُوا نِدَاكَ ازْوَرَارًا^(٩)
وَاصْبِرْ عَلَى مَا تَلَاقِي وَأَصْدَعْ، وَقَيْتَ الْعِشَارَا^(١٠)

شكوى ضائعة

[من البسيط]

- 37 -

يا ليل! ما تصنعُ النَّفْسُ التي سَكَنْتُ
ترضى وتَسْكُتُ؟ هذا غيرُ مُحْتَمَلٍ!
وَذَا جنونٌ، لَعَمْرِي، كُلُّهُ جَزَعٌ
فإنما الموتُ ضَرَبُ مَنْ حَبَائِلِهِ
هذا الوجودُ، وَمِنْ أَعْدَائِهَا الْقَدَرُ؟
إِذَا، فهل ترفضُ الدُّنْيَا، وتنتحرُ؟
بَاكِ، ورأيتُ مريضٌ، كُلُّهُ خَوْرًا^(١)
لا يُفْلِتُ الخلقُ ما عاشوا، فما النَّظَرُ؟

(٧) لبوس: لباس. الخزي: العار.

(٨) أصاخ: استمع. الجهار: العلانية.

(٩) نِدَاكَ: نداؤك. الازورار: الميل والانحراف.

(١٠) صدع: كشف وبتن. العثار: المكروه. عبارة «وقيت» هي دعاء بالسلامة، وكأنما يريد أن يسلم لتسلم الدعوة التي ينادي بها وهي نهوض الشعب من كبوته.

(١) الخور: الضعف والفتور.

هذا هو اللغز، عَمَّاهُ وَعَقْدُهُ
 قد كَبَّلَ الْقَدْرُ الضَّارِي فرائِسَهُ
 وخَاطَ أَعْيَنَهُمْ، كي لا تُشَاهِدَهُ
 وَحَاطَهُمْ بَفَنُونٍ مِنْ حَبَائِلِهِ
 لا الموت يُنْقِذُهُمْ مِنْ هَوْلِ صَوْلَتِهِ
 حَارَ الْمَسَاكِينُ، وارتاعوا، وَأَعْجَزَهُمْ
 وَهُمْ يَعِيشُونَ فِي دُنْيَا مَشِيدَةٍ
 وكيف يحذرُ أَعْمَى، مُدْلِجٌ، تَعِيبٌ،
 قد أيقنوا أَنَّهُ لا شيء يُنْقِذُهُمْ
 ولو رأوه لَسَارَتْ كي تحارِبَهُ
 وَتَارَتْ الْجَنُّ، والأُمْلَاكُ نَاقِمَةٌ
 لكنَّهُ قُوَّةٌ تُمْلِي إِرَادَتَهَا
 حَقِيقَةٌ، مَرَّةً، يا لَيْلُ، مُبْغِضَةٌ

على الخليفة، وَخَشٌّ، فَاتَكَ حَذِرُ^(٢)
 فما استطاعوا له دفعاً، ولا حَزَرُوا^(٣)
 عَيْنٌ، فتعلَّم ما يَأْتِي وما يَذَرُ^(٤)
 فما لَهُمْ أَبَدًا مِنْ بَطْشِهِ وَزَرُ^(٥)
 ولا الحياة. تَسَاوَى النَّاسُ وَالْحَجَرُ!^(٦)
 أن يحذَرُوهُ، وَهَلْ يُجَدِّيهُمُ الْحَذَرُ
 مِنْ الخطوب، وَكُونَ كُلَّهُ خَطِرُ؟^(٧)
 هَوْلَ الظَّلَامِ، ولا عَزَمَ ولا بَصَرُ؟
 فاستسلموا لِسُكُونِ الرُّعْبِ، وانتظروا..
 مِنَ الْوَرَى زُمَرٌ، فِي إِثْرِهَا زُمَرُ^(٨)
 وَالْبَحْرُ، وَالْبَرُّ، والأَفْلَاكُ، وَالْعَصُرُ^(٩)
 سِرًّا، فَتَعْنُو لَهَا قَهْرًا، وَنَأْتَمُرُ^(١٠)
 كَالْمَوْتِ، لَكِنْ إِلَيْهَا الْوَرْدُ وَالصَّدَرُ^(١١)

★ ★ ★

تَنَهَّدَ اللَّيْلُ، حَتَّى قَلْتُ: «قَدْ نُثِرَتْ
 وَعَادَ لِلصَّمْتِ...، يُصْنِي فِي كَاتِبَتِهِ

تِلْكَ النُّجُومُ، وَمَاتَ الْجَنُّ وَالْبَشَرُ»
 - كَالْفِيلَسُوفِ - إِلَى الدُّنْيَا، وَيفتكرُ..

(٢) عَمَّاه: ستره وحجبه.

(٣) حَزَر: قَدَّر تخميناً.

(٤) خَاطَ: هنا بمعنى أَعْمَى، يُعْمَى، وأصلها أن تَضَمَّ أجزاء الثوب بعضها إلى بعض.

(٥) الْوَزَر: الملجأ المنيع.

(٦) الصَّوْلَةُ: الوثبة.

(٧) الخطوب: جمع خطب، وهو المصيبة.

(٨) زُمَر: جماعات.

(٩) الْعَصُر: العصور.

(١٠) عَنَا، يَعْنُو: خضع قهراً وقسراً.

(١١) الْوَرْد: الذهاب. الصَّدَر: العودة.

وَقَهَقَةَ الْقَدَرُ الْجَبَّارُ، سُخْرِيَةً
تَمْشِي إِلَى الْعَدَمِ الْمَحْتَمِ، بَاكِیَةً
وَأَنْتَ فَوْقَ الْأَسَى وَالْمَوْتِ، مَبْتَسِمٌ
بِالْكَائِنَاتِ. تَضَاحَكَ أَيُّهَا الْقَدَرُ!
طَوَائِفُ الْخَلْقِ، وَالْأَشْكَالُ وَالصُّوَرُ
تَرْنُو إِلَى الْكَوْنِ، يُبْنَى، ثُمَّ يَنْدَثِرُ^(١٢)

مناجاة عصفور

— 38 —

[من الكامل]

يَا أَيُّهَا الشَّادِي الْمَغْرَدُ هُنَا
مُتَنَقِّلًا بَيْنَ الْخَمَائِلِ، تَالِيًا
غَرْدًا، فِي تِلْكَ السُّهُولِ زَنَابِقُ
غَرْدًا، فِي قَلْبِي إِلَيْكَ مَوَدَّةُ
هَجَرَتُهُ أَسْرَابُ الْحَمَائِمِ، وَانْبَرَتْ
غَرْدًا، وَلَا تُرْهِبْ يَمِينِي، إِنَّنِي
لَكِنْ لَقَدْ هَاضَ التُّرَابُ مَلَامِعِي
أَشْدُو بَرْنَاتِ النِّيَاحَةِ وَالْأَسَى
غَرْدًا، وَلَا تَحْفَلْ بِقَلْبِي، إِنَّهُ
ثَمَلًا يَغْبِطُهُ قَلْبِي الْمَسْرُورِ^(١)
وَحَيَّ الرَّبِيعِ السَّاحِرِ الْمَسْحُورِ^(٢)
تَرْنُو إِلَيْكَ بِنَازِلٍ مَنَظُورٍ
لَكِنْ مَوَدَّةُ طَائِرٍ مَأْسُورٍ
لِعَذَابِهِ جَنِيَّةُ الدَّيْجُورِ.....
مِثْلُ الطُّيُورِ بِمُهْجَتِي وَضَمِيرِي
فَلَيْسَتْ مِثْلَ الْبُلْبُلِ الْمَكْسُورِ^(٣)
مَشْبُوبَةٌ بِعَوَاطِفِي وَشُعُورِي^(٤)
كَالْمِعْزَفِ، الْمُتَحَطِّمِ الْمَهْجُورِ^(٥)

★ ★ ★

رَتَّلْ عَلَى سَمْعِ الرَّبِيعِ نَشِيدَهُ
وَأَنْشِدْ أَنْشِيدَ الْجَمَالِ، فَإِنَّهَا
وَأَصْدَحْ بِفَيْضِ فُؤَادِكَ الْمَسْجُورِ
رُوحُ الْوُجُودِ، وَسَلْوَةُ الْمَقْهُورِ

(١٢) يندثر: يلى ويمحي.

(١) الثمل: السكران.

(٢) الخمائل: الأشجار الكثيرة الملتفة.

(٣) الملامع: جمع ملمع، وهو الخد الصقيل الناعم.

(٤) مشبوبة: ممزوجة.

(٥) المعزف: ما يعزف عليه من آلات موسيقية.

أَنَا طَائِرٌ، مُتَغَرِّدٌ، مُتَرَنِّمٌ
يَهْتَاجُنِي صَوْتُ الطُّيُورِ، لِأَنَّهُ
مَا فِي وَجُودِ النَّاسِ مِنْ شَيْءٍ بِهِ
فَإِذَا اسْتَمَعْتُ حَدِيثَهُمْ أَلْفَيْتُهُ
وَإِذَا حَضَرْتُ جُمُوعَهُمْ أَلْفَيْتَنِي
مَتَوَحِّدًا بِعَوَاطِفِي، وَمَشَاعِيرِي،
يَنْتَابُنِي حَرَجُ الْحَيَاةِ كَأَنَّنِي
فَإِذَا سَكَتُ تَضَجَّرُوا، وَإِذَا نَطَقْتُ
آهٍ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ بَلَّوْهُمْ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا خَبِيثٌ غَادِرٌ
وَيَوَدُّ لَوْ مَلَكَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ
لِيَبْلَّ غَلَّتَهُ الَّتِي لَا تَرْتَوِي
وَإِذَا دَخَلْتُ إِلَى الْبِلَادِ فَإِنَّ أَفْ
حَيْثُ الطَّبِيعَةُ حُلُوءَةٌ فَتَانَةٌ
مَاذَا أَوَدُّ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ غَا
مَاذَا أَوَدُّ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ لَا
مَاذَا أَوَدُّ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ لَا
مَاذَا أَوَدُّ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ مُر

لَكِنْ بِصَوْتِ كَأَبْتِي وَزَفِيرِي
مُتَدَفِّقُ بِحَرَارَةِ وَطْهُورِ
يَرْضَى فَوَادِي أَوْ يُسَرُّ ضَمِيرِي
غَثًّا، يَفِيضُ بِرَكَّةٍ وَفُتُورِ^(٦)
مَا بَيْنَهُمْ كَالْبَلْبَلِ الْمَأْسُورِ
وَحَوَاطِرِي، وَكَأَبْتِي، وَسُرُورِي
مِنْهُمْ بِوَهْدَةِ جَنْدِلٍ وَصُخُورِ
تَذَمَّرُوا مِنْ فِكْرَتِي وَشُعُورِي
فَقَلَّوْهُمْ فِي وَحْشَتِي وَحُبُورِي^(٧)
مَتَرَبِّصٌ بِالنَّاسِ شَرًّا مَصِيرِ
وَرَمَى الْوَرَى فِي جَا حِمٍ مَسْجُورِ^(٨)
وَيَكْضُ تُهُمَةً قَلْبِهِ الْمَغْفُورِ^(٩)
كَارِي تُرْفَرُفُ فِي سُفُوحِ الطُّورِ^(١٠)
تَخْتَالُ بَيْنَ تَبَرُّجٍ وَسُفُورِ
رَقَّةً بِمَوَارِ الدَّمِ الْمَهْدُورِ؟^(١١)
تَرْتِي لَصَوْتِ تَفْجُّعِ الْمَوْتُورِ؟^(١٢)
تَعْنُو لِغَيْرِ الظَّالِمِ الشَّرِيرِ؟^(١٣)
تَادُّ لِكُلِّ دَعَارَةٍ وَفُجُورِ؟

(٦) الغث: الرديء الفاسد من الكلام.

(٧) قَلَّوْهُمْ: أَبْغَضْتُهُمْ.

(٨) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. مسجور: مشتعل، متقد.

(٩) يكض: لم أقع على تفسير لها، وربما كانت «يكظ» بمعنى يملأ غضباً.

(١٠) الطُّور: الجبل.

(١١) موار: مثير، كثير الحركة.

(١٢) الموتور: الذي يطالب بدم مهدور.

(١٣) تعنو: تخضع.

يا أيُّها الشَّادي المغرَّدُ ههنا
 قَبْلَ أَزَاهِيرِ الرَّبِيعِ ، وَغَنِّهَا
 واشربْ مِنْ النَّعْ ، الجميل ، الملتوي
 وَاتْرُكْ دَمَوْعَ الْفَجْرِ فِي أَوْرَاقِهَا
 فَلَرُبَّمَا كَانَتْ أَنْيْنًا صَاعِدًا
 ذَرَفَتْهُ أَجْفَانُ الصَّبَاحِ مَدَامعًا
 ثَمَلًا بَغْطَةً قَلْبِهِ الْمَسْرُورِ!
 رَنَمَ الصَّبَاحِ الضَّاحِكِ الْمَجْبُورِ^(١٤)
 ما بين دَوْحِ صَنْوَبِرٍ وَغَدِيرِ
 حَتَّى تُرَشِّفَهَا عَرُوسُ النُّورِ^(١٥)
 فِي اللَّيْلِ مِنْ مَتَوَجِّعٍ ، مَقْهُورِ
 أَلَاقَةٍ ، فِي دَوْحَةٍ وَزُهُورِ...^(١٦)

يا موت

— 39 —

هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات،
 وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في
 أيام الأسى التي تلت نكبتني ب وفاة الوالد ، رحمه الله .

[من الكامل]

يا مَوْتُ! قَدْ مَزَّقْتَ صَدْرِي وَقَصَّمتْ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي^(١)
 وَرَمَيْتَنِي مِنْ حَالِقٍ ، وَسَخِرْتَ مِنِّي أَيَّ سُخْرِ^(٢)
 فَلَبِثْتُ مَرْضُوضَ الْفَوَادِ أَجْرُّ أَجْنَحْتِي بِذُعْرِ...
 وَقَسَوْتُ إِذْ أَبْقَيْتَنِي فِي الْكَوْنِ أَذْرَعُ كُلِّ وَغْرِ^(٣)
 وَفَجَعَتَنِي فِيْمَنْ أَحَبُّ ، وَمَنْ إِلَيْهِ أُبْثُّ سَرِّي
 وَأَعْدَهُ ، فَجَرِي الْجَمِيلَ ، إِذَا آذَلَهُمْ عَلَيَّ دَهْرِي

(١٤) رنم: صوت، ترنيم. المجبور: المسرور.

(١٥) عروس النور: كناية عن الشمس.

(١٦) أَلَاقَة: متألقة. الدوحة: الحديقة.

(١) قصم: كسر. الأرزاء: المصائب.

(٢) الحالق: المكان المرتفع.

(٣) ذرع الطريق: قطعه كأنه يقيسه.

وَأَعُدُّهُ، وَرَدِّي وَمِزْمَارِي، وَكَاسَاتِي، وَخَمْرِي
وَأَعُدُّهُ، غَابِي، وَمِخْرَابِي، وَأُغْنِيَتِي، وَفَجْرِي...^(٤)
وَرَزَاتِنِي فِي عُمْدَتِي، وَمَشُورَتِي فِي كُلِّ أَمْرٍ^(٥)
وَهَدَمْتُ صَرْحاً، لَا أَلُودُ بغيره، وَهَتَكْتُ سِتْرِي^(٦)
فَفَقَدْتُ رَوْحاً، طَاهِراً، شَهْماً، يَجِيشُ بِكُلِّ خَيْرٍ
وَفَقَدْتُ قَلْباً، هُمُّهُ أَنْ يَسْتَوِيَ فِي الْأَفْقِ بِدُرِّي
وَفَقَدْتُ كَفّاً، فِي الْحَيَاةِ يَصُدُّ عَنِّي كُلَّ شَرٍّ
وَفَقَدْتُ وَجْهاً، لَا يُعَبِّسُهُ سِوَى حَزْنِي وَضُرِّي
وَفَقَدْتُ نَفْساً، لَا تَنِي عَنْ صَوْنِ أَفْرَاحِي وَبِشْرِي^(٧)
وَفَقَدْتُ رُكْنِي فِي الْحَيَاةِ، وَرَايَتِي، وَعِمَادَ قَصْرِي

★ ★ ★

يَا مَوْتَ! قَدْ مَزَّقْتَ صَدْرِي وَقَصَمْتَ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي
يَا مَوْتَ! مَاذَا تَبْتَغِي مِنِّي وَقَدْ مَزَّقْتَ صَدْرِي؟
مَاذَا تَوَدُّ، وَأَنْتَ قَدْ سَوَّدْتَ بِالْأَحْزَانِ فِكْرِي
وَتَرَكْتَنِي فِي الْكَائِنَاتِ أَثْنُ، مِنْفَرِداً بِإِصْرِي^(٨)
وَأَجُوبُ صَحْرَاءَ الْحَيَاةِ، أَقُولُ: أَيْنَ تُرَاهُ قَبْرِي؟
مَاذَا تَوَدُّ مِنَ الْمُعَذِّبِ فِي الْوُجُودِ بغيرِ وَرَرْ؟^(٩)

(٤) المحراب: المكان المرتفع.

(٥) رزأتني: من الرزء، وهو المصيبة.

(٦) ألود: أحتمي. هتك الستر: خرقة، مزقه.

(٧) لا تني: لا تنفك، لا تلبث، لا تتعب.

(٨) الإصر: العقوبة.

(٩) الوزر: الخطيئة والإثم.

ماذا تودُّ من الشَّقِيِّ بعِيشِهِ، النَكِيدِ، المُضِرِّ؟^(١٠)
 إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُنِي فَهَاتِ الكَاسَ، أَشْرِبُهَا بِصَبْرِ
 أَوْ كُنْتَ تَرْفُقُنِي فَهَاتِ السَّهْمَ، أَرْشُقُهُ بِنَحْرِي^(١١)
 خذني إليك، فَقَدْ تَبَخَّرَ فِي فِضَاءِ الهَمِّ عُمْرِي...
 وَتَهَدَّلْتُ أَغْصَانُ أَيَّامِي، بِلَا ثَمَرٍ وَزَهْرٍ^(١٢)
 وَتَنَائَرَتْ أَوْرَاقُ أَحْلَامِي عَلَى حَسَكِ الْمَمَرِّ...
 خذني إليك! فَقَدْ ظَمِئْتُ لِكَاسِكَ، الْكَدِيرِ، الْأَمْرِ...
 خذني فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَرْقَبُ فِي فِضَاكَ الْجَوْنِ فَجْرِي^(١٣)
 خذني، فما أَشَقَى الَّذِي يَقْضِي الْحَيَاةَ بِمِثْلِ أَمْرِي..

★ ★ ★

يا موت! قد مزَّقْتَ صَدْرِي وقصمتَ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي
 يا موت! قد شَاعَ الْفَوَادُ، وَأَقْفَرَتْ عَرَصَاتُ صَدْرِي
 وَغَدَوْتُ أَمْشِي مُطَّرَقاً مِنْ طُولِ مَا أَثْقَلْتَ فِكْرِي
 يا موت! نَفْسِي مَلَّتِ الدُّنْيَا، فَهَلْ لَمْ يَأْتِ دَوْرِي؟^(١٤)

شُعْرِي

[من المجتث]

— 40 —

شُعْرِي نُفَاثَةٌ صَدْرِي إِنْ جَاشَ فِيهِ شُعُورِي^(١)

(١٠) النكد: التعيس الحظ.

(١١) النحر: أعلى الصدر.

(١٢) تهدل: استرخى وتدلّى.

(١٣) الجون: من الأضداد، الأسود والأبيض. وهنا بمعنى الأسود.

(١٤) يسأل الموت قائلاً: متى يأتي دوري؟

(١) نفاثة: ما يرمى به المسلول من صدره. جاش: اضطرب.

لَوْلَاهُ مَا انْجَابَ عَنِّي غَيِمُ الْحَيَاةِ الْخَطِيرِ^(٢)
وَلَا وَجَدْتُ اكْتِنَابِي وَلَا وَجَدْتُ سُرُورِي
بِهِ تَرَانِي حَزِينًا أَبْكِي بِدَمْعٍ غَزِيرِ
بِهِ تَرَانِي طُروبًا أَجْرُ ذَيْلِ حُبُورِي^(٣)

★ ★ ★

لَا أَنْظُمُ الشَّعْرَ أَرْجُو بِهِ رِضَاءَ الْأَمِيرِ
بِمِدْحَةٍ أَوْ رِثَاءِ تُهْدِي لِرَبِّ السَّرِيرِ^(٤)
حَسْبِي إِذَا قَلْتُ شِعْرًا أَنْ يَرْضِيهِ ضَمِيرِي
مَا الشَّعْرَ إِلَّا فُضَاءَ يَرَفُّ فِيهِ مَقَالِي^(٥)
فِيمَا يَسُرُّ بِلَادِي وَمَا يَسُرُّ الْمَعَالِي
وَمَا يُثِيرُ شُعُورِي مِنْ خَافَقَاتِ خَيَالِي

★ ★ ★

لَا أَقْرُضُ الشَّعْرَ أَبْغِي بِهِ اقْتِنَاصَ نَوَالِ
الشَّعْرَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي جَمَالِهِ ذَا جَلَالِ
فإِنَّمَا هُوَ طِيفٌ يَسْعَى بِوَادِي الظَّلَالِ
يَقْضِي الْحَيَاةَ طَرِيدًا فِي ذِلَّةٍ، وَاعْتَزَالِ^(٦)

★ ★ ★

-
- (٢) انجَاب: انكشف وزال.
(٣) الحبور: السرور. يكثر الشاعر في هذه الأبيات من استعمال أساليب البيان المعروفة.
(٤) السرير: سرير الملك.
(٥) مقال: قول. يريد أن شعره تعبير عن أمانه وشعبه وصورة صادقة عما يختلج به صدره.
(٦) اقتناص: صيد. نوال: عطاء.
(٧) ذلة: هوان. كأنما يدعو في هذه الأبيات إلى الشعر الملتزم.

يا شِعْرُ! أَنْتَ ملاكي وَطَارِفِي، وتلادي^(٨)
 أنا إِلَيْكَ مُرَادٌ وَأَنْتَ نِعَمَ مُرَادِي^(٩)
 قِفْ، لَا تَدْعُنِي وَحِيداً وَلَا أَدْعُكَ تَنَادِي
 فَهَلْ وَجَدْتَ حُسَاماً يُنَاطُ دُونَ نِجَادِ^(١٠)

★ ★ ★

كَمْ حَطَّـمَ الدَّهْرُ ذَا هِمَّةٍ كَثِيرَ الرَّمَادِ^(١١)
 أَلْقَاهُ تَحْتَ نَعَالٍ مِنْ ذِلَّةٍ وَحِدَادِ^(١٢)
 رِفْقاً بِأَهْلِ بِلَادِي! يَا مَنْجُونِ الْعَوَادِي!

فكرة الفنان

[من الكامل]

— 41 —

عَشْ بِالشُّعُورِ، وللشُّعُورِ، فَإِنَّمَا دُنْيَاكَ كَوْنُ عَوَاطِفِ وشُعُورِ
 شِيدَتْ عَلَى الْعَطْفِ الْعَمِيقِ، وَإِنَّهَا لَتَجِفُّ لَوْ شِيدَتْ عَلَى التَّفْكِيرِ
 وَتَظَلُّ جَامِدَةً الْجَمَالِ، كَثِيبَةً كَالْهَيْكَلِ، الْمَتَهَدِّمِ، الْمَهْجُورِ
 وَتَظَلُّ قَاسِيَةً الْمَلَامِحِ، جَهْمَةً كَالْمَوْتِ، مُقْفِرَةً، بَغِيرِ سُرُورِ^(١)
 لَا الْحَبُّ يَرْقُصُ فَوْقَهَا مَتَغْنِيَا لِلنَّاسِ، بَيْنَ جَدَاوِلِ وَزُهُورِ
 مُتَوَرِّدَ الْوَجَنَاتِ سَكَرَانَ الْخَطَى يَهْتَزُّ مِنْ مَرَحٍ، وَقَرُطِ حُبُورِ

(٨) الطَّارِف: المال المكتسب. التَّلاَد: المال الموروث.

(٩) المراد: القصد. يريد القول أَنَّ الشَّعْرَ هو الذي يدعو أولاده الأبرار إليه.

(١٠) نَاط: حمل. نِجَاد: محمل السِّيف.

(١١) كثير الرَّمَاد: كناية عن الكرم وهي كناية قديمة تراثية.

(١٢) الحِدَاد: ترك الزينة والملذات. وفي البيت الأخير لم أقع على تفسير لكلمة « منجنون ».

(١) جهمة: عابسة الوجه.

متكللاً بالورد، ينثرُ للورى
 كلاً! ولا الفنُ الجميلُ بظاهِرٍ
 متوشحاً بالسَّحر، ينفخُ نايَه
 أو يلمسُ العودَ المقدسَ، واصفاً
 ما في الحياة من المسرة، والأسى
 أبداً ولا الأملُ المجنَّحُ منشِداً
 تلكَ الأناشيدَ التي تهبُّ الورى
 واجعلْ شعوركَ، في الطَّبيعة قائداً
 صحبَ الحياةَ صغيرةً، ومشى بها
 وعداً بها فوقَ الشَّواهِقِ، باسمِ
 والعقلُ، رَغَمَ مشيهِ ووقاره،
 يمشي... فتَضَرَّعُهُ الرِّياحُ، فيَنثني
 ويظلُّ يَسْأَلُ نفسه، متفلسفاً
 عما تُحجِّبُهُ الكَوَاكِبُ خلفها
 وهو المهشَّمُ بالعواصفِ.. إيا له

أوراقُ وردٍ «اللَّذة» المنضُورِ^(٢)
 في الكونِ تحْتَ غَمَامَةٍ من نُورِ
 المشبوبِ بينَ خمائلٍ وغديرِ
 للموتِ، للأَيَّامِ، للديجورِ^(٣)
 والسَّحرِ، واللَّذاتِ، والتغْرِيرِ^(٤)
 فيها بصوتِ الحالمِ، المَحْبُورِ
 عَزَمَ الشَّبَابِ، وَغَبَطَةُ العُصْفُورِ
 فَهُوَ الخَيْرُ بَيْنَهُمَا المَسْحُورِ^(٥)
 بينَ الجماجمِ، والدَّمِ المهدورِ
 متغنياً، مِنْ أَعْصُرِ وَدْهُورِ
 ما زالَ في الأَيَّامِ جِدًّا صَغيرِ
 متوجَّعاً، كالطَّائِرِ المَكْسُورِ
 مَتَنَطَّساً، في خَفَّةٍ وَغُرُورِ:^(٦)
 مِنْ سِرِّ هَذَا العالَمِ المَسْتُورِ
 من ساذجٍ، متفلسفٍ، مغرورٍ!



وافتحْ فؤادَكَ للوجودِ، وَخَلِّهِ
 للثلجِ تَشْرُهُ الزَّوابعُ، للأسى

لَيِّمٌ للأمواجِ، للديجورِ^(٧)
 للهَوْلِ، للآلامِ، للمقدورِ

(٢) المنضور: في الشجر ما كان نضيراً حسناً جميلاً.

(٣) الديجور: الظلام.

(٤) التغرير: التعرض للهلاك.

(٥) التَّيَه: الأرض الواسعة يضيغ فيها المرء.

(٦) متنطساً: جاعلاً نفسه كالتنطاسي أي الطَّيِّب العالم.

(٧) اليم: البحر. الديجور: الظلام.

واتركه يقتحم العواصف... هائماً
ويخوض أحشاء الوجود... مغامراً
حتى تُعانيه الحياة، ويرتوي
فتعيش في الدنيا بقلبٍ زاخِرٍ
في نشوة، صوفيّةٍ قدسيّةٍ

في أفقها، المتلبّد، المقرور^(٨)
في ليلها، المتهيّب، المحذور
من نغرها المتأجّج، المسجور^(٩)
يقظ المشاعر، حالم، مسحور
هي خير ما في العالم المنظور

(٨) المقرور: البارد.

(٩) المسجور: الممتلىء.

قافية السّين

نظرة في الحياة

[من المجتث]

— 42 —

إِنَّ الحَيَاةَ صِرَاعٌ	فيها الضَّعِيفُ يُدَاسُ ^(١)
مَا فَازَ فِي مَاضِيَّهَا	إِلَّا شَدِيدُ المِرَاسِ ^(٢)
لِلخَبِّ فِيهَا شَجُونٌ	فَكُنْ فِتَى الإِحْتِرَاسِ ^(٣)
الْكُونُ كُونُ شَقَاءٍ	الْكُونُ كُونُ التَّبَاسِ ^(٤)
الْكُونُ كُونُ اخْتِلَاقٍ	وَضَجَّةٌ وَاخْتِلَاسُ ^(٥)
سَيَّانٍ عِنْدِي فِيهِ	السُّرُورُ، وَالإِبْتِئَاسُ ^(٦)
بَيْنَ النَّوَائِبِ بَوْنٌ	لِلنَّاسِ فِيهِ مَزَايَا ^(٧)
البَعْضُ لَمْ يَدْرِ إِلَّا	البَلَى يُنَادِي البَلَايَا
والبَعْضُ مَا ذَاقَ مِنْهَا	سِوَى حَقِيرِ الرِّزَايَا ^(٨)

(١) يُدَاسُ: يُسْحَقُ.

(٢) مَضَغُ الطَّعَامِ: لَاحِكُهُ بِفَمِهِ. المِرَاسُ: الشَّدَّةُ والقُوَّةُ.

(٣) الخَبِّ: الخَدَاعُ والفسَادُ. شَجُونٌ: أَحْزَانٌ. الإِحْتِرَاسُ: الحَيَظَةُ والحَذَرُ.

(٤) الإِلْتِبَاسُ: الإِشْكَالُ والاشْتِبَاهُ.

(٥) الإِخْتِلَافُ: الإِفْتِرَاءُ. الإِخْتِلَاسُ: الإِسْتِلَابُ.

(٦) السِّيَّ: النِّظِيرُ. الشَّاعِرُ يَبْلُغُ ذُرْوَةَ اليَأْسِ.

(٧) البَوْنُ: البُعْدُ. يَرِيدُ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَصَّتَهُ مِنَ المَصَائِبِ.

(٨) الرِّزَايَا: المَصَائِبُ.

إِنَّ الْحَيَاةَ سُبَاتٌ سَيَنْقُضِي بِالْمَنَايَا^(٩)
وَمَا الرَّؤْيُ فِيهِ إِلَّا آمَالُنَا، وَالْخَطَايَا^(١٠)
فَإِنْ تَقَظَّ كَانَتْ بَيْنَ الْجَفُونِ بَقَايَا

★ ★ ★

إِنَّ السَّكِينَةَ رُوحٌ فِي اللَّيْلِ لَيْسَتْ تُضَامُ^(١١)
وَالرُّوحُ شُعْلَةٌ نُورٍ مِنْ فَوْقِ كُلِّ نِظَامٍ
لَا تَنْطَفِي بِرِيَّاحِ الْإِرْهَاقِ أَوْ بِالْحُسَامِ
بَلْ قَدْ يَعُجُّ لَهَا سَيْلًا، وَيَطْفِئُ الضَّرَامُ^(١٢)
كُلَّ الْبَلَايَا... جَمِيعًا تَفْنَى وَيَحْيَا السَّلَامُ!
وَالذُّلُّ سُبَّةٌ عَارٍ لَا يَرْضِيهِ الْكَرَامُ!
الْفَجْرُ يَسْطَعُ بَعْدَ الدُّجَى، وَيَأْتِي الضِّيَاءُ
وَيَرْقُدُ اللَّيْلُ قَسْرًا عَلَى مِهَادِ الْعَفَاءِ^(١٣)
وَلِلشُّعُوبِ حَيَاةٌ حِينًا وَحِينًا فَنَاءُ
وَالْيَأْسُ مَوْتُ وَلَكِنْ مَوْتُ يُثِيرُ الشَّقَاءَ^(١٤)
وَالْجِدُّ لِلشُّعُوبِ رُوحٌ تُوحِي إِلَيْهِ الْهَنَاءُ
فَإِنْ تَوَلَّتْ تَصَدَّتْ حَيَاتُهُ لِلْبَلَاءِ^(١٥)

(٩) سبات: نوم عميق.

(١٠) الرؤى: الأحلام.

(١١) تضام: تظلم.

(١٢) يعج: يرتفع صوتها. الضرام: الاشتعال.

(١٣) العفاء: الزوال وامحاء الأثر.

(١٤) على الرغم من آلامه فالشاعر لا يزال كبير الأمل.

(١٥) تصدَّت: تعرّضت. أي أن الروح في الشعوب هي التي تحقق المعجزات.

شكوى اليتيم

- 43 -

[من المتقارب]

عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، أَنْتَى يَضْجُ صُرَاخُ الصَّبَاحِ وَتَوَحُّ الْمَسَا
تَنَهَّدْتُ مِنْ، مُهْجَةٍ أُتْرِعْتُ بِدَمْعِ الشَّقَاءِ وَشَوْكِ الْأَسَى^(١)
فَضَاعَ التَّنَهُدُ فِي الضَّجَّةِ
بَمَا فِي ثَنِيَاهُ مِنْ لَوْعَةٍ^(٢)
فُسِرْتُ وَنَادَيْتُ: « يَا أُمُّ! هَيَّا
إِلَيَّ! فَقَدْ سُمْتَنِي الْحَيَاةُ »
وَجِئْتُ إِلَى الْغَابِ، أَسْكَبُ أَوْجَاعَ قَلْبِي نَحِيئًا، كَلْفَحِ اللَّهْيَبِ^(٣)
نَحِيئًا تَدَافَعُ فِي مَهْجَتِي، وَسَالَ يَرُنُّ بِنَدْبِ الْقُلُوبِ
فَلَمْ يَفْهَمْ الْغَابُ أَشْجَانَهُ
وَوَظَلَ يَرْدَدُ الْحَانَةَ
فَسِرْتُ وَنَادَيْتُ: « يَا أُمُّ! هَيَّا
إِلَيَّ! فَقَدْ عَذَّبْتَنِي الْحَيَاةُ »
وَقَمْتُ عَلَى النَّهْرِ، أَهْرَقُ دَمْعًا تَفْجَّرَ مِنْ فَيْضِ حُزْنِي الْأَلِيمِ
يَسِيرُ بِصَمْتٍ عَلَى وَجْنَتِي وَيَلْمَعُ مِثْلَ دَمْعِ الْجَحِيمِ
فَمَا خَفَّفَ النَّهْرُ مِنْ عَذْوِهِ
وَلَا سَكَتَ النَّهْرُ عَنْ شَدْوِهِ^(٤)

(١) اترع: ملأ.

(٢) الثنياه: الطرق في الجبال. إنه يبتث شكواه إلى البحر.

(٣) لَفَحَ: أحرق. لقد عاد إلى الغاب يردد شكواه ولكن دون جدوى.

(٤) شدوه: غناؤه.

فسرتُ، وناديتُ: «يا أم! هيا
إليّ! فقد أضجرتني الحياة»

★ ★ ★

ولمّا ندبتُ ولم ينفعِ
وتناديتُ أمّي فلم تسمعِ
رجعتُ بحزني إلى وُحْدتي
وردّدتُ نوحِي على مِسمعي
وعانقتُ في وُحْدتي لوْعتي
وقلتُ لنفسي: «ألا فأسكتي!»^(٥)

حرم الأمومة

[من الكامل]

— 44 —

الأمُّ تَلْتُمُ طِفْلَهَا، وَتَضُمُّهُ	حرمٌ، سَمَاوِيَّ الْجَمَالِ، مُقَدَّسٌ ^(١)
تَتَأَلَّهُ الْأَفْكَارُ، وَهِيَ جِوَارُهُ	وَتَعُودُ طَاهِرَةً هُنَاكَ الْأَنْفُسُ ^(٢)
حَرَمُ الْحَيَاةِ يَطْهَرُهَا وَحَنَانُهَا	هَلْ فَوْقَهُ حَرَمٌ أَجَلٌ وَأَقْدَسُ ^(٣) ؟
بوركتَ يا حَرَمَ الأمومةِ والصَّبَا	كَمْ فِيكَ تَكْتَمِلُ الْحَيَاةُ وَتَقْدُسُ ^(٤)

(٥) لقد أسكت نفسه ودفن حزنه في قلبه، لأنه لم يجد أحداً من الناس أو من الطبيعة يشاركه في هذا الحزن.

- (١) حرم: يريد القول إنّ الأمومة هي حرم سماويّ.
- (٢) جواره: أي بالقرب منه. وكلمة «هناك» تعود إلى «جواره» في صدر البيت.
- (٣) حَرَمٌ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هي» أي، الأمّ.
- (٤) تَقْدُسُ: من قَدُسَ، أي أصبح طاهراً مقدساً

النبي المجهول

— 45 —

[من الخفيف]

فأهوي على الجذوع بفأسي!
تهدُّ القبور: رسماً برمس!
كلُّ ما يخنق الزهور بنحسي
كل ما أذبل الخريف بقرسي!^(١)
فألقي إليك ثورة نفسي!
فأدعوك للحياة بنبسي!^(٢)
أنت حي، يقضي الحياة برمس...!^(٣)
وتقضي الدهور في ليل ملْس...!^(٤)
حواليك دون مسٍّ وجسٍ
وأترعتها بخمرة نفسي...
رحيقي، ودست يا شعبُ كأسِي!^(٥)
وكفكفت من شعوري وحسي
بأقة لم يمسهَا أيُّ إنسي...!^(٦)
ورودي، ودستَهَا أيُّ دوسٍ
وبشوك الجبال توجت رأسي

أيها الشعبُ! ليتني كنتُ حطّاباً
ليتني كنتُ كالسُّيول، إذا سالتُ
ليتني كنتُ كالرياح، فأطوي
ليتني كنتُ كالشَّاء، أغشي
ليت لي قوّة العواصف، يا شعبي
ليت لي قوّة الأعاصير، إن ضجّت
ليت لي قوّة الأعاصير...! لكن
أنت روح غيّّة، تكره النور،
أنت لا تدرك الحقائق إن طافتُ
في صباح الحياة ضمّختُ أكوابي
ثمّ قدّمْتُها إليك، فأهرقتُ
فتألّمت... ثمّ أسكتُ آلامي،
ثمّ نضدتُ من أزاير قلبي
ثمّ قدّمْتُها إليك، فمزقتُ
ثمّ ألْبستني من الحزن ثوباً

★ ★ ★

لأقضي الحياة، وحدي، بيأس

إنني ذاهبٌ إلى الغاب، يا شعبي

(١) القرس: البرد الشديد.

(٢) النّس: الكلام.

(٣) الرمس: القبر.

(٤) ملْس الظلام: اختلط.

(٥) الرحيق: الخمرة الصّافية.

(٦) نضد: ضمّ الأشياء بعضها إلى بعض.

إنني ذاهبٌ إلى الغابِ، عليّ
 ثمَّ أنساكَ ما استطعتُ، فما أنت
 سوف أتلو على الطيور أناشيدي،
 فهي تدري معنى الحياة، وتدري
 ثم أقضي هناك، في ظلمة الليل،
 ثم تحت الصنوبر، الناضر، الحلو،
 وتظلُّ الطيورُ تلغو على قبري
 وتظلُّ الفصولُ تمشي حوالِيَّ،
 أيها الشعبُ؟ أنتَ طفلٌ صغيرٌ،
 أنتَ في الكونِ قوَّةٌ، لم تُسْهَها
 أنتَ في الكونِ قوَّةٌ، كبَلَّتها
 والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي

في صميم الغابات أَدفنُ بؤسي
 بأهلٍ لخمرتي ولكأسي
 وأفضي لها بأشواقِ نفسي
 أنَّ مجدَ النفوسِ يَقْطِطُ حِسَّ
 وألقي إلى الوجود بيأسي
 تخطُّ السيولُ حُفرةَ رمسي
 ويشدو النسيمُ فوقِي بهمسٍ^(٧)
 كما كُنَّ في غَضارةِ أمسي
 لاعبٌ بالترابِ والليلُ مُعْسٍ...^(٨)
 فكرةٌ، عبقريَّةٌ، ذاتُ بأسٍ
 ظلَّمتُ العصور، مِنْ أَمْسٍ أَمْسٍ..
 في حَساسيَّتي، ورقَّةِ نفسي



هكذا قال شاعرٌ، ناولَ النَّاسِ
 فأشاحوا عنها، ومرُّوا غضاباً
 «قد أضاع الرَّشادُ في ملعب الجنِّ»
 «طالما خاطبَ العواطفَ في اللَّيلِ»
 طالما رافقَ الظَّلامَ إلى الغابِ
 طالما حدَّثَ الشياطينَ في الوادي،
 «إنه سَاحِرٌ، تُعَلِّمُهُ السَّحَرُ»
 فأبعدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكلِ

رحيقَ الحياةِ في خير كأسٍ
 واستخفُّوا به، وقالوا بيأسٍ:
 «يا بؤسَه، أصيبَ بِمَسٍّ»
 وناجى الأمواتَ في غير رمسٍ
 ونادى الأرواحَ مِنْ كلِّ جنسٍ
 وغنَّى مع الرِّيحِ بجرسٍ^(٩)
 الشياطينَ، كلَّ مَطلَعِ شَمْسٍ
 إنَّ الخبيثَ منبَعُ رِجْسٍ

(٧) تلغو: تتكلَّم بدون معنى.

(٨) أغسى اللَّيل: أظلمَّ.

(٩) الجرس: الصوت.

«أطردوه، ولا تُصيخوا إليه فهو روحٌ، شريعةٌ، ذاتٌ نحسٌ» (١٠)

★ ★ ★

هَكَذَا قَالَ شَاعِرٌ، فِيلَسُوفٌ،
جَهَلَ النَّاسُ رُوحَهُ، وَأَغَانِيَهَا
فَهَوَ فِي مَذْهَبِ الْحَيَاةِ نَبِيٌّ
هَكَذَا قَالَ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْغَابِ،
وَبَعِيداً... هُنَاكَ... فِي مَعْبَدِ الْغَابِ
فِي ظِلَالِ الصَّنُوبِرِ الْحَلُوقِ، وَالزَّيْتُونِ
فِي الصَّبَاحِ الْجَمِيلِ، يَشْدُو مَعَ الطَّيْرِ،
نَافِخاً نَآيَهُ، حَوَالِيهِ، تَهْتَزُّ
شَعْرُهُ مُرْسَلٌ، تُدَاعِبُهُ الرِّيحُ
وَالطُّيُورُ الطَّرَابُ تَشْدُو حَوَالِيهِ
وَتَرَاهُ عِنْدَ الْأَصِيلِ، لَدَى الْجَدُولِ،
أَوْ يَغْنِي بَيْنَ الصَّنُوبِرِ، أَوْ يَرْنُو
فَإِذَا أَقْبَلَ الظَّلَامُ، وَأَمْسَتْ
كَانَ فِي كُوخِهِ الْجَمِيلِ، مَقِيمًا
عَنْ مَصَبِّ الْحَيَاةِ، أَيْنَ مَدَاهُ؟

عَاشَ فِي شَعْبِهِ الْغَبِيِّ بَتَغْسِ
فَسَامُوا شَعُورَهُ سَوْمَ بَخْسِ (١١)
وَهُوَ فِي شَعْبِهِ مُصَابٌ بِمَسِ (١٢)
لِحَيَاةِ حَيَاةِ شَعْرِ وَقُدْسِ
الَّذِي لَا يُظْلَلُهُ أَيُّ بَسْوَاسِ
يَقْضِي الْحَيَاةَ: حَرَسًا بِحَرَسِ (١٣)
وَيَمْشِي فِي نَشْوَةِ الْمُتَحَسِّيِ
وَرُودُ الرَّبِيعِ مِنْ كُلِّ قَنْسِ (١٤)
عَلَى مَنْكِبَيْهِ مِثْلَ الدُّمُقْسِ (١٥)
وَتَلْعُو فِي الدَّوْحِ، مِنْ كُلِّ جَنْسِ
يَرْنُو لِلطَّائِرِ الْمُتَحَسِّيِ (١٦)
إِلَى سُدْفَةِ الظَّلَامِ الْمُتَمَسِّيِ
ظِلْمَاتُ الْوُجُودِ فِي الْأَرْضِ تُغْسِي (١٧)
يَسْأَلُ الْكَوْنَ فِي خُشُوعٍ وَهَمْسِ
وَصَمِيمِ الْوُجُودِ، أَيَّانَ يُرْسِي؟

(١٠) أصاخ: استمع.

(١١) سام: أذل. بخس: ناقص.

(١٢) المس: الجنون.

(١٣) الحرس: الزمن الطويل.

(١٤) القنس: أعلى الرأس، والأصل.

(١٥) الدُمقس: الحرير.

(١٦) المتحسي: الشارب.

(١٧) تغسي: راجع الحاشية رقم ٨ من هذه القصيدة.

وَنَشِيدِ الطُّيُورِ، حِينَ تَمْسِي
وَرُسُومِ الْحَيَاةِ مِنْ أَمْسِ أَمْسٍ^(١٨)
سُكُونُ الْفَضَا، وَأَيَّانَ تُمَسِّي؟؟
حَلَقَاتِ السَّنِينَ: حَرَساً بِحَرَسٍ^(١٩)
تُضْحِي بَيْنَ الطُّيُورِ وَتُمَسِّي!
نَفُوسُ الْوَرَى بِخُبْثٍ وَرَجَسٍ
حَيَاةً غَرِيبَةً، ذَاتُ قُدْسٍ^(٢٠)

وَأَرِيحِ الْوُرُودِ فِي كُلِّ وَادٍ
وَهَزِيمِ الرِّيَّاحِ، فِي كُلِّ فَجٍّ
وَأَغَانِي الرَّعَاةِ أَيْنَ يُوَارِيهَا
هَكَذَا يَصْرِفُ الْحَيَاةَ، وَيُفْنِي
يَا لَهَا مِنْ مَعِيشَةٍ فِي صَمِيمِ الْغَابِ
يَا لَهَا مِنْ مَعِيشَةٍ، لَمْ تُدَنَّسْهَا
يَا لَهَا مِنْ مَعِيشَةٍ، هِيَ فِي الْكُونِ

الدموع

- 46 -

[من الخفيف]

وَالْمُنَى بَيْنَ لَوْعَةٍ وَتَأْسٍ^(١)
لَا تَوَدُّ الرَّحِيقَ فِي كَأْسِ رَجَسٍ^(٢)
ضَلَّلَ النَّاسَ مِنْ إِمَامٍ وَقَسَّ
تَكْفُ الْحَيَاةِ عَنْ كُلِّ هَمَسٍ
يَسْتَبِينِي سِوَى سَكِينَةِ نَفْسِي^(٣)
تَتَلَاشَى بِهِ أَنْشِيدُ يَأْسِي
بِالْأَمَانِي، فَمَا تَنَاولْتُ كَأْسِي^(٤)

يَنْقَضِي الْعَيْشُ بَيْنَ شَوْقٍ وَيَأْسٍ
هَذِهِ سَنَةُ الْحَيَاةِ، وَنَفْسِي
مُلِيءَ الدَّهْرِ بِالْخَدَاعِ، فَكَمْ قَدْ
كَلَّمَا أَسْأَلَ الْحَيَاةَ عَنِ الْحَقِّ
لَمْ أَجِدْ فِي الْحَيَاةِ لَحْناً بَدِيعاً
فَسَتِمْتُ الْحَيَاةَ، إِلَّا غِرَاراً
بَنَاولْتَنِي الْحَيَاةُ كَأْساً دِهَاقاً

(١٨) هزيم: اندفاع.

(١٩) الحرَس: راجع الحاشية رقم ١٣ من هذه القصيدة.

(٢٠) يبلغ الشاعر في هذه الأبيات ذروة اليأس.

(١) التَّأْسِي: الصَّبْرُ والتَّعَزِّي.

(٢) سَنَةٌ: شريعة. الرَّحِيقُ: الخمر الصَّافِيَّة. رَجَسٌ: شيء قذر.

(٣) يستبي: يأسر.

(٤) الكَأْسُ الدِّهَاقُ: الممثلة الطَّافحة.

وَسَقَتْنِي مِنَ التَّعَاسَةِ أَكْوَابًا تَجَرَّعْتُهَا، فَيَا شَدَّ تَغْسِي!
إِنَّ فِي رَوْضَةِ الْحَيَاةِ لِأَشْوَكَاءَ بِهَا مُزَّقَتْ زَنَابِقُ نَفْسِي

★ ★ ★

ضَاعَ أَمْسِي! وَأَيْنَ مِنِّي أَمْسِي؟ وَقَضَى الْحَبُّ فِي سَكُونٍ مُرِيعٍ
وَقَضَى الْمَوْتُ بَيْنَ سُخْطٍ وَبُؤْسٍ لَمْ تُخَلِّفْ لِي الْحَيَاةَ مِنَ الْأَمْسِ
سِوَى لَوْعَةٍ، تَهْبُّ وَتُرْسِي تَتَهَادَى مَا بَيْنَ غَصَّاتِ قَلْبِي
بِسُكُونٍ وَبَيْنَ أَوجَاعِ نَفْسِي كَخِيَالٍ مِنْ عَالَمِ الْمَوْتِ، يَنْسَابُ
بِصَمْتٍ مَا بَيْنَ رَمْسٍ وَرَمْسٍ^(٥) تِلْكَ أَوجَاعُ مَهْجَةٍ، عَذَّبْتُهَا
فِي جَحِيمِ الْحَيَاةِ أَطْيَافُ نَحْسٍ^(٦)

شجون

[من الخفيف]

— 47 —

عَجَبًا لِي! أَوَدُّ أَنْ أَفْهَمَ الْكَوْنَ، لَمْ أَفِدْ مِنْ حَقَائِقِ الْكَوْنِ إِلَّا
أَنْنِي فِي الْوُجُودِ مُرْتَادُ رَمْسٍ^(١) كُلُّ ذَاهِرٍ يَمُرُّ يَفْجَعُ قَلْبِي
لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ الزَّمَانِ الْمُؤَسِّي فِي ظِلَامِ الْكُھُوفِ أَشْبَاحُ شُؤْمٍ
وَبِهَذَا الْفَضَاءِ أَطْيَافُ نَحْسٍ وَخِلَالَ الْقُصُورِ أَنْاتُ حُزْنٍ

(٥) الرَّمْس: القبر. ينساب: يجري.

(٦) إِنَّهُ يَنْدَبُ سُوءَ حَقْلِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

(١) الرَّمْس: القبر.

(٢) أَنْضَاءُ: جَمْعُ نَضْرٍ، وَهُوَ الْمَهْزُولُ الضَّعِيفُ.

وَالْقَضَاءُ الْأَصَمُّ يَعْتَسِفُ النَّاسَ وَيَقْضِي مَا بَيْنَ سَيْفٍ وَقَوْسٍ! (٣)

★ ★ ★

هذه صورةُ الحياة، وهذا لونُها في الوجود، مِنْ أَمْسٍ أَمْسٍ
صورةٌ للشقاء دَامِعَةُ الطَّرْفِ وَلَوْنٌ يَسُودُ فِي كُلِّ طَرَسٍ

(٣) يتعسف: يظلم.

(٤) الطرس: الكتاب والصحيفة.

قافية العين

أنشودة الرعد

- 48 - [من مجزوء الرمل]

فِي سَكُونِ اللَّيْلِ لَمَّا عَانَقَ الْكَوْنُ الْخُشُوعَ
وَاخْتَفَى صَوْتُ الْأَمَانِي خَلْفَ آفَاقِ الْهَجُوعِ^(١)

★ ★ ★

رَتَّلَ الرَّعْدُ نَشِيداً رَدَّدَتْهُ الْكَائِنَاتُ^(٢)
مِثْلَ صَوْتِ الْحَقِّ إِنْ صَا حَ بِأَغْمَاقِ الْحَيَاةِ

★ ★ ★

يَتَهَادَى بِضَجِيجٍ فِي خَلَائِهَا الْأَوْدِيَةُ^(٣)
مِثْلَ جَبَّارٍ بَنِي الْجَنِّ بِأَقْصَى الْهَارِيَةِ
فَسَأَلْتُ اللَّيْلَ، وَاللَّيْلُ كَثِيبٌ، وَرَهْمِيْبٌ
شَاخِصاً بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلُ جَمِيلٌ، وَغَرِيبٌ

★ ★ ★

(١) الهجوع: النوم ليلاً. يريد القول أن الأماني تختفي عند الشعوب الخاملة بينما الأحلام يجب أن تستيقظ في مثل هذا الوقت.

(٢) يقصد بالرعد، التغيير.

(٣) يتهادى: يتمايل.

أُتْرَى أَنْشُودَةُ الرَّغْدِ أَيْنَ وَحَيْنَ
رَنَمَتَهَا بِخُشُوعٍ مُهَجَّةُ الْكَوْنِ الْحَزِينِ؟

★ ★ ★

أَمْ هِيَ الْقُوَّةُ تَسْعَى بِاعْتِسَافٍ وَاصْطِخَابٍ^(٤)
يَتَرَاءَى فِي ثَنَائِهَا صَوْنُهَا رُوحُ الْعَذَابِ؟»

★ ★ ★

غَيْرَ أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ ظَلَّ رَكُوداً، جَامِداً^(٥)
صَامِتاً مِثْلَ غَدِيرِ الْقَفْرِ، مِنْ دُونِ صَدَى!

(٤) الاعتساف: الظلم. الاصطخاب: الضجّة.

(٥) ركود: ساكن، هادئ. يقول: إن إرادة التغير لم تلق أي صدًى إيجابياً.

قافية الفاء

بقايا الخريف

[من المتقارب]

— 49 —

كَرِهْتُ الْقُصُورَ، وَقُطَّانَهَا، وَمَا حَوْلَهَا مِنْ صِرَاعٍ عَنِيفٍ
وَكَيْدِ الضَّعِيفِ لِسَعْيِ الْقَوِيِّ، وَعَصْفِ الْقَوِيِّ بِجَهْدِ الضَّعِيفِ^(١)
وَجَاشَتْ بِنَفْسِي دُمُوعُ الْحَيَاةِ، وَعَجَّتْ بِقَلْبِي رِيَّاحُ الصُّرُوفِ^(٢)
لِقَلْبِ الْفَقِيرِ الْحَاطِمِ الْكَسِيرِ، وَدَمَعِ الْأَيَّامِ السَّقِيمِ الذَّرِيفِ^(٣)
وَنُوحِ الْيَتَامَى عَلَى أُمَهَاتٍ، تَوَارَيْنَ خَلْفَ ظِلَامِ الْحُتُوفِ^(٤)
فَسَرْتُ إِلَى حَيْثُ تَأْوِي أَغْنَانِي الرَّبِيعِ، وَتَذْوِي أُمَانِي الْخَرِيفِ^(٥)
وَحَيْثُ الْفَضَا شَاعِرٌ، حَالِمٌ، يَنَاجِي السُّهُولَ بِوَحْيِ طَرِيفِ
وَقَدْ دَثَّرَتْهُ غَيُومُ الْمَسَاءِ بِظِلٍّ، حَزِينٍ، ضَرِيجٍ، شَفِيفِ^(٦)
وَبَيْنَ الْغُصُونِ الَّتِي جَرَدَتْهَا لِيَالِي الْخَرِيفِ، الْقَوِيُّ الْعُسُوفِ^(٧)

(١) الكيد : المكر والخداع.

(٢) جاش : اضطرب. الصُّرُوف : حوادث الدهر.

(٣) الأيَّامى : الأراذل.

(٤) الحتوف : الموت.

(٥) تذوي : تذبل.

(٦) دَثَّرَ : غطى بثوب. ضَرِيج : مصبوغ بالحمرة. شَفِيف : شفاف.

(٧) العسوف : الظالم.

وَقَفْتُ، وَحَوْلِي غَدِيرٌ، مَوَاتٌ، تَمَادَتْ بِهِ غَفَوَاتُ الْكُھُوفِ
قَضَتْ فِي حَفَايِهِ تِلْكَ الزُّهُورُ، فَكَفَّنَهَا بِالصَّقِيعِ الْخَرِيفِ
سَوَى زَهْرَةٍ شَقِيتَ بِالْحَيَاةِ، وَلَمَبَّثَهَا بِالْمُقَامِ الْمُخِيفِ^(٨)
يُرْوَعُهَا فِيهِ قَصْفُ الرَّعُودِ: وَيُحْزِنُهَا فِيهِ نَدْبُ الزَّيْفِ^(٩)
وَيَتَنَابُهَا فِي الصَّبَاحِ السَّدِيمِ، وَفِي اللَّيْلِ حُلْمٌ، مُرِيعٌ مُخِيفٌ^(١٠)
وَتُرْهِبُهَا غَادِيَاتُ الْغَمَامِ، وَتُؤْلِمُهَا كُلُّ رِيحٍ عَصُوفُ
فَتَرْنُو لَهَا حَوْلَهَا مِنْ زُهُورٍ، وَمَا تَمَّ إِلَّا السَّحِيقُ، الْجَفِيفُ
فَتَبْكِي بِكَاءِ الْغَرِيبِ، الْوَحِيدِ، بِشَجْوٍ كَظِيمٍ، وَنَوْحٍ ضَعِيفِ^(١١)
تُبَاكِ بِهَ لُبَّهَا الْمُسْتَطَارَ، وَتَرْتِي بِهِ مَا طَوَّتُهُ الْحُتُوفُ^(١٢)
وَتَشْكُو أَسَاَهَا بَيَاضَ النَّهَارِ، وَتَنْدُبُ حَظَّ الْحَيَاةِ السَّخِيفِ
وَلَكِنْ لَقَدْ فَقَدَتْ فِي الْوُجُودِ رَفِيقاً مُصِيحاً، وَقَلْباً رَوُوفَ^(١٣)
فَمَا تَمَّ إِلَّا الصُّخُورُ الْقَوَاسِي، وَإِلَّا الصَّدَى الْمُسْتَطَارُ الْهَتُوفُ^(١٤)
فَجَادَتْ بِرُوحٍ شَجِيٍّ، لَقَدْ عَذَّبَتْهُ اللَّيَالِي صُوفُ^(١٥)
وَمَاتَتْ، وَقَدْ غَادَرَتْهَا بِقَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ ضُنْكَ، حَيَاةُ الصَّرُوفِ
فَبَانَتْ حَيَالُ الْغَدِيرِ الْأَصَمِّ، وَقَدْ أَخْرَسَ الْمَوْتُ ذَاكَ الْحَفِيفِ
وَقَدْ خَضَّبَتْهَا غَيُومُ الْمَسَاءِ، كَغَانِيَةٍ ضَرَجَتْهَا السُّيُوفُ^(١٦)
فَسَلُّهَا: «تَرَى كَيْفَ غَاضَ الْأَرِيحُ؟» وَكَيْفَ ذَوَى سِحْرُ ذَاكَ الرَّفِيفِ؟^(١٧)

(٨) الملبث: المكان.

(٩) الزَّيْفُ: هبوب الريح.

(١٠) السديم: الضباب الرقيق.

(١١) الكظيم: المهموم.

(١٢) اللَّبَّ: القلب. الحتوف: الموت.

(١٣) مصيخ: مستمع.

(١٤) المستطار: المنتشر. الهتوف: المصوت.

(١٥) البيت مختل الوزن ينقصه تفعيلة.

(١٦) خضَّبَ وضرَجَ: صبغ، لَطَخَ.

(١٧) غاض: ذهب في الأرض وغاب.

«وكيف خَبَتْ بَسَمَاتُ الْحَيَاةِ
وكيف لَوَتْ جَيْدَهَا الْحَادِثَاتُ
ذَكَرْتُ بِمُضْجِعِهَا الْمُطْمَئِنَّ
مِصَارِعَ آمَالِي الْغَابِرَاتِ
فَقَلَّبْتُ طَرْفِي بِمَهْوَى الزُّهُورِ
وَقُلْتُ: «هُوَ الْكَوْنُ مَهْدُ الْجَمَالِ
وَأَطْرَقْتُ، أَصْغِي لِهَمْسِ الْأَسَى
وَعَاظَتْ ثُمَالَةً نُورِ النَّهَارِ
بَأَجْفَانِهَا، وَعَرَاها الْكُسُوفُ؟» (١٨)
وَأَلَوَتْ بِذَاكَ الْقَوَامِ اللَّطِيفُ؟» (١٩)
وَمَرَقَدِهَا فِي السَّفِيرِ الْجَفِيفُ (٢٠)
وُخِيَّتَهَا فِي الصَّرَاعِ الْعَنِيفِ
وَصَعَّدَتْهُ فِي الْفَضَاءِ الْأَسِيفُ (٢١)
وَلَكِنْ لِكُلِّ جَمَالٍ خَرِيفٌ!
وَقَدْ غَشِيَ النَّفْسَ هَمٌّ كَثِيفٌ
وَأَرْخَى ظِلَامُ الْوُجُودِ السَّجُوفُ (٢٢)

(١٨) خبا: خمد، سكن، هداً. عراها: أصابها.

(١٩) الجيد: أعلى الصدر. الحاديات: المصائب.

(٢٠) مضجع: المكان الذي يُستلقي فيه على الأرض. السفير: ما سقط من ورق الشجر.

(٢١) الأسيف: الحزين.

(٢٢) الثمالة: بقية الشيء في أسفل الإناء. السجوف: الأستار.

قافية القاف

الغزال الفاتن

— 50 — [من مجزوء الخفيف]

بَذَرَ الحُبُّ بَذْرَهُ	فِي فُؤَادِي فَأَوْرَقَا
بِلِحَاطٍ نَوَافِثٍ	فَجَنَى حَظِّي الشَّقَا ^(١)
وَسَعَى فِيهِ مُهْرُهُ	عَادِيًا، ثُمَّ أَعْنَقَا ^(٢)

★ ★ ★

رُبَّ ظَبْيٍ عَلِقَتْهُ	بِالْبَهَا قَدْ تَقَرَّطَقَا ^(٣)
ثُمَّ مِنْ وَصْلِهِ الْجَمِ	لِ غَدَا الْقَلْبُ مُمْلَقَا ^(٤)
سَحَرَ اللَّبَّ طَرْفُهُ	مَا دَهَا الرِّيقَ لَوْ رَقَى ^(٥)
أَوْصَبَ الصَّبَّ صَدُّهُ	وَالشَّقَا لَوْ تَرَفَّقَا ^(٦)

(١) نوافث: من نفث، أي: نفخ بريقه ورمى به.

(٢) عادياً: راکضاً. أعنق: أسرع في سيره.

(٣) علقت: تعلقت بحبه. البها: البهاء. تقررط: لبس القباء. (اللسان: قرطق (٣٢٣/١٠)).

(٤) مملق: من الملق، وهو التودد باللسان أو بغيره.

(٥) طرفه: نظره. دها: أصاب بداهية أي بمصيبة. رقى: من الرقية وهي ما يستعان به من أساليب

لشفاء مريض أو عاشق أو غيره.

(٦) أوصب: أمرض. الصب: العاشق. الصد: الهجران. الشفا: الشفاء. ترفق: لان.

صَارَ مُلْقَىٰ بِحَبِّهِ
صَارَ ذَا جَنَّةٍ بِهِ
يَرْقُبُ الْبَذْرَ جَفْنُهُ
هَامَ فِي الْعَيْنِ غَرْبُهُ
وَهَمَى صَوْبُ هَمِّهِ
فَاسْتَقَى مِنْهُ مَا اسْتَقَى^(٩)
وَهَمَى نَمَّ أَغْدَقَا^(٨)
لِيَنَاجِيَهُ مَا لَقَى^(٧)
ذَا عَذَابٍ، مُؤَرَّقَا
مُوثَقَا لَيْسَ مُطْلَقَا

★ ★ ★

كَمْ قُلُوبٌ تَفْطَرَتْ
وَدُمُوعٌ تَسْلَسَلَتْ
دُونَ أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ
وَشَقِيقٌ بِخَدِّهِ
ثَغْرُهُ مِنْ عُقُودِهِ
خَصْرُهُ مِنْ نَحَافَتِي
مَرَشَفَاهُ بِخَدِّهِ
مِنْ لَظَى جَمْرِ خَدِّهِ
وَدَمٍ صَارَ مُهْرَقَا^(١٠)
مِثْلَ غَيْمٍ تَدَقَّقَا^(١١)
سُ رُضَابًا مُرَوَّقَا^(١٢)
مُهَجَ الْخَلْقِ شَقَّقَا^(١٣)
وَدُمُوعِي تَنْسَقَا^(١٤)
وَنُحُولِي تَمْنُطَقَا^(١٥)
وَدِمَائِي تَخْلُقَا^(١٦)
كَيْدِي قَدْ تَحَرَّقَا^(١٧)

(٧) لقي: أي، ما لاقى في حبِّه.

(٨) الغرب: الدمع. همى: سال. أغدق: غزر وفاض.

(٩) الصَّوب: المطر، وهنا: الدمع. همَّ: لعلَّ الصَّواب: «دمعه».

(١٠) تَفْطَرَتْ: تصدَّعت.

(١١) تسلسلت: سالت.

(١٢) الرُّضَاب: ريق الحبيب. المروَّق: المصفى.

(١٣) الشَّقِيق: النظير. شَقَّق: صدَّع. مهجة: روح.

(١٤) العقْد: من كان في لسانه عقدة.

(١٥) النُّحُول: الضَّعْف. تمنطق: شدَّ وسطه.

(١٦) المرشف: ما يمتصُّ به الماء. تخلق: تطيب.

(١٧) لظى: حرارة.

قَدُّهُ فَوْقَ رَدْفِهِ غُصْنُ بَانَ عَلَى نَقَا^(١٨)
جِيدُهُ تَحْتَ فَرْعِهِ بَرْقُ غَيْمٍ تَأَلَّقَا^(١٩)
نَسَبِي فِي غَرَامِهِ نَسَبًا صَارَ مُعْرِقَا

الحبّ

- 51 -

[من البسيط]

الحُبُّ شُعْلَةُ نُورٍ سَاحِرٍ، هَبَّطْتُ
وَمَزَّقْتُ عَنْ جَفَوْنَ الدَّهْرِ أَغْشِيَةَ
الحُبِّ رُوحَ إِلَهِيٍّ، مَجْنَحَةً
يَطُوفُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَيَجْعَلُهَا
لَوْلَاهُ مَا سُمِعَتْ فِي الْكَوْنِ أَغْنِيَةً
الحُبُّ جَدُولُ خَمِرٍ، مَنْ تَذَوَّقَهُ
الحُبُّ غَايَةَ آمَالِ الْحَيَاةِ، فَمَا
مِنَ السَّمَاءِ، فَكَانَتْ سَاطِعَ الْفَلَقِ^(١)
وَعَنْ وَجْهِ اللَّيَالِي بُرْقَعُ الْغَسَقِ^(٢)
أَيَّامُهُ بِضِيَاءِ الْفَجْرِ وَالشَّفَقِ
نَجْمًا، جَمِيلًا، ضَحُوكًا، جِدَّ مُؤْتَلِقِ
وَلَا تَأَلَّفَ فِي الدُّنْيَا بَنُو أَفْقِ
خَاصِ الْجَحِيمِ، وَلَمْ يُشْفِقْ مِنَ الْحَرَقِ^(٣)
خَوْفِي إِذَا ضَمَنِي قَبْرٌ؟ وَمَا فَرْقِي؟^(٤)

(١٨) ردفه: مؤخرته. نقا: قطعة من الرمل محدودة.

(١٩) جيده: عنقه. فرعه: ما ارتفع منه. تألق: أشرق.

(١) الفلق: الصبح.

(٢) البرق: القناع. الغسق: ظلمة أول الليل.

(٣) أشفق: خاف. أي من تذوق حلاوة الحب انتصر على نار الجحيم.

(٤) الفرق: الخوف الشديد. يريد أن الحب هو غاية الحياة ومن بلغ ذروة الحب فقد نال مبتغاه من هذا الوجود.

قافية الكاف

ألحاني السَّكرى

[من الخفيف]

— 52 —

قَدْ سَكِرْنَا بِحُبِّنا وَاكْتَفِينَا يَا مُدِيرَ الْكُؤُوسِ فَاصْرِفْ كُؤُوسَكَ^(١)
وَاسْكِبِ الْخَمْرَ لِلْعَصَافِيرِ وَالنَّحْلِ وَخَلِّ الثَّرَى يَضُمُّ عَرُوسَكَ

★ ★ ★

مَا لَنَا وَالْكُؤُوسَ، نَطْلُبُ مِنْهَا نَشْوَةً وَالْغَرَامُ سِحْرٌ وَسُكْرُ!
خَلَّنَا مِنْكَ، فَالَرِّبِيعُ لَنَا سَاقٍ وَهَذَا الْفَضَاءُ كَأْسٌ وَخَمْرُ!

★ ★ ★

نَحْنُ نَحْيَا كَالطَّيْرِ، فِي الْأَفُقِ السَّاجِي وَكَالنَّحْلِ، فَوْقَ غَضِّ الزُّهُورِ^(٢)
لَا تَرَى غَيْرَ فِتْنَةِ الْعَالَمِ الْحَيِّ وَأَحْلَامِ قَلْبِهَا الْمَسْحُورِ...
نَحْنُ نَلْهُو تَحْتَ الظَّلَالِ، كَطِفْلَيْنِ سَعِيدَيْنِ، فِي غُرُورِ الطُّفُولَةِ
وَعَلَى الصَّخْرَةِ الْجَمِيلَةِ فِي الْوَادِي وَبَيْنَ الْمَخَافِيفِ الْمَجْهُولَةِ

★ ★ ★

(١) المدير: السَّاقِي الذي يَقْدَمُ الشَّرَابَ.

(٢) السَّاجِي: السَّاكِنُ.

نحن نغدو بين المروج ونُمسي ونُغني مَعَ النَّسيمِ المغني
ونُناجي رُوحَ الطَّبيعةِ في الكون ونُصفي لِقَلْبِهَا المتغني

★ ★ ★

نحنُ مثلُ الربيعِ: نمشي على أرضٍ مِن الزَّهرِ، والرُّوى، والخيالِ
فوقها يرقصُ الغرامُ، ويلهو ويغني في نشوةٍ ودلالِ

★ ★ ★

نحن نحيا في جَنَّةٍ مِنْ جَنَّاتِ السَّخْرِ في عالمٍ بعيدٍ... بعيدٍ...
نحنُ في عَشْنَا المورَدِ، نتلو سُورَ الحَبِّ للشَّبَابِ السَّعيدِ

★ ★ ★

قد تركنا الوجودَ للنَّاسِ، فَلْيَقْضُوا الحِياةَ كيفَ أرادوا
وذهبنَا بِلَبِّهِ، وهُوَ رُوحٌ وَتَرْكُنَا القُشُورَ، وَهِيَ جَمَادُ^(٣)

★ ★ ★

قَدْ سكرنا بحبِّنا، واكتفينا طَفَحَ الكَأْسِ، فاذهبوا يا سُقَاةُ^(٤)
نحن نحيا فلا نريدُ مزيداً حَسْبُنَا ما مَنَحْتَنَا يا حَيَاةُ
حَسْبُنَا زهرُنَا الَّذي نَتَنَشَّى حَسْبُنَا كَأْسُنَا التي نترشَّفُ^(٥)
إِنْ فِي ثَغْرِنَا رحيقاً سماوياً وفي قلبنا ربيعاً مُفَوِّفَ^(٦)

★ ★ ★

أَيُّهَا الدَّهْرُ، أَيُّهَا الزَّمَنُ الجاري إلى غيرِ وَجْهَةٍ وقرارِ^(٧)

(٣) بِلَبِّهِ: بقلبه.

(٤) طَفَحَ: امتلأ.

(٥) نَتَنَشَّى: نشم. نترشَّفُ: نمصّ بشفتينا.

(٦) الرَّحِيقُ: الخمرة الصّافية. المُفَوِّفُ: الحديث العهد. وأصلها القشرة أوّل ما تكون على الحبة أو البزرة.

(٧) قرار: غاية وهدف.

أَيُّهَا الْكَوْنُ! أَيُّهَا الْقَدَرُ الْأَعْمَى! قِفُوا حَيْثُ أَنْتُمْ! أَوْ فَسِرُوا
وَدَّعُونَا هُنَا: تُغْنِي لَنَا الْأَحْلَامُ وَالْحُبُّ، وَالْوُجُودُ، الْكَبِيرُ

★ ★ ★

وَإِذَا مَا أُبَيِّتُمْ، فَاحْمِلُونَا وَلَهَيْبُ الْغَرَامِ فِي شَفَتَيْنَا
وَزَهْوَرُ الْحَيَاةِ، تَعَبَقُ بِالْعَطْرِ وَبِالسَّحْرِ، وَالصَّبَا فِي يَدَيْنَا^(٨)

الأسواق التَّائِهَة

[من الخفيف]

— 53 —

يَا صَمِيمَ الْحَيَاةِ! إِنِّي وَحِيدٌ مُدْلَجٌ، تَائِهَةٌ، فَأَيْنَ شُرُوقُكَ؟^(١)
يَا صَمِيمَ الْحَيَاةِ! إِنِّي فَوَادٌ ضَائِعٌ، ظَامِيٌّ، فَأَيْنَ رَحِيقُكَ؟
يَا صَمِيمَ الْحَيَاةِ! قَدْ وَجَمَ النَّايُ وَغَامَ الْفُضَا فَأَيْنَ بُرُوقُكَ؟
يَا صَمِيمَ الْحَيَاةِ! أَيْنَ أَغَانِيكَ! فَتَحَتِ النُّجُومُ يُصْنَعِي مَشُوقُكَ

★ ★ ★

كُنْتُ فِي فَجْرِكَ، الْمَوْشَحِ بِالْأَحْلَامِ، عِطْرًا، يَرِفُ فَوْقَ وَرُودِكَ
حَالِمًا، يَنْهَلُ الضِّيَاءَ، وَيُصْنَعِي لَكَ، فِي نَشْوَةِ بُوْحِي نَشِيدَكَ
ثُمَّ جَاءَ الدُّجَى...، فَأَمْسَيْتُ أَوْرَاقًا، بِدَادًا، مِنْ ذَابِلَاتِ الْوُرُودِ^(٢)
وَضَبَابًا مِنَ الشَّذَى، يَتَلَاشَى بَيْنَ هَوْلِ الدُّجَى وَصَمْتِ الْوُجُودِ
كُنْتُ فِي فَجْرِكَ الْمَغْلَفِ بِالسَّحْرِ، فَضَاءً مِنَ النَّشِيدِ الْهَادِي

(٨) تعبق: تفوح برائحتها الزكية. يقف الشاعر وقفة شجاعة أمام الموت الذي يهدده، ويأبى إلا أن يستقبل الموت بكل ما في نفسه من أمل وشباب وفرح.

(١) مدلج: سائر في الليل.

(٢) بداداً: متفرقة. يصور الشاعر فجر حياته وكانت أحلامه كبيرة فإذا بالظلام يأتي سريعاً، قبل مواعده، فيحول أحلامه إلى آهات.

وَسَحَاباً مِنَ الرُّؤَى، يَتَهَادَى فِي ضَمِيرِ الْآزَالِ وَالْآبَادِ
وَضِيَاءٍ، يَعَانِقُ الْعَالَمَ الرَّحْبَ، وَيَسْرِي فِي كُلِّ خَافٍ وَبَادٍ
وَانْقَضَى الْفَجْرُ...، فَاِنْحَدَرْتُ مِنَ الْإفْقِ تَرَاباً إِلَى صَمِيمِ الْوَادِي



يَا عَمِيمَ الْحَيَاةِ! كَمْ أَنَا فِي الدُّنْيَا غَرِيبٌ أَشْقَى بَغْرَبَةِ نَفْسِي
بَيْنَ قَوْمٍ، لَا يَفْهَمُونَ أَنَاشِيدَ فَوَادِي، وَلَا مَعَانِيَ بِؤْسِي
فِي وَجُودٍ مُكَبَّلٍ بِقِيُودٍ، تَأْتِيهِ فِي ظِلَامٍ شَكٍّ وَنَحْسٍ
فَاِحْتَضِنِي، وَضَمْنِي لَكَ - كَالْمَاضِي - فَهَذَا الْوَجُودُ عَلَّةٌ يَأْسِي



لَمْ أَجِدْ فِي الْوَجُودِ إِلَّا شَقَاءً، سَرْمَدِيّاً، وَلَذَّةً، مُضْمَحَلَّةً
وَأْمَانِيَّ، يُغْرِقُ الدَّمَعُ أَحْلَاهَا، وَيُفْنِي يَمَّ الزَّمَانِ صَدَاهَا^(٣)
وَأَنَاشِيدَ، يَأْكُلُ اللَّهَبُ الدَّامِي مَسَرَّاتِهَا، وَيُبْقِي أَسَاهَا
وَوُرُوداً، تَمُوتُ فِي قَبْضَةِ الْأَشْوَاكِ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الْمَمْلُوءَةُ!^١
سَاءَ هَذِهِ الْحَيَاةُ مَعَادَ وَصَبَاحَ، يَكُرُّ فِي إِثْرِ لَيْلٍ
لَيْتَنِي لَمْ أَفِذْ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَمْ تَسْبَحِ الْكَوَاكِبُ حَوْلِي!^(٤)
لَيْتَنِي لَمْ يَعَانِقِ الْفَجْرُ أَحْلَامِي، وَلَمْ يَلْتَمِ الضِّيَاءُ جَفُونِي!
لَيْتَنِي لَمْ أزلْ - كَمَا كُنْتُ - ضَوْءاً، شَائِعاً فِي الْوَجُودِ، غَيْرَ سَجِينٍ!

(٣) اليم: البحر.

(٤) أفد: المضارع من وفد، بمعنى أتى، قدم. يعلن الشاعر في هذه الأبيات عن خيبة أمله في هذا الوجود لأنه ليس سوى أيام وليالٍ تتكرر.

قافية اللّام

قلب الأم

[من الكامل]

- 54 -

يا أيُّها الطِّفلُ الَّذي قَدْ كانَ كاللَّحْنِ الجَميلِ
والورْدَةِ البِيضاءِ، تَعْبُقُ في غِيابَاتِ الأَصِيلِ^(١)
يا أيُّها الطِّفلُ الَّذي قَدْ كانَ في هَذا الوُجُودِ
فَرِحاً، يُناجِي فِتْنَةَ الدُّنيا بِمَعسُولِ النَّشِيدِ
ها أَنْتَ ذا قَدْ أَطَبَقْتَ جَفْنِيكَ أَحْلامُ المُنُونِ
وَتَطَايَرَتْ زُمَرُ المَلائِكِ حَوْلَ مَضْجَعِكَ الأَمِينِ^(٢)
ومَضَتْ بِروحِكَ لِلسَّماءِ عَرائِسُ النُّورِ الحَبِيبِ
يَحْمِلْنَ تيجاناً، مَذْهَبَةً، مِنَ الزَّهَرِ الغَرِيبِ
ها أَنْتَ ذا قَدْ جَلَّلْتَكَ سَكِينَةُ الأَبَدِ الكَبِيرِ
وَبَكَتَكَ هاتيكَ القُلُوبُ، وَضَمَّتْ القَبْرُ الصَّغِيرِ
وتَفَرَّقَ النَّاسُ الَّذينَ إلى المَقابِرِ شِعَعُوكِ
وَنَسُوكِ مِنْ دُنْيائِهِمْ، حَتَّى كَأَنَّ لِمِ يَعْرِفُوكِ
شَغَلَتْهُمْ عَنْكَ الحِياةُ، وَحَرَبُ هَذا الكائِناتِ

(١) الغيابات: قعر كل شيء.

(٢) المضجع: مكان الاستلقاء على الأرض.

إِنَّ الْحَيَاةَ - وقد قُضِيَتْ قُبَيْلَ مَعْرِفَةِ الْحَيَاةِ -
 بَحْرٌ، قَرَارَتُهُ الرَّدَى، وَنَشِيدُ لَجَّتِهِ، شَكَاةٌ
 وَعَلَى شَوَاطِئِهِ الْقُلُوبُ تُثْنُ، دَامِيَةٌ عُرَاةٌ
 بَحْرٌ، تَجِيشُ بِهِ الْعَوَاصِفُ فِي الْعَشِيَّةِ وَالْغَدَاةِ
 وَتُظَلِّلُهُ سُحُوبُ الظَّلَامِ، فَلَا سَكُونٌ وَلَا إِيَاةٌ
 نَسِيَتْكَ أَمْوَاجُ الْبُحَيْرَةِ، وَالنَّجْمُومُ اللَّامِعَةُ
 وَالْبَلْبَلُ الشَّادِي، وَهَاتِيكَ الْمَرْوُجُ الشَّاسِعَةُ
 وَجَدَاوِلُ الْوَادِي النَّضِيرِ بِرُقَصِهَا وَخَرِيرِهَا^(٣)
 وَمَسَالِكُ الْجِبَلِ الصَّغِيرِ بَعْشِبِهَا وَزُهُورِهَا
 حَتَّى الرَّفَاقُ...، فَإِنَّهُمْ لَبَشُوا مَدَى يَتَسَاءَلُونَ
 فِي حَيْرَةٍ مَشْبُوبَةٍ: «أَيْنَ اخْتَفَى هَذَا الْأَمِينُ؟»^(٤)
 لَكُنْهُمْ عَلِمُوا بِأَنَّكَ فِي اللَّيَالِي الدَّاجِيَةِ^(٥)
 حَمَلْتِكَ غِيْلَانُ الظَّلَامِ إِلَى الْجِبَالِ النَّائِيَةِ^(٦)
 فَتَسُوكَ مِثْلَ النَّاسِ...، وَانصَرَفُوا إِلَى اللَّهِوِ الْجَمِيلِ
 بَيْنَ الْخُمَائِلِ وَالْجَدَاوِلِ، وَالرَّوَابِي، وَالسُّهُولِ
 وَنَسُوا وَدَاعَةَ وَجْهِكَ الْهَادِي، وَمَنْظَرَكَ الْوَسِيمِ
 وَنَسُوا تَغْنِيَتَكَ الْجَمِيلَ بِصَوْتِكَ الْحَلِوِ، الرَّخِيمِ^(٧)
 وَمَضَوْا إِلَى الْمَرْجِ الْبَهِيَجِ، يَطَارِدُونَ طَيُورَهُ
 وَيُزْحِزِحُونَ صُخُورَهُ، وَيَعَابِثُونَ زُهُورَهُ
 وَيَشِيدُونَ مِنَ الرَّمَالِ الْبَيْضِ، وَالْحَصَبِ النَّضِيرِ^(٨)

(٣) النضير: ذو الحسن والرواق.

(٤) مشبوبة: تنمو وتزيد.

(٥) الداجية: المظلمة.

(٦) غيلان: جمع غول، حيوان وهمي.

(٧) الرخيم: اللين السهل.

(٨) الحصب: الحجارة.

غُرَفَاءَ، وَأَكْوَاخاً تُكَلِّلُهَا الْحَشَائِشُ وَالزُّهُورُ
 وَيُنْضُدُونَ مِنَ الرَّبِّى، بَيْنَ التَّضَاحُكِ وَالْحُبُورِ^(٩)
 طَاقَاتٍ وَرِدٍ، أَبَدٍ، تُزْرِى بِأَوْرَادِ الْقُصُورِ^(١٠)
 يُلْقُونَهَا فِي النَّهْرِ، قُرْبَاناً لآلِهَةِ السُّرُورِ
 فَتَسِيرُ فِي التِّيَّارِ، رَاقِصَةً عَلَى نَعْمِ الْخَرِيرِ
 كُلُّ نَسُوكٍ، وَلَسَمَ يَعُودُوا يَذْكُرُونَكَ فِي الْحَيَاةِ
 وَالذَّهْرِ يَدْفُنُ فِي ظِلَامِ الْمَوْتِ حَتَّى الذِّكْرِيَّاتِ
 إِلَّا فِؤَاداً، ظِلٌّ يَخْفُقُ فِي الْوُجُودِ إِلَى لِقَاكَ
 وَيُودُّ لَوْ بَذَلَ الْحَيَاةَ إِلَى الْمَنِيِّ، وَافْتَدَاكَ
 فَإِذَا رَأَى طِفْلاً بِكَأِكَ، وَإِنْ رَأَى شَبَحاً دَعَاكَ
 يُصْغِي لَصَوْتِكَ فِي الْوُجُودِ، وَلَا يَرَى إِلَّا بِهَاكَ
 يَصْغِي لِنَعْمَتِكَ الْجَمِيلَةِ فِي خَرِيرِ السَّاقِيَةِ
 فِي رَنَّةِ الْمَزْمَارِ، فِي لَغْوِ الطَّيُورِ الشَّادِيَةِ^(١١)
 فِي ضَجَّةِ الْبَحْرِ الْمَجْلَجِلِ، فِي هَدِيرِ الْعَاصِفَةِ^(١٢)
 فِي لُجَّةِ الْغَابَاتِ، فِي صَوْتِ الرُّعُودِ الْقَاصِفَةِ
 فِي نُغْيَةِ الْحَمَلِ الْوَدِيعِ، وَفِي أَنْشَادِ الرُّعَاةِ^(١٣)
 بَيْنَ الْمَرْجِ الْخُضِرِ وَالسَّفْحِ الْمَجْلَلِ بِالنَّبَاتِ
 فِي آهَةِ الشَّاكِي، وَضُوضَاءِ الْجَمْعِ الصَّاخِبَةِ
 فِي شَهْقَةِ الْبَاكِي يُوجِّجُهَا نُوَاحُ النَّادِبَةِ
 فِي كُلِّ أَصْوَاتِ الْوُجُودِ: طُرُوبَهَا وَكُثْبُهَا

(٩) يَنْضُدُونَ: يَضْمَتُونَ الْأَشْيَاءَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.

(١٠) تَزْرِى: تَعِيبُ، تَهْزَأُ.

(١١) اللَّغْوُ: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ.

(١٢) الْمَجْلَجِلُ: الْقَوِيُّ الصَّوْتِ.

(١٣) نُغْيَةٌ: رُبَّمَا كَانَتْ صَوْتُ الْحَمَلِ.

ورخيمها، وعنيفها، وبغيضها، وحببها
ويراك في صُورِ الطَّبيعة: حُلُوها، وذميمةا
وحزينها وبهيجها، وحقيرها وعظيمها
في رَقَّةِ الفجرِ الوديعِ، وفي الليالي الحالمة
في فتنة الشَّفَقِ البديعِ، وفي النُّجومِ البَّاسمة
في رقصِ أمواجِ البحيرةِ تحْتَ أضواءِ النُّجومِ
في سِحرِ أزهارِ الرَّبيعِ، وفي تهاويلِ الغُيومِ^(١٤)
في لَمعةِ البرقِ الخَفُوقِ، وفي هُويِّ الصَّاعقة
في ذِلَّةِ الوادي، وفي كِبَرِ الجبالِ الشَّاهقة
في مَشْهَدِ الغابِ الكئيبِ، وفي الورودِ العاوية^(١٥)
في ظُلْمةِ اللَّيلِ الحزينِ، وفي الكُهوفِ العَاريةِ
أَعْرِفْتَ هَذَا الْقَلْبَ فِي ظِلْمَاءِ هَاتِيكَ اللَّحُودِ؟
هُوَ قَلْبُ أَمِّكَ، أَمَّكَ السَّكْرَى بِأَحْزَانِ الْوُجُودِ
هُوَ ذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي سَيَعِيشُ كَالشَّادِي الضَّرِيرِ
يَشْدُو بِشَكْوَى حُزْنِهِ الدَّاجِي إِلَى النَّفْسِ الْأَخِيرِ^(١٦)
لَا رَبَّةُ النَّسِيَانِ تَرْحِمُ حُزْنَهُ وَتَرَى شَقَاةَ
كَلَا! وَلَا الْأَيَّامُ تُبْلِي فِي أَنْامِلِهَا أَسَاةَ
إِلَّا إِذَا ضَفَرَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ إِكْلِيلَ الْجُنُونِ^(١٧)
وَعِنْدَا شَقِيئاً ضَاحِكاً، تَلْهُو بِمِرَاةِ السُّنُونِ
هُوَ ذَلِكَ الْقَلْبُ الَّذِي مَهْمَا تَقَلَّبَتْ الْحَيَاةُ

(١٤) تهاويل: أشكال مخيفة.

(١٥) الورود: جمع ورد، وهو الأسد.

(١٦) الدَّاجِي: المظلم.

(١٧) ضَفَر: نسج بعضه على بعض عريضاً.

وتدفعَ الزَّمنُ المدمدمُ في شِعَابِ الكائناتِ^(١٨)
وتغنتِ الدُّنيا، وغردَ بلبلُ الغابِ الجميلِ
سَيَظِلُّ يَعْبُدُ ذِكْرِيَاكِ: لَا يَمَلُّ، وَلَا يَمِيلُ
كالأرض: تمشي فوق تُرْبَتِهَا المسرَّة، والشَّبابِ
والليلِ، والفجرِ المجنَّحِ، والمواصفِ، والسَّحابِ
والحبِّ تَنَبَّتُ في موطنه الشَّقَائِقُ، والورودُ
والموتُ تُحَفِّرُ- أينما يخطو - المقابرُ واللحودُ
وتمر بين فجاجها اللَّذاتُ، حالمةً، تميزُ^(١٩)
سكرى، وأشواقُ الورى ترنو إلى الأفق البعيد...
وتَظَلُّ تَرْقُصُ للأسى، للهوى، أَشْبَاحُ الدُّهورِ
حتى يُوَارِيهَا ضَبَابُ الموتِ في وادي الدُّثورِ^(٢٠)
وتَظَلُّ تُورِقُ، ثمَّ تُزْهِرُ، ثمَّ يَنْشُرُهَا الصَّبَاحُ
للموتِ، للشوْكَ الممزَّقِ، للجَدَاوِلِ، للريَّاحِ
بَسَمَاتُ ثَغْرِ، حالمٍ، يفتُرُ في سهوِ السُّرورِ^(٢١)
وَوُرودُ رَوْضٍ، بِسَائِمٍ، يُصْغِي لِأَلْحَانِ الطُّيُورِ
وتَظَلُّ تخفقُ، ثمَّ تشدُّو، ثمَّ يطويها التُّرابُ
قَبْلَ، وأطيارَ، تُغَرِّدُ للحياةِ، وللشَّبابِ
وتَظَلُّ تمشي في جوارِ الموتِ أفراحُ الحياةِ...
ويغرَّدُ الشُّحُرورُ ما بين الجَمَاجِمِ والرِّفَاتِ
والأرضُ حالمةٌ:، تغني بين أسرابِ النُّجومِ
أنشودةَ الماضي البعيدِ، وسُورةَ الأزلِ القديمِ...

(١٨) دمدّم: غضب.

(١٩) ماد: اضطرب وتحرك.

(٢٠) الدُّثور: الهلاك.

(٢١) افتَر: تبسم وضحك.

أراكِ

- 55 -

[من المتقارب]

أراكِ، فَتَحُلُّوْ لَدَيَّ الحَيَاةُ
وتنمو بصدري وَرُودٌ، عِذابٌ
ويُفْتِنُنِي فِيكَ فيضُ الحَيَاةِ
ويُفْتِنُنِي سِحْرُ تلكَ الشِّفَاهِ
فأعْبُدُ فِيكَ جَمَالَ السَّمَاءِ،
وطُهرَ الثَّلُوجِ، وَسِحْرَ المَرُوجِ
ويملاً نَفْسِي صَبَاحُ الأَمَلِ
وتحنو على قلبي المُشْتَعِلِ
وذاك الشَّبَابُ، الوديعُ، الثَّمَلُ^(١)
ترفرفُ مِنْ حَوْلِهِنَّ القَبْلُ
ورقةٌ وَرَدِ الرَّيِّعِ، الخَضِلُ^(٢)
مُوشِحَةٌ بِشُعَاعِ الطَّفَلِ^(٣)

★ ★ ★

أراكِ، فأَخْلَقُ خَلْقاً جَدِيداً
ولم أحتمل فيه عِثّاً، ثَقِيلاً
وأضغاثَ أَيَّامِي، الغَابِرَاتِ
ويغمرُ رُوحِي ضِيَاءٌ، رَفِيقٌ
وتُسْمِعُنِي هَاتِهَ الكَائِنَاتِ
وترْقُصُ حَوْلِي أَمَانٌ، طِرَابٌ
كَأَنِّي لَمْ أَبْلُ حَرْبَ الوجودِ
من الذِّكْرِيَّاتِ التي لَا تَبِيدُ
وفيها الشَّقِيُّ، وفيها السَّعِيدُ^(٤)
تُكَلِّلُهُ رَائِعَاتُ الوردِ
رقيقَ الأغاني، وَحُلُوَ النَّشِيدِ
وأفراحُ عُمُرِ خَلِيٍّ، سَعِيدُ^(٥)

★ ★ ★

أراكِ، فتخفُّقُ أعصابُ قلبي
ويُجْرِي عليها الهوى، في حُنُوٍ
وتهتزُّ مِثْلَ اهتزازِ الوترِ
أناملٌ، لُدْنَاءُ، كَرَطَبِ الزَّهَرِ^(٦)

(١) الثَّمَلُ: النَّشْوَانُ، السَّكْرَانُ.

(٢) الخَضِلُ: النَّدَى، المَبْتَلُ.

(٣) الطَّفَلُ: بَعِيدُ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ قَبِيلِ غُرُوبِهَا.

(٤) أَضْغَاثُ الأَيَّامِ: مَا كَانَ مِنْهَا مُضْطَرِباً وَمُخْتَلِطاً.

(٥) الخَلِيّ: الْخَالِي مِنَ الهمومِ.

(٦) اللَّدْنُ: اللَّيْنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. أَيَّ أَنَّ حَبَكَ يَلَامِسُ أَعْصَابَ قَلْبِي بِأَنَامِلِهِ النَّاعِمَةِ النَّدِيَةِ كَالزَّهَرِ.

تغرّد، تحّت ظلال القمَر
 كأنّي أصبّخت فوق البشر
 بما فيه من أنفُسٍ، أو شجر
 وغيمٍ، يوشّي رداء السّحر
 فتخطو أناشيد قلبي، سكّرى
 وتملأني نشوة، لا تحدّ
 أودّ بروحي عناق الوجود
 وليل يفرّ، وفجر يكرّ

زوبعة في ظلام

[من السّريع]

- 56 -

لو كانت الأيّام في قبضتي
 وقلت: «يا ريحُ، بها فاذهبى
 بل في فجاج الموت.. في عالم
 أدزّتها للريح، مثل الرمال»^(١)
 وبدّديها في سحيق الجبال»^(٢)
 لا يرقص النور به والظلال..

★ ★ ★

لو كان هذا الكون في قبضتي
 ما هذه الدنيا، وهذا الورى
 النّار أولى بعبيد الأسى،
 يا أيّها الماضي الذي قد قضى
 يا حاضِر النَّاس الذي لم يزل
 سَخافَةً دنيّاكم هذه
 ألقىته في النار، نار الجحيم
 وذلك الأفق، وتلك النّجوم؟
 ومسرح الموت، وعشّ الهموم
 وضمّة الموت، وليل الأبد
 يا أيّها الآتي الذي لم يلد
 تائهة في ظلمة لا تحدّ..»^(٤)

(١) ذرى وأذرى: نثر.

(٢) بدّد: فرّق وشتّت.

(٣) الورى: النَّاس.

(٤) لا تحدّ: لا حدود لها.

غرفة من يم

— 57 —

[من البسيط]

ضَعُفُ الْعَزِيمَةِ لَحْدٌ، فِي سَكِينَتِهِ
وَفِي الْعَزِيمَةِ قُوتٌ، مُسَخَّرَةٌ
وَالنَّاسُ شَخْصَانِ : ذَا يَسْعَى بِهِ قَدَمٌ
هَذَا إِلَى الْمَوْتِ، وَالْأَجْدَاثُ سَاخِرَةٌ،
مَا كُلُّ فِعْلٍ يُجِلُّ النَّاسُ فَاعِلُهُ
فَفِي التَّمَاجِدِ تَمْوِيَّةٌ، وَشَعْوَذَةٌ،
مَا الْمَجْدُ إِلَّا ابْتِسَامَاتٌ يَفِيضُ بِهَا
وَلَيْسَ بِالْمَجْدِ مَا تَشْقَى الْحَيَاةُ بِهِ
فَمَا الْحُرُوبُ سِوَى وَحْشِيَّةٍ، نَهَضَتْ
وَأَيَّقَطَتْ فِي قُلُوبِ النَّاسِ عَاصِفَةً
قَالِدَهُرٌ مُنْتَعِلٌ بِالنَّارِ، مُلْتَحِفٌ
وَالْأَرْضُ دَامِيَّةٌ، بِالْإِنْسِ طَامِيَّةٌ،
وَالْمَوْتُ كَالْمَارِدِ الْجَبَّارِ، مُنْتَصِبٌ
وَفِي الْمَهَامِهِ أَشْلَاءٌ، مُمَزَّقَةٌ

تَقْضِي الْحَيَاةَ، بَنَاهُ الْيَأْسُ وَالْوَجَلُ^(١)
يَخِرُّ دُونَ مَذَاهِمَا الشَّامِخُ الْجَبَلُ
مِنَ الْقُنُوطِ، وَذَا يَسْعَى بِهِ الْأَمَلُ^(٢)
وَذَا إِلَى الْمَجْدِ، وَالذُّنْيَا لَهُ خَوْلُ^(٣)
مَجْدًا، فَإِنَّ الْوَرَى فِي رَأْيِهِمْ خَطَلُ^(٤)
وَفِي الْحَقِيقَةِ مَا لَا يُدْرِكُ الدَّجِلُ^(٥)
فَمُ الزَّمَانِ، إِذَا مَا انْسَدَّتِ الْحَيْلُ
فَيَحْسُدُ الْيَوْمُ أُمْسًا، ضَمَّهُ الْأَزَلُ
فِي أَنْفُسِ النَّاسِ، فَانْقَادَتْ لَهَا الدُّوَلُ
غَامَ الْوُجُودُ لَهَا، وَارْبَدَّتِ السُّبُلُ^(٦)
بِالْهُولِ، وَالْوَيْلِ، وَالْأَيَّامُ تَشْتَعِلُ^(٧)
وَمَارِدُ الشَّرِّ فِي أَرْجَائِهَا ثَمِلُ^(٨)
فِي الْأَرْضِ، يَخْطُفُ مَنْ قَدْ خَانَهُ الْأَجَلُ
تَتَلَوُ عَلَى الْقَفْرِ شِعْرًا، لَيْسَ يُنْتَحَلُ^(٩)

(١) الضمير في « بناه » يعود إلى اللحد . الوجل : الخوف .

(٢) القنوط : اليأس .

(٣) الأجداث : القبور . خَوْلٌ : خَدَمٌ .

(٤) الورى : الناس . خطل : فساد في الرأي .

(٥) التماجد : التفاخر بالأُمجاد . تمويه : تضليل . الدجل : الكذب .

(٦) غام : غطاه الغيم . اربدت : أصبحت ربداء منكورة .

(٧) منتعل : يلبس الثعل . الهول : الخوف والرعب .

(٨) طامية : يغمرها الماء . ثمل : سكران .

(٩) المهامه : البلد القفر أو الصحراء لا ماء فيها .

ذكرى صباح

— 58 —

[من الخفيف]

ساحرٍ، في ظلال غابٍ جميلٍ
على الوردِ، والنباتِ البليلِ
بديعٍ، على مروج السُّهولِ^(١)
والسَّهْلِ، والرُّبَى، والتَّلُولِ^(٢)
والعُطْرِ، والضِّيَاءِ الجميلِ^(٣)
وعُشْبٍ، وسنديانٍ، ظليلِ
ويرنو إلى الضَّبَابِ الكَسُولِ^(٤)
والضَّوءِ، والنَّسِيمِ العليلِ
فَوَاهٍ لِحُلْمِهِ المَعْسُولِ !
في نشوة الخيالِ الجليلِ^(٥)
وحنانٍ، وَلَذَّةٍ، وَذَهْوٍ^(٦)
بأرجاءِ قلبي المبتولِ^(٧)
يحانٍ، والنَّورِ، والنَّسِيمِ البليلِ^(٨)
في فتنة الدَّلَالِ المَلُولِ^(٩)

قدسَ الله ذِكْرَهُ مِنْ صَبَاحٍ
كان فيه النَّسِيمُ، يرقصُ سَكْراناً
وضبابُ الجبالِ، يَنسَابُ في رفقٍ
وأغاني الرُّعَاةِ، تخفقُ في الأغوارِ
ورحابُ الفضاءِ، تعبُقُ بالألحانِ
والملاكُ الجميلُ، ما بين ريحانٍ
يتغنَّى مع العصافيرِ، في الغابِ
وشعورُ الملاكِ ترقصُ بالأزهارِ
حُلْمٌ ساحرٌ، به حَلَمَ الغابِ
مِثْلُ رؤيا تلوحُ للشَّاعرِ الفنَّانِ
قد تَمَلَّيْتُ سِخْرَةَ في أناةٍ
ثمَّ ناديتُ، حينما طَفَحَ السَّحَرُ
يا شعورٌ تَمِيدُ في الغابِ بالرَّ
كَبَلْنِي بهاتِهِ الخِصَلِ المرخاةِ

(١) ينساب: يمشي مسرعاً.

(٢) الأغوار: المنخفضات.

(٣) تعبق: تنتشر رائحتها الزكية.

(٤) يرنو: يديم النظر. يذكر الشاعر هذا الصَّبَاحَ الجميل وكأنه حلم من أحلام الطبيعة.

(٥) رؤيا: حلم. النشوة: أول السكر.

(٦) الأناة: الرقق. الذهول: الغياب عن الرشد.

(٧) طَفَحَ: امتلأ. المبتول: المقطوع، المفصول.

(٨) ماد: تحرك واضطرب.

(٩) كَبَلْنِي: قَيَّدْنِي. المَلُول: الضَّجَر.

ري، وأحلامَ قلبي الضَّئِيلِ
وسحرِ مُقَدَّسٍ، مَجْهُولِ
حرّاً، في مثلِ هذي الكُبولِ

كَبْلِي يا سَلاسلَ الحبِّ أفكاً
كَبْلِي بِكلِّ ما فيكَ من عَطرٍ
كَبْلِي، فإنَّما يُصْبِحُ الفَنانُ

★ ★ ★

دِ، وطَيَّاتِ ليلِكَ المسدولِ
وفؤادِ، مصفِّدٍ، مغلولِ
في شُحوبٍ، وخيبةٍ، وخمولٍ^(١٠)
كَمْ في ظلامِهِ مِنْ قَتِيلِ
بالنَّسيمِ السَّعيدِ كلَّ مَمِيلِ
لكِ تاجاً، من الضياءِ الجميلِ
كِ بأوراقِ وَرْدِهِ المَطْلُولِ^(١١)

ليت شعري! كَمْ بينَ أُمُوجِكِ السَّوِ
من غَرامٍ، مَذْهَبِ النَّجَّاجِ، مَيِّتِ
وزهورٍ من الأمانِ تَذوِي
أنتِ لا تعلمين... واللَّيلُ لا يَعلَمُ
أنتِ أَرْجُو حَتهُ النَّسيمِ فَمِيلِي
ودَّعي الشَّمْسَ والسَّمَاءَ تُسَوِّي
ودَّعي مُزْهَرَ الغُضُونِ يُغْشِي

★ ★ ★

م، والزَّهرِ، فالعبي، وأطيلي
وأوهامَ ذَهْنِهِ المَعْلُولِ
مالِ، يا فتنَةَ الوجودِ الجليلِ
بينَ طَيَّاتِ شَعْرِكَ المَصْقُولِ^(١٢)
غريقاً، في نشوتي، وذُهلِي!
حُنُوءَ المَدَّلَةِ، المتبولِ^(١٣)
إلى صَدْرِي الخَفُوقِ، النَّحِيلِ
من قلوبِ شِعْريَّةٍ، وعقولِ...^(١٤)

لِلشُّعاعِ الجميلِ أنتِ، وللأنسا
ودَّعي للشَّقِيَّ أشواقَه الظَّمْأى
يا عروسَ الجبالِ، يا وردةَ الآ
ليتني كنتُ زَهْرَةً، تتشَنَّى
أو فَراشاً، أَحُومُ، حولِكَ مسحوراً
أو غصوناً، أحنو عليكِ بأوراقِي
أو نسيماً، أضُمُّ صدركِ في رَفَقِ،
آه! كم يُسَعِدُ الجمالُ، ويُشْقِي

(١١) المَطْلُول: الذي كلَّه الطَّلَّ أي النَّدى.

(١٢) تتشَنَّى: تتمايل وتنعطف.

(١٣) المَدَّلَةُ: الذَّاهِبُ العقل من العشق. المتبول: الذي أسقمه الحب.

(١٤) يتمنى الشاعر في نهاية هذه القصيدة لو كان عنصراً من عناصر الطبيعة الخلابة لا يشقى كما يشقى الإنسان الذي له قلب وعقل.

خَلَّهَ لِلْمَوْتِ

- 95 -

[من الرَّمْل]

كُلُّ قَلْبٍ حَمَلَ الْخَسْفَ، وَمَا مَلَّ مِنْ ذُلِّ الْحَيَاةِ الْأَرْذَلِ^(١)
كُلُّ شَعْبٍ قَدْ طَغَتْ فِيهِ الدِّمَا دُونَ أَنْ يَشَارَ لِلْحَقِّ الْجَلِيِّ^(٢)
خَلَّهِ لِلْمَوْتِ يَطْوِيهِ!.. فَمَا حَظُّهُ غَيْرُ الْفَنَاءِ الْأُنْكَلِ^(٣)

(١) الخسف: الذلّ والقهر. الأرذل: الرذيل.

(٢) طغت: ثارت. الجلي: الواضح، المكشوف.

(٣) الأنكل: الذي يلحق به المصائب.

قافية الميم

أكثر يا قلبي فماذا تروم؟

[من السريع]

- 60 -

يا قلبي الدامي! إلام الوجوم؟
يَكْفِيكَ! إِنَّ الْحُزْنَ فُظٌّ، غَشُومٌ^(١)
هذي كؤوسي مُرَّةً، كالردي
ما ملؤها إلا عصيرُ الهموم
وذاك نايلي صامتٌ، واجِمٌ^(٢)
يُصْغِي إلى صوتِ الغرام القديم
يا قلبي الباكي إلام البُكا؟
ما في فضاء الكون شيءٌ يَدُومُ
فانثُرْ غُبارَ الحُزْنِ فوق الدَّجَى
واسمِعْ إلى صوتِ الشَّبابِ الرخيمِ
وانقُرْ على دَفِّ الهوى لحنه
وارقُصْ مَعَ النُّورِ الضَّحُوكِ الوسيمِ

(١) فُظٌّ: غليظ، سيء الجانب.

(٢) واجِم: ساكت، وعاجز عن الكلام.

يا قلبي الدّاجي! إلام الوجوم؟
إن لم أَلَمْ قلبي فَمَنْ ذَا ألوم؟
مالك لا تُصْغِي لغير الأسي؟
ما لك لا ترُنو لغير الكلُوم؟^(٣)
ما لك قد أصبَحْتَ لا تصرفُ الأيَّامَ
إلاّ في شِعَابِ الجَحِيم؟
أما ترى البُلْبُلَ في غابيه؟
يشدو وفوق الغابِ تخطو النُّجوم؟
أما ترى الأسْحارَ تبدو بها الغابات؟
كالأحلام - خَلَفَ السَّديم؟
أما ترى الآمالَ في سِخْرِها؟
أما ترى الليلَ يُناغي النُّجوم؟^(٤)
يا قلبي الدّاجي! إلام الوجوم؟
أكثرَ يا قلبي فماذا تروم؟
هَلْ تَحْسَبُ الأيَّامَ في زَحْفِها
ترثي لِمَنْ قَدْ هَدَمْتَهُ الرُّجُومُ،
كَلَّا! فَإِنَّ الدَّهْرَ يمضي ولا
يلوي على ما خَلَفَهُ مِنْ كَلِيم^(٥)
واليمُّ لا يرثي لِمَنْ طَمَّه
والسَّيْلُ لا يبكي لنُوحِ الهَشِيم

(٣) ترنو: تنظر بسكون.

(٤) يناغي: يلاطف.

(٥) كليم: جريح. يقول: إن الدهر لا يكثرث بما يحلّ بالبشر من الآلام والويلات.

والعاصِفُ الجَبَّارُ فِي سُخْطِهِ^(٦)
 لَا يَرْحَمُ الغُصْنَ، الرَّشِيقَ، الْقَوِيمَ
 هَذَا هِيَ الدُّنْيَا فَمَاذَا الْأَسَى
 يَا قَلْبِي الدَّامِي، وَمَاذَا الْوَجُومُ!

إلى عازف أعمى

[من مخلع البسيط] - 61 -

وَكُنْتُ لَا تَعْرِفُ الظَّلَامَ	أَدْرَكْتَ فَجَرَ الْحَيَاةِ أَعْمَى
وَعَمَامٍ مِنْ فَوْقِكَ الْغَمَامَ	فَأَطَبَقْتَ حَوْلَكَ الدِّيَاجِي
خَوَاطِرًا، كُلُّهَا ضَرَامَ	وَعِشْتَ فِي وَحْشَةٍ، تَقَاسِي
وِظْلَمَةٍ، مَا لَهَا خِتَامَ	وَعُزْبَةٍ، مَا بِهَا رَفِيقَ
قَدْ عَضَّكَ الْفَقْرُ وَالسَّقَامُ ^(١)	تَشَقُّ تِيَّةَ الْوُجُودِ فَرْدًا
وَقَرَّ مِنْ قَلْبِكَ السَّلَامُ	وَطَارَدَتْ نَفْسَكَ الْمَآسِي

★ ★ ★

إِنْ كُنْتُ لَا تُبْصِرُ النُّجُومَ ^(٢)	هُوْنٌ عَلَى قَلْبِكَ الْمَعْنَى
وَفَوْقَهُ تَخْطُرُ الْغُيُومُ ^(٣)	وَلَا تَرَى الْغَابَ، وَهُوَ يَلْغُو

(٦) السَّخَطُ: الغضب. يقول: إِنَّ الْعَاصِفَ حِينَ تَهَبَ لَا تَبَالِي بِمَا تَحْدُثُهُ مِنْ أَضْرَارٍ فِي الْأَغْصَانِ النَّدِيَّةِ.

(١) التَّيَّةُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ يَضِيعُ فِيهَا الْمَرْءُ. يَصِفُ الْعَازِفُ الْأَعْمَى وَكَأَنَّ الطَّبِيعَةَ بِكُلِّ قَوَائِمِهَا قَدْ حَاصِرَتْهُ لَتَقْضِي عَلَيْهِ.

(٢) الْمَعْنَى: الْمَعْدَبُ.

(٣) يَلْغُو: يَخْطِئُ وَيَقُولُ بِاطْلَآءٍ.

ولا ترى الجدولَ المغني
فكلُّنا بئس، جديرٌ
وكلُّنا في الحياة أعمى
وحوله تزعقُ المنايا
وحولُه يَرْقُصُ الغيمُ^(٤)
برأفةِ الخالقِ العظيمِ
يسوقه زعزعَ عقيمِ
كأنَّها جنَّةُ الجحيمِ:

★ ★ ★

يا صاح! إن الحياة قفرٌ
لا يجتني الطَّرفُ منه إلَّا
وأسعدُ النَّاسِ فيه أعمى
ولا يرى أنفُسَ البرايا
فاحمدِ إلهَ الحياة، واقنعْ
وعشْ، كما شاءتِ الليالي
مروّع، ماؤه سَرابٌ^(٥)
عواطفَ الشوكِ والتَّرابِ
لا يُبصرُ الهولَ والمُصَابِ
تذوبُ في وقْدَةِ العذابِ^(٦)
فيها بألحانِكَ العذابِ
من آهةِ النَّاي والرَّبابِ

أغاني التائه

— 62 —

[من الرمل]

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ، وَنُجُومٌ،
وَأَنَاشِيدٌ، وَأَطْيَارٌ تَحُومُ
كَانَ فِي قَلْبِي صَبَاحٌ، وَإِيَاءُ
آه! مَا أَهْوَلَ إِغْصَارَ الْحَيَاءِ!
وَبَحَارٌ، لَا تُغْشِيهَا الْغُيُومُ
وَرَبِيعٌ، مُشْرِقٌ، حُلُوٌّ، جَمِيلٌ
وَابْتِسَامَاتٌ وَلَكِنْ... وَأَسَاةُ!^(١)
آه! مَا أَشْقَى قُلُوبَ النَّاسِ! آه!

(٤) كلمة القافية غير صحيحة لأن الوزن لا يستقيم معها.

(٥) سراب: كذب وخداع.

(٦) الوقدة: أشد الحر. يحاول أن يخفف من صدمة الأعمى لأن المبصر ليس أسعد حفظاً من الأعمى لما يراه في هذا الوجود.

(١) إياه: ربما استعملها الشاعر جمعاً لكلمة «آه». ولم أقم لها على تفسير في المعاجم المتداولة.

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ، وَنَجُومٌ،

فَإِذَا الْكُلُّ ظَلَامٌ وَسَدِيدٌ...^(٢)

كَانَ فِي قَلْبِي فَجْرٌ، وَنَجُومٌ

يَا بَنِي أُمِّي! تُرَى أَيْنَ الصَّبَاحُ؟ قَدْ تَقَضَّى الْعُمُرُ وَالْفَجْرُ بَعِيدٌ

وَطَفَى الْوَادِي بِمَشْبُوبِ النَّوَاحِ وَانْقَضَتْ أَنْشُودَةُ الْفَصْلِ السَّعِيدِ^(٣)

أَيْنَ نَائِي؟ هَلْ تَرَامَتْهُ الرِّيَّاحُ؟ أَيْنَ غَابِي؟ أَيْنَ مُحْرَابُ السُّجُودِ...؟^(٤)

خَبَرُوا قَلْبِي - فَمَا أَقْسَى الْجِرَاحِ! - كَيْفَ طَارَتْ نَشْوَةُ الْعَيْشِ الْحَمِيدِ!

يَا بَنِي أُمِّي! تُرَى أَيْنَ الصَّبَاحُ؟

أَوْرَاءَ الْبَحْرِ؟ أَمْ خَلْفَ الْوُجُودِ؟

يَا بَنِي أُمِّي؟ تُرَى أَيْنَ الصَّبَاحُ!

★ ★ ★

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ سَتُسْلِنِي الْغَدَاةُ وَتَعَزِّيَنِي عَنِ الْأَمْسِ الْفَقِيدِ

وَتُرِينِي أَنَّ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ زُمَرٌ تَمْضِي، وَأَفْوَاجٌ تَعُودُ^(٥)

فَإِذَا قَلْبِي صَبَّاحٌ، وَإِيَاهُ...، وَإِذَا أَحْلَامِي الْأُولَى وَرُودُ...،

وَإِذَا الشَّخْرُورُ حُلُوُ النِّعَمَاتِ...، وَإِذَا الْغَابُ ضِيَاءٌ وَنَشِيدٌ...؟

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ سَتُسْلِنِي الْغَدَاةُ

أَمْ سَتَنْسَانِي، وَتَبْقِيَنِي وَحِيدٌ؟

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ تُعَزِّيَنِي الْغَدَاةُ؟

(٢) السَّديم: الضباب الرقيق. يقول: إِنَّ البسمة على شفاهه تحولت إلى غصّة في قلبه لن تتحول.

(٣) المشبوب: المرتفع، النامي.

(٤) المحراب: المكان المرتفع.

(٥) يحلم بعودة الفرح إلى حياته بعد أن تحولت إلى ألم وشقاء.

في الظلام

- 63 -

[من الرمل]

رَفَرَقْتُ فِي دُجْيَةِ اللَّيْلِ الْحَزِينِ زُمْرَةٌ الْأَحْلَامُ^(١)
فَوْقَ سِرْبٍ مِنْ غَمَامَاتِ الشُّجُونِ مِلْؤُهَا الْأَلَامُ^(٢)

★ ★ ★

شَخَصْتُ، لَمَّا رَأَتْ، عَيْنُ النَّجُومِ بَغْثَةٌ الْعُشَّاقُ
وَرَمَتْهَا مِنْ سَمَاهَا بِرُجُومِ تَسْكُبُ الْأَحْرَاقُ^(٣)

★ ★ ★

كُنْتُ إِذْ ذَاكَ عَلَى ثَوْبِ السُّكُونِ أَنْثَرُ الْأَخْزَانُ
وَالْهَوَى يَسْكُبُ أَصْدَاءَ الْمُنُونِ فِي فُؤَادٍ فَانٌ^(٤)
سَاكِتًا مِثْلَ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ رَاكِدٌ الْأَلْحَانُ^(٥)
هَائِمٌ قَلْبِي بِأَعْمَاقِ الْحَيَاةِ تَائِهٌ، خَيْرَانِ

★ ★ ★

إِنَّ لِلْحَسْبِ عَلَى النَّاسِ يَمْدًا تَقْصِيفُ الْأَعْمَارُ^(٦)
وَلَهُ فَجْرٌ عَلَى طُولِ الْمَدَى سَاطِعُ الْأَنْوَارِ

★ ★ ★

-
- (١) زمرة: جماعة. الدجى: من الدجى، وهو الظلام.
(٢) الشجون: الأحزان. وقد استعار الغيوم للأحزان.
(٣) الرجوم: الرمي بالحجارة.
(٤) المنون: الموت. فان: اسم فاعل من الفناء.
(٥) راكد: ثابت في مكانه. والملاحظ كثرة استعمال الاستعارات والرموز.
(٦) يقول: إن للحب سلطة كبيرة على البشر.

ثَوْرَةُ الشَّرِّ، وَأَحْلَامُ السَّلَامِ، وَجَمَالُ النُّورِ
وَابْتِسَامُ الْفَجْرِ فِي حُزْنِ الظَّلَامِ، فِي الْعَيُونِ الْحُورِ^(٧)

صوت تائه

[من الكامل]

- 64 -

قَضَيْتُ أَدْوَارَ الْحَيَاةِ، مُفَكِّراً
فَوَجَدْتُ أَعْرَاسَ الْوُجُودِ مَاتِمًا
تَدْوِي مَخَارِمُهُ بِضَجَّةٍ صَرَصَرٍ،
وَحَضَرَتْ مَائِدَةُ الْحَيَاةِ فَلَمْ أَجِدْ
وَنَفَضْتُ أَعْمَاقَ الْفَضَاءِ، فَلَمْ أَجِدْ
تَبَخَّرُ الْأَعْمَارُ فِي جَنَبَاتِهِ
وَلَمَسْتُ أَوْتَارَ الدُّهُورِ، فَلَمْ تَفُضْ
يَتَلَوْا أَقْصِصَ النَّعَاسَةِ وَالْأَسَى
شُرِدْتُ عَنْ وَطَنِي السَّمَائِيِّ الَّذِي
شُرِدْتُ عَنْ وَطَنِي الْجَمِيلِ.. أَنَا الشَّقِيقُ
فِي غُرْبَةٍ، رُوحِيَّةٌ، مَلْعُونَةٌ
يَا غُرْبَةً، الرُّوحُ الْمُفَكِّرُ إِنَّهُ
شُرِدْتُ لِلدُّنْيَا.. وَكُلُّ تَائِهٍ

فِي الْكَائِنَاتِ، مُعَذِّبًا، مَهْمُومًا
وَوَجَدْتُ فِرْدَوْسَ الزَّمَانِ جَحِيمًا
مَشْبُوبَةً، تَذُرُّ الْجِبَالَ هَشِيمًا^(١)
إِلَّا شَرَابًا، آجِنًا، مَسْمُومًا^(٢)
إِلَّا سُكُونًا، مُتَعَبًا مَخْمُومًا
وَتَمُوتُ أَشْوَاقُ النَّفُوسِ وَجُومًا
إِلَّا أَنْيْنًا، دَامِيًا، مَكْلُومًا
وَيُصِيرُ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ هُمُومًا
مَا كَانَ يَوْمًا وَاجِمًا، مَغْمُومًا
يُ، فَعِشْتُ مَشْطُورَ الْفَوَادِ، يَتِيمًا...
أَشْوَاقُهَا تَقْضِي، عِطَاشًا، هِيمًا...^(٣)
فِي النَّاسِ يَحْيَا، سَائِمًا، مَسْمُومًا^(٤)
فِيهَا يُرَوِّعُ رَاحِلًا وَمَقِيمًا

(٧) الْحَوْرُ: شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها. يجعل من الحب أساساً لكل ثورة وتحرك.

(١) المخارم: الطرق في الجبال. الصرصر: الريح الباردة. مشبوبة: نامية ومزيدة.

(٢) الشراب الآجن: الذي تغير طعمه ولونه وقسّد. يقول: إنه جاء إلى هذه الحياة فشارك في مرّها دون حلوها.

(٣) الهم: جمع هيمان، وهو العطشان كثيراً.

(٤) سائماً: ذليلاً.

يدعو الحياة، فلا يُجيبُ سوى الردى
وتَظَلُّ سَائِرَةً، كأنَّ فقيدها
ليدُسَّه تَحْتَ التُّرابِ رَمِيمَا
مَا كَانَ يَوْمًا صَاحِبًا وَحَمِيمَا!

★ ★ ★

يا أَيُّهَا السَّارِي! لقد طال السَّرى
أَتَخَالُ في الوادي البعيدِ المرْتَجَى؟
حَتَّام تَرْقُبُ في الظَّلَامِ نُجُومًا...؟
هِيَهَاتَ! لَنْ تَلْقَى هناك مَرُومًا^(٥)
خَلَفَتْ - مَمشُوقَ الغُصُونِ حَظِيمَا
سرٌّ ما اسْتَطَعْتَ، فَسَوْفَ تَلْفِي - مثلما

الى الشعب

[من الخفيف]

- 65 -

أَيْنَ يا شعبُ قَلْبُكَ الخَافِقُ الحَسَّاسُ؟
أَيْنَ يا شعبُ، رُوحُكَ الشَّاعِرُ الفَنَّانُ؟
أَيْنَ يا شعبُ، فَتْكَ السَّاحِرُ الخَلَّاقُ؟
إِنَّ يَمَّ الحَيَاةِ يَدُوي حَوَالِيكَ
أَيْنَ عَزَمُ الحَيَاةِ؟ لا شيءَ إِلَّا
عُمُرٌ مَيِّتٌ، وَقَلْبٌ خَوَّاءٌ
وحياةٌ، تَنَامُ في ظُلْمَةِ الوادي
أَيُّ عَيْشٍ هَذَا، وَأَيُّ حَيَاةٍ!؟
أَيْنَ الطَّمسُوحُ، والأَحْلَامُ؟
أَيْنَ، الخِيَالُ والالْهَامُ؟
أَيْنَ الرُّسُومُ والأنْغَامُ؟
فأَيْنَ المَغَامِرُ، المِقْدَامُ^(١)
الموتُ، والصَّمْتُ، والأَسَى، والظَّلَامُ
ودَمٌ، لا تُثِيرُهُ الآلَامُ^(٢)
وتنمو من فوقها الأوهامُ
(رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ منه الحِمَامُ)^(٣)

(٥) المروم: الغاية والبرام. إنَّ السَّارِي في هذه الحياة لن يصل إلى الطمأنينة المرجوة وإن سعى جاهداً لبلوغها.

(١) اليم: البحر. المقدام: الجريء الشجاع.

(٢) خواء: فارغ. تثيره: تحركه. يبدو أنَّ هذه القصيدة تضاهي قصيدته المشهورة «إذا الشعب يوماً أراد الحياة...» وعندي أنها أهم منها لأنها تتصف بوحدة موضوعية ليست متوفرة في سائر قصائده الوطنية.

(٣) الحِمَام: الموت.

فَلَمْ تَبْتَهِجْ، وَلَمْ تَتَرَنَّمْ
حَتَّى أَوْشَكْتَ أَنْ تَتَحَطَّمْ
فَلَمْ تَتَضَطَّرِبْ، وَلَمْ تَتَأَلَمْ^(٤)
أَمَا تَشْكِي؟ أَمَا تَتَكَلَّمْ؟
وَأَنْقَاضَ عُمْرِكَ الْمَتَهْدَمِ
فِيْمَشِي، بَلْ كَاثِنٌ، لَيْسَ يُفْهَمُ
جَامِدٍ، لَا يَرَى الْعَوَالِمَ، مُظْلِمٌ^(٥)
شَقِيٌّ؟ أَوْ مَارِدٌ، يَتَهَكَّمُ؟^(٦)

قَدْ مَشَتْ حَوْلَكَ الْفُصُولُ وَغَنَّتْكَ
وَدَوَتْ فَوْقَكَ الْعَوَاصِفُ وَالْأَنْوَاءُ
وَأَطَافَتْ بِكَ الْوُحُوشُ وَنَاشَتْكَ
يَا إِلَهِي أَمَا تَحْسُ؟ أَمَا تَشْدُو؟
مَلَّ نَهْرُ الزَّمَانِ أَيَّامَكَ الْمَوْتَى
أَنْتَ لَا مَيِّتَ فَيَلِي، وَلَا حَيٍّ
أَبْدًا يَرْمُقُ الْفِرَاقَ بِطَرْفٍ
أَيُّ سِحْرِ دِهَاكَ، هَلْ أَنْتَ مَسْحُورٌ

★ ★ ★

فِيلَسُوفٌ، مُحَطَّمٌ فِي إِهَابَةٍ^(٧)
وَعَزْمٌ الْحَيَاةِ فِي أَعْصَابَةٍ^(٨)
« فِي قُبُورِ الزَّمَانِ » خَلْفَ هَضَابَةٍ^(٩)
« فِي قَبْرِ أُمِّهِ » غَيْرَ آيَةٍ...^(١٠)
فِيهِ أَيَّامُ عُمُرِهِ الْمُتَشَابِهَةِ
وَمَا كَانَ مِنْ قَدِيمِ رِغَابَةٍ
بِكَ فِي صَمْتِ قَلْبِهِ، وَخِرَابِهِ
فَدُنْيَا الْعَجُوزِ ذِكْرِي شَبَابَةٍ...^(١١)

أَه! بَلْ أَنْتَ فِي الشُّعُوبِ عَجُوزٌ،
مَاتَ شَوْقُ الشَّبَابِ فِي قَلْبِهِ الذَّائِي،
فَمَضَى يَنْشُدُ السَّلَامَ...، بَعِيداً..
وَهَنَّاكَ، اصْطَفَى الْبَقَاءَ مَعَ الْأَمْوَاتِ،
وَارْتَضَى الْقَبْرَ مَسْكناً، تَتَلَاشَى
وَتَنَاسَى الْحَيَاةَ، وَالزَّمْنَ الذَّائِي
فَالزَّمَ الْقَبْرَ، فَهُوَ بَيْتٌ، شَيْئَةً
وَاعْبُدِ « الْأَمْسَ » وَادْكُرْ صُورَ الْمَاضِي

(٤) ناش: أنال، أصاب.

(٥) رَمَقَ: نَظَرَ نَظْرًا خَفِيفًا. الطَّرْفُ: النَظَرُ.

(٦) يَتَهَكَّمُ: يَسْخَرُ وَيَهْزَأُ.

(٧) الإِهَابُ: الْجِلْدُ الَّذِي يَحِيطُ بِالْجَسَدِ.

(٨) الذَّائِي: الذَّائِلُ.

(٩) نَشَدَ: طَلَبَ.

(١٠) آبَهُ: مَكَثَتْ، مَبَالٍ.

(١١) إِذْكُرْهُ: تَذَكَّرْهُ.

جَمِيلًا، كَالزَّهْرِ غَضًّا صِبَاها
فِيخِي قَلْبَ الْجَمَادِ غِنَاها (١٢)
الوردِ، والعُشْبِ، مُنْشِدًا، تِيَاها (١٣)
جَمَالَ الْوَجُودِ فِي مَرَاها
إِنَّ الْحَيَاةَ يُغْوِي بِهَاها
يُغْرِي بِجُهَاها وَمَوَاها
بَعِيدًا عَنِ سِحْرِهَا وَصَدَاها (١٤)
وَحَلَّ الْحَيَاةَ تَخْطُو خَطَاها

★ ★ ★

تُغْنِي بَيْنَ الْمَرْجِ الْجَمِيلَةِ
بِصَوْتِ الْمَحَبَّةِ الْمَعْسُولَةِ
يَنَاجِي زَهْرَةَ الْمَطْلُولَةِ (١٥)
وَاللَّسْعِي، وَالْمَعَانِي الْجَلِيلَةِ (١٦)
وَفَوْقَ الْمَسَالِكِ الْمَجْهُولَةِ
وَالْمَجْدِ، وَالْحَيَاةِ النَّبِيلَةِ
فِتْنَةُ النُّورِ..! فَهِيَ رُؤْيَا مَهُولَةٌ...
وَلَا يَرْحَمُ الْجَفُونَ الْكَلِيلَةَ (١٧)
وَيُذَكِّي حَيَاتِهِ، وَيُفِيدُهُ (١٨)

وَإِذَا مَرَّتِ الْحَيَاةُ حَوْلَيْكَ
تَغْنِي الْحَيَاةُ بِالشَّوْقِ وَالْعَزْمِ
وَالرَّبِيعُ الْجَمِيلُ يَرْقُصُ فَوْقَ
وَمَشَى النَّاسُ خَلْفَهَا، يَتَمَلَّوْنَ
فَاحْذَرِ السَّحْرَ! أَيُّهَا النَّاسُ الْقَدِيسُ
وَالرَّبِيعُ الْفَنَّانُ شَاعِرُهَا الْمَفْتُونُ
وَتَمَلَّ الْجَمَالَ فِي رِمَمِ الْمَوْتَى..!
وَتَغْزَلْ بِسِحْرِ أَيَّامِكَ الْأُولَى

وَإِذَا هَبَّتِ الطُّيُورُ مَعَ الْفَجْرِ،
وَتَحْيَى الْحَيَاةَ، وَالْعَالَمَ الْحَيَّ،
وَالْفَرَّاشُ الْجَمِيلُ رَفَرَفَ فِي الرُّوضِ،
وَأَفَاقَ الْوَجُودِ لِلْعَمَلِ الْمَجْدِي
وَمَشَى النَّاسُ فِي الشَّعَابِ، وَفِي الْغَابِ،
يَنْشُدُونَ الْجَمَالَ، وَالنُّورَ، وَالْأَفْرَاحَ
فَاغْضُضِ الطَّرْفَ فِي الظَّلَامِ! وَحَازِرِ
وَصَبَّاحِ الْحَيَاةِ لَا يُوقِظُ الْمَوْتَى
كُلُّ شَيْءٍ يُعَاطِفُ الْعَالَمَ الْحَيَّ،

(١٢) غناها: غناؤها.

(١٣) تياه: من فعل تاه، أي مشى مختلاً متبختراً.

(١٤) تَمَلَّ: فعل أمر من تملّى بمعنى ملأ. الرَّم: العظام البالية.

(١٥) المطلولة: التي علاها الطلّ أي الندى.

(١٦) المجدي: المفيد، النافع.

(١٧) الكليلة: المتعبة، المرهقة.

(١٨) يذكي: يشعل، يوقد.

عَبْدٌ عَلَى الْوُجُودِ، وَجُودُهُ
بِعِزِّهِ، حَتَّى التَّرَابُ، وَدُودُهُ
يُؤْنِسُ الْكَوْنَ شَوْقَهُ، وَنَشِيدُهُ
وَمَا فِيكَ مِنْ جَنَى يَسْتَفِيدُهُ
أَنْتَ دَاءٌ يُبِيدُهَا وَتُبِيدُهُ
مُظْلِمٌ، قَاحِلٌ، مَرِيْعٌ جَمُودُهُ (١٩)
يَغْنِي وَلَا سَحَابٌ يَجُودُهُ (٢٠)

والذي لا يجاوبُ الكونَ بالاحساسِ
كُلُّ شَيْءٍ يُسَايِرُ الزَّمْنَ المَاشِي
كُلُّ شَيْءٍ - إِلَّاكَ - حَيٌّ، عَطُوفٌ
فَلِمَاذَا تَعِيشُ فِي الْكَوْنِ يَا صَاحِ!
لَسْتَ يَا شَيْخُ لِلْحَيَاةِ بِأَهْلٍ
أَنْتَ قَفَرٌ، جَهَنَّمِيٍّ لَعِينٌ،
لَا تَرَفُّ الْحَيَاةُ فِيهِ، فَلَا طَيْرَ



تَعْبُدُ الْمَوْتَ...! أَنْتَ رُوحٌ شَقِيٌّ
إِلَى الْكَوْنِ قَلْبُهُ الْحَجَرِيُّ
وَهَذَا دَاءُ الْحَيَاةِ الدَّوِّيُّ (٢١)
وَلَيْلُ الْكَآبَةِ الْأَبَدِيِّ
أَمْسُهَا الْغَابِرُ، الْقَدِيمُ، الْقَصِي (٢٢)
يَوْمُهُ مَيِّتٌ، وَمَاضِيهِ حَيٌّ
إِلَى الْمَوْتِ فَهُوَ عَنْكَ غَنِيٌّ

أَنْتَ يَا كَاهِنَ الظَّلَامِ حَيَاةً
كَافِرٌ بِالْحَيَاةِ وَالنُّورِ...، لَا يُصْغِي
أَنْتَ قَلْبٌ، لَا شَوْقَ فِيهِ وَلَا عِزْمَ
أَنْتَ دُنْيَا، يُظْلِمُهَا أَفَقُ الْمَاضِي
مَاتَ فِيهَا الزَّمَانُ، وَالْكَوْنُ إِلَّا
وَالشَّقِيُّ الشَّقِيٌّ فِي الْأَرْضِ قَلْبٌ
أَنْتَ لَا شَيْءَ فِي الْوُجُودِ، فَعَادِرُهُ

(١٩) قاحل: لا يُنبت شيئاً.

(٢٠) يجوده: يمطر عليه، والمطر هو الجود أي الكرم.

(٢١) الدَّوِّي: العالي الصوت.

(٢٢) القصي: البعيد.

الأبد الصغير

- 66 -

[من البسيط]

يا قلب! كم فيك من دُنْيَا محبَّبةٍ
يا قلب! كم فيك من كونٍ، قد اتَّقَدَّتْ
يا قلب! كم فيك من أفقٍ تُنَمِّقُهُ
يا قلب! كم فيك من غابٍ ومن جَبَلٍ
يا قلب! كم فيك من كهفٍ قد انبجست
تمشي... فتحملُ غُصْنًا مُزْهِرًا نُضِيرًا
أو نَحْلَةً جرَّها التَّيَّارُ مُنْدَفِعًا
أو طائرًا ساحرًا مَيْتًا قد انفجرت
يا قلب! إنَّك كونٌ، مُدْهِشٌ عَجَبٌ
كَأَنَّكَ الأبدُ المجهولُ...، قد عَجَزَتْ

كَأَنَّهَا، حين يبدو فجرُها «إِرمٌ»^(١)
فيه الشَّمْسُ وعاشتْ فوقه الأُمَمُ
كَوَاكِبٌ تَتَجَلَّى، ثُمَّ تَنَعِّدُ
تَدْوِي به الرِّيحُ أو تسمو به القممُ
منه الجداولُ تجري ما لها لُجَمُ^(٢)
أو وَرْدَةٌ لم تُشَوِّهْ حُسْنُهَا قَدَمُ
إلى البحارِ، تُغْنِي فوقها الدَّيْمُ^(٣)
في مُقْلَتَيْهِ جراحُ جَمَّةٍ وَدَمُ
إن يُسألَ الناسُ عن آفاقه يَجْمُؤا
عَنكَ النَّهْيُ، واكْفَهَرَتْ حَوْلَكَ الظُّلُمُ

★ ★ ★

يا قلب! كم من مَسَرَّاتٍ وأخيلةٍ
غَنَّتْ لفجركَ صوتًا حالماً، فَرِحًا
وكم رأى لَيْلُكَ الأَشْبَاحَ هائمةً
وَرَفَرَفَ الأَلَمِ الدَّامِي، بأجنحةٍ

ولذَّةٍ، يَتَحَامَى ظِلُّهَا الأَلَمُ
نَشْوَانٌ ثم توارتْ، وانقضى النِّغَمُ
مَذْعُورَةٌ تَتَهَاوَى حَوْلَهَا الرُّجْمُ
مِنَ اللَّهِيْبِ، وأنَّ الحُزْنَ والنَّدَمُ^(٤)

- (١) ارم: مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجو خيالي مسحور، فزعمت أنها بنيت على ضفة الجنة: أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان، وسمائها من سحر مرصع بالأحلام.. وأنها لا زالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب، ولكنها محجوبة لا يراها أحد..
- (٢) انبجس: انفجر. لجم: جمع لجام، وهو ما يجعل في فم الفرس من حديد.
- (٣) الدَّيْم: الأمطار بلا رعد وبرق.
- (٤) أن: من الأنين.

وَكَمْ مُشَتْ فَوْقَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا حَتَّى تَوَارَتْ، وَسَارَ الْمَوْتُ وَالْعَدَمُ
وَشَيَّدَتْ حَوْلَكَ الْآيَّامُ أُنْبِيَّةً مِنَ الْأَنَاشِيدِ تُبْنَى، ثُمَّ تَنْهَدُمُ

★ ★ ★

تَمْضِي الْحَيَاةُ بِمَاضِيهَا، وَحَاضِرِهَا وَتَذْهَبُ الشَّمْسُ وَالشُّطَّانُ وَالْقِمَمُ
وَأَنْتَ، أَنْتَ الْخِضَمُّ الرَّحْبُ، لَا فَرَحَ يَبْقَى عَلَى سَطْحِكَ الطَّاغِي، وَلَا أَلَمَ

★ ★ ★

يَا قَلْبُ كَمْ قَدْ تَمَلَّيْتَ الْحَيَاةَ، وَكَمْ رَقَصْتَهَا مَرَحاً، مَا مَسَّكَ السَّأَمُ
وَكَمْ تَوَشَّحْتَ مِنْ لَيْلٍ، وَمِنْ شَفَقٍ وَمِنْ صَبَاحٍ تُوشِي ذَيْلَهُ السُّدُمُ^(٥)
وَكَمْ نَسَجْتَ مِنَ الْأَحْلَامِ أُرْدِيَّةً قَدْ مَزَقَتْهَا اللَّيَالِي، وَهِيَ تَبْتَسِمُ^(٦)
وَكَمْ ضَفَرْتَ أَكَالِيلًا مَوْرَدَةً طَارَتْ بِهَا زَعَزَعٌ تَدْوِي وَتَحْتَدِمُ^(٧)
وَكَمْ رَسَمْتَ رَسوماً، لَا تُشَابِهُهَا هَذَا الْعَوَالِمُ، وَالْأَحْلَامُ، وَالنُّظُمُ
كَأَنَّهَا ظُلُلُ الْفِرْدَوْسِ، حَافِلَةٌ بِالْحُورِ، ثُمَّ تَلَاشَتْ، وَاخْتَفَى الْحُلُمُ

★ ★ ★

تَبْلُو الْحَيَاةَ فَتَبْلِيْهَا وَتَخْلَعُهَا وَتَسْتَجِدُّ حَيَاةً، مَا لَهَا قِدَمُ
وَأَنْتَ أَنْتَ: شَبَابٌ خَالِدٌ، نَضْرُ مِثْلُ الطَّيْبَةِ: لَا شَيْبٌ وَلَا هَرَمُ

(٥) السدوم: جمع سديم، وهو الضباب الرقيق.

(٦) أردية: جمع رداء.

(٧) زعزع: رياح شديدة الهبوب.

زئير العاصفة

- 67 -

[من الطويل]

تُسَائِلُنِي: « ما لي سَكَتٌ، ولم أَهْبُ بقومي، وديجورُ المصائبِ مُظْلِمٌ »^(١)
« وَسَيْلُ الرِّزَايَا جَارِفٌ، متدفِّعٌ غضوبٌ، ووجهُ الدَّهْرِ أَرَبْدُ، أَقْتَمُ؟ »^(٢)

★ ★ ★

سَكَتٌ، وقد كانت قناتي غَضَّةً تُصِيخُ إِلَى هَمْسِ النَّسِيمِ، وتَحْلُمُ^(٣)
وَقَلْتُ، وقد أَصَغْتُ إِلَى الرِّيحِ مَرَّةً فَجَاشَ بِهَا إِعْصَارُهُ الْمُتَهَزِّمُ^(٤)
وَقَلْتُ وقد جاش القريضُ بخاطري كما جاش صَخَابُ الْأَوَاذِيِّ، أَسْحَمُ^(٥)
« أَرَى الْمَجْدَ مَعْصُوبَ الْجَبِينِ مَجْدَلًا عَلَى حَسَكِ الْأَلَامِ، يَغْمُرُهُ الدَّمُّ »^(٦)
« وقد كان وضاح الأساريرِ، باسمًا يَهْبُؤُ إِلَى الْجَلِيِّ، وَلَا يَتَبَرَّمُ »^(٧)

★ ★ ★

« فَيَا أَيُّهَا الظَّلَمُ الْمُصْعَّرُ خَدَّه رَوَيْدَكَ! إِنَّ الدَّهْرَ يَبْنِي وَيَهْدُمُ »^(٨)
« سِيَّارٌ لِلْعَزِّ الْمُحْطَمِ تَاجُهُ رَجَالٌ يَرَوْنَ الدَّلَّ عَارًا وَسَبَّةً
« وَهَلْ تَعْتَلِي إِلَّا نُفُوسٌ أَبِيَّةٌ لَا يَرْهَبُونَ الْمَوْتَ، وَالْمَوْتُ مُقَدَّمُ
تَصْدَعُ أَغْلَالَ الْهَوَانِ، وَتَحْطِمُ »^(٩)

(١) الدَّيْجُورُ: الظَّلَامُ.

(٢) الرِّزَايَا: المصائب. أَرَبْدُ: بلون الغبار. أَقْتَمُ: أَسْوَدَ.

(٣) القَنَاةُ: القَامَةُ.

(٤) جَاشَ: تَحَرَّكَ واضطرب. الْمُتَهَزِّمُ: الكثير الرِّعْدِ.

(٥) الْقَرِيضُ: الشَّعْرُ. صَخَابٌ: مِنَ الصَّخْبِ، أَيِ الضَّجَّةِ. الْأَوَاذِيُّ: الْمَوْجُ. أَسْحَمُ: السَّحَابُ الْأَسْوَدُ.

(٦) مَجْدَلًا: مَرْمِيًّا عَلَى الْأَرْضِ. الْحَسَكُ: النَّبَاتُ الشَّائِكُ.

(٧) الْأَسَارِيرُ: مُحَاسِنُ الْوَجْهِ. يَتَبَرَّمُ: يَتَرَدَّدُ.

(٨) الْمُصْعَرُ: الَّذِي يَمِيلُ خَدَّهُ تَكْبَرًا.

(٩) صَدَعُ: حَطَمَ، بَالِغٌ فِي الْكَسْرِ. أَغْلَالُ: قِيُودُ.

الى الطاغية

— 68 —

[من الطويل]

يَقُولُونَ: « صَوْتُ الْمُسْتَذِلِّينَ خَافَتْ
وَفِي صَنِحَةِ الشَّعْبِ الْمُسَخَّرِ زَعَزَعٌ
وَلَعَلَعَةٌ الْحَقِّ الْغُصُوبِ لَهَا صَدَى
إِذَا التَّفَّ حَوْلَ الْحَقِّ قَوْمٌ فَإِنَّهُ

وَسَمِعُ طَغَاةِ الْأَرْضِ (أَطْرَشُ) أَصْخَمُ^(١)
تَخَرُّ لَهَا شُمُّ الْعُرُوشِ، وَتُهْدَمُ^(٢)
وَدَمْدَمَةُ الْحَرْبِ الضَّرُوسِ لَهَا فَمٌ^(٣)
يُصَرِّمُ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ وَيُبْرِمُ^(٤)

★ ★ ★

لَكَ الْوَيْلُ يَا صَرَّحَ الْمَظَالِمِ مِنْ غَدٍ
إِذَا حَطَّطَ الْمُسْتَعْبِدُونَ قِيودَهُمْ
أَغْرَكَ أَنَّ الشَّعْبَ مُغْضٍ عَلَى قَذَى
أَلَا إِنَّ أَخْلَامَ الْبِلَادِ دَفِينَةٌ
وَلَكِنْ سَيَأْتِي بَعْدَ لَايِ نَشُورُهَا
هُوَ الْحَقُّ يَغْفَى.. ثُمَّ يَنْهَضُ سَاخِطاً
غَدَا الرَّوْعُ، إِنَّ هَبَّ الضَّعِيفِ بِبَاسِهِ،
إِلَى حَيْثُ تَجْنِي كَفَّهُ بَذَرَ أُمِّهِ

إِذَا نَهَضَ الْمُسْتَضْعَفُونَ، وَصَمَّمُوا!
وَصَبُّوا حَمِيمَ السُّخْطِ أَيَّانَ تَعْلَمُ..!
وَأَنَّ الْفَضَاءَ الرَّحْبَ وَسَنَانَ، مُظْلِمٌ^(٥)
تُجْمَجِمُ فِي أَعْمَاقِهَا مَا تُجْمَجِمُ^(٦)
وَيَنْبَثِقُ الْيَوْمُ الَّذِي يَتَرْتَمُ^(٧)
فَيَهْدُمُ مَا شَادَ الظَّلَامُ وَيَحْطِمُ^(٨)
سَتَعْلَمُ مَنْ مِمَّا سَيَجْرُفُهُ الدَّمُ
وَمُزْدَرَعُ الْأَوْجَاعِ لَا بُدَّ يَنْدَمُ^(٩)

(١) أصخم: لم أقع على تفسير لها يتصل بمعنى البيت.

(٢) زعزع: شديد. تخر: تسقط.

(٣) دمدمة: غضب. الضروس: الحرب الشديدة المهلكة.

(٤) يصرم: يقطع، يحسم. يبرم: ينجز.

(٥) مغض: ساكت، صابر. القذى: ما يصيب العين من قش أو غيره. الوسنان: الذي أخذه النعاس.

(٦) جمجم: أخفى الكلام في صدره.

(٧) اللأي: الشدة والضيق.

(٨) الظلام: (بكسر الظاء) الظلم.

(٩) ازدرع: زرع.

سَتَجْرَعُ أَوْصَابَ الْحَيَاةِ، وَتَنْتَشِي
إِذَا مَا سَقَاكَ الدَّهْرُ مِنْ كَأْسِهِ الَّتِي
يُصِيخُ لِأَوْجَاعِ الْحَيَاةِ وَيَفْهَمُ!!

يا حماة الدّين

[من الطويل]

— 69 —

لَقَدْ نَامَ أَهْلُ الْعِلْمِ نَوْمًا مَغْنَطَسًا
وَلَكِنْ صَوْتًا صَارَخًا، مَتَصَاعِدًا
سُوقِظَ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ هُوَ نَائِمٌ
فَلَمْ يَسْمَعُوا مَا رَدَدَتْهُ الْعَوَالِمُ
مِنَ الرُّوحِ يَدْرِي كُنْهَهُ الْمُتَصَامِمُ^(١)
وَيُنْطِقُ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ هُوَ وَاجِمٌ

★ ★ ★

سَكَّتُمْ حِمَاةَ الدِّينِ سَكْتَةً وَاجِمًا
سَكَّتُمْ، وَقَدْ شِمْتُمْ ظِلَامًا، غَضُونُهُ
مَوَازِيحُ الْإِحَادِ وَرَاءَ سَكُونِكُمْ
أَفِيقُوا فَلِيلُ النَّوْمِ وَلَيْ شَبَابُهُ
فَدُونٌ ضَجِيجِ الْفَاسِقِينَ سَكِينَةٌ
عَوَائِدُ تُحْيِي فِي الْبِلَادِ نَوَائِبًا
أَفِيقُوا، وَهَبُوا هَبَّةً ضَيْغَمِيَّةً
وَنَمْتُمْ بِعِلْءِ الْجَفْنِ، وَالسَّيْلُ ذَاهِمٌ
عَلَانِيَةً كَفَرِ نَائِرٍ وَمَعَالِمُ^(٢)
تَضُجُّ، وَهَذَا إِنَّ الْفَضَاءَ مَائِمٌ
وَلَا حَتَّ لِلْأَلَاءِ الصَّبَاحِ عَلَائِمُ
هِيَ الْمَوْتُ، مِمَّا أَوْرَثَتْهُ التَّمَائِمُ^(٣)
تَقْدُّ قُؤَامَ الدِّينِ، وَالِدِّينُ قَائِمُ^(٤)
وَلَا تَحْجُمُوا، فَالْمَوْتُ فِي الْجَبْنِ جَائِمُ^(٥)

(١) كنهه: جوهره. المتصامم: ربما كانت المتصامم (بالميم المشددة)، ففك إدغام الميم، والمتصامم هو الذي يصمت أذنيه عن الحديث وليس به صمم.

(٢) شام: نظر مترقبًا.

(٣) التمايم: ما يعلق في العنق اتقاء للعين.

(٤) عوائد: منافع.

(٥) ضيغمية: منسوبة إلى ضيغم، وهو الأسد.

فدون نِقَابِ الصَّمْتِ تنمو ملامحٌ
فَقَدْ قَتَّ فِي زَنْدِ الدِّيَانَةِ مَعْشَرَ
فوالحق، ما هذِي الزَّوَايا وأهلها
لحى الله مَنْ لَمْ تَسْتِثِرْهُ حَمِيَّةٌ
لحى الله قوماً، لم يُبَالُوا بِأَسْهُمِ

تبرقعتِ الشرَّ الذي لا يُقَاوِمُ
أثاروا على الإسلامِ مَنْ قد يُهَاجِمُ
سوى مصنعٍ فيه تُصَاغُ السَّخَائِمُ^(٦)
على دينه، إن دَاهَمَتْهُ الْعِظَائِمُ^(٧)
يُصَوِّبُهَا نَحْوَ الدِّيَانَةِ ظَالِمٌ

السَّعَادَةُ

— 70 —

[من البسيط]

تَرْجُو السَّعَادَةَ يَا قَلْبِي وَلَوْ وُجِدَتْ
ولا استحالتُ حَيَاةَ النَّاسِ أَجْمَعُهَا
فما السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا سِوَى حُلْمٍ
ناجَتْ بِهِ النَّاسَ أَوْهَامٌ مَعْرِبِدَةٌ
فَهَبْ كُلَّ يُنَادِيهِ وَيَنْشُدُهُ

فِي الْكَوْنِ لَمْ يَشْتَعِلْ حُزْنٌ وَلَا أَلَمٌ
وَزُلْزِلَتْ هَاتِيهِ الْأَكْوَانُ وَالنُّظُمُ
نَاءٌ تُضَحِّي لِهَ أَيَّامَهَا الْأَمَمُ^(١)
لَمَّا تَغَشَّتْهُمُ الْأَخْلَامُ وَالظَّلْمُ^(٢)
كَأَنَّمَا النَّاسُ مَا نَامُوا وَلَا حُلُمُوا^(٣)

★ ★ ★

« خُذِ الْحَيَاةَ كَمَا جَاءَتْكَ مَبْتَسِماً
وَارْقِصْ عَلَى الْوَرْدِ وَالْأَشْوَكَ مَتِيئداً
وَاعْمَلْ كَمَا تَأْمُرُ الدُّنْيَا بِلا مَضْضٍ

فِي كَفِّهَا، الْغَارُ أَوْ فِي كَفِّهَا الْعَدَمُ »
غَنَّتْ لَكَ الطَّيْرُ، أَوْ غَنَّتْ لَكَ الرَّجْمُ^(٤)
وَالْجَمُّ شُعُورَكَ فِيهَا، إِنَّهَا صَنَمٌ^(٥)

(٦) السَّخَائِمُ: الضَّغَائِنُ وَالْأَحْقَادُ.

(٧) لَحَى: لَامَ وَقَتَحَ.

(١) نَاءٌ: يَعِيدُ.

(٢) مَعْرِبِدَةٌ: سَيِّئَةُ الْخَلْقِ.

(٣) حُلُمُوا: مِنَ الْحِلْمِ، وَهُوَ الْعَقْلُ.

(٤) مَتِيئداً: مَتَمَهِّلاً. الرَّجْمُ: مَا يُرْمَى بِهِ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ سِوَاهَا.

(٥) الْمَضْضُ: وَجَعُ الْمَصِيبَةِ.

فَمَنْ تَأَلَّمَ لَمْ تُرَحِّمْ مَضَاضَتُهُ
هذي سعادة دُنيانا، فَكُنْ رجلاً
وإن أردتَ قضاء العيشِ في دَعَةٍ
فاتركَ إلى النَّاسِ دنياهم وضجَّتْهم
واجعلْ حياتك دوحاً مُزهِراً نَضِيراً
واجعلْ لياليك أحلاماً مُعَرِّدةً
وَمَنْ تَجَلَّدَ لَمْ تَهْزَأْ بِهِ الْقَمَمُ
- إن شئتَها - أَبَدَ الْآبَادِ يَبْتَسِمُ!
شعريَّة لا يُغَشِّي صَفْوَهَا نَدَمُ
وما بنوا لِنِظامِ العيشِ أو رَسَمُوا
في عَزْلَةِ الْغَابِ يَنمو ثَمَّ يَنعَدُمُ^(٦)
إنَّ الحِياةَ وما تدوي به حُلُمُ

النَّاسِ

- 71 -

[من البسيط]

ما قدسَ المثلَ الأعلى وجمَّلَهُ
ولو مَشَى فيهمُ حَيًّا لِحَطَمَهُ
لا يعبدُ النَّاسُ إلا كُلَّ مُنْعَدِمٍ
حَتَّى الْعَبَاقِرَةُ الْأَفْذَاذُ، حُبُّهُمْ
في أَعْيُنِ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ حُلُمُ!
قَوْمٌ، وَقَالُوا بِخَبَثٍ: «إِنَّهُ صَنَمُ»!
مُنَّعٍ، وَلَمَنْ حَابَاهُمْ الْعَدَمُ!
يلقى الشَّقَاءَ وَتَلْقَى مَجْدَهَا الرَّمَمُ!^(١)

★ ★ ★

النَّاسُ لَا يُنْصِفُونَ الْحَيَّ بَيْنَهُمْ
الْوَيْلُ لِلنَّاسِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ أَبَدًا
حَتَّى إِذَا مَا تَوَارَى عَنْهُمْ نَدِمُوا!^(٢)
يمشي الزَّمَانُ وَرِيحُ الشَّرِّ تَحْتَدُمُ..^(٣)

(٦) الدوح: نوع من الأشجار. النَّضْر: الرِّوْنَق والحسن.

(١) الأفذاذ: جمع فذٍّ، وهو المتفرد في العلم أو المكانة. الرَّمَم: العظام البالية.

(٢) ينصفون: يحاكمون بالعدل.

(٣) تحتدم: تشتعل غضباً.

أرى هَيْكَلَ الْإِيَامِ يعلُو، مُشِيداً
فِيصْبِحُ مَا قَدْ شَيدَ اللهُ وَالْوَرَى
فَقُلْ لِي: « مَا جَدَوَى الْحَيَاةِ وَكَرْبِهَا،
« وَفُوجٍ، تَغْذِيهِ الْحَيَاةُ لِيَانَهَا،
« وَعَقْلٍ، مِنْ الْأَضْوَاءِ، فِي رَأْسٍ نَابِغٍ
وَأَفْتَدِيَةِ حَسْرَى، تَذُوبُ كَابَةِ
لِنَعْسِ الْوَرَى، شَاءَ الْإِلَهُ وَجُودَهُمْ

ولا بَدَأَ أَنْ يَأْتِي عَلَى أَسِّهِ الْهَدْمُ
خَرَاباً، كَأَنَّ الْكُلَّ فِي أَمْسِهِ وَهُمْ! ^(١)
وَتِلْكَ الَّتِي تَذْوِي، وَتِلْكَ الَّتِي تَنْمُو؟ ^(٢)
وَفُوجٍ، يُرَى تَحْتَ التُّرَابِ لَهُ رَذْمُ؟
وَعَقْلٍ، مِنْ الظُّلَمَاءِ، يَحْمِلُهُ قَدَمُ؟ ^(٣)
وَأَفْتَدِيَةِ سَكْرَى، يَرْفُ لَهَا النَّجْمُ؟
فَكَانَ لَهُمْ جَهْلٌ، وَكَانَ لَهُمْ فَهْمٌ!!

الغاب

بَيْتٌ، بَنَتْهُ لِي الْحَيَاةُ مِنَ الشَّذَى
بَيْتٌ، مِنَ السَّحْرِ الْجَمِيلِ، مُشِيدٌ
فِي الْغَابِ سِحْرٌ، رَائِعٌ مُتَجَدِّدٌ
وَشَذَى كَأَجْنَحَةِ الْمَلَائِكِ، غَامِضٌ
وَجَدَاوِلٌ، تَشْدُو بِمَعْسُولِ الْغِنَا
وَمُخَارَفٌ نَسَجَ الزَّمَانُ بِسَاطِهَا

وَالظُّلُّ، وَالْأَضْوَاءُ، وَالْأَنْغَامِ
لِلْحُبِّ، وَالْأَحْلَامِ، وَالْإِلَهَامِ
بَاقٍ عَلَى الْإِيَامِ وَالْأَعْوَامِ
سَاهٍ يُرْفَرَفُ فِي سُكُونِ سَامٍ ^(١)
وَتَسِيرُ حَالِمَةٌ، بِغَيْرِ نِظَامِ
مِنْ يَابَسِ الْأَوْرَاقِ وَالْأَكْمَامِ ^(٢)

(١) الوري: الناس.

(٢) الكرب: الحزن الشديد.

(٣) القدم: الأحقق الغليظ.

(١) الساهي: الغافل. سام: من السمو بمعنى الارتفاع.

(٢) المخارف: أوعية صغيرة توضع فيها أطياب الثمار.

وَحَنَّا عَلَيْهَا الدَّوْحُ، فِي جَبَرُوتِهِ
 فِي الْغَابِ، فِي تِلْكَ الْمَخَارِفِ، وَالرُّبَى،
 كَمْ مِنْ مَشَاعِرَ، حُلُوءٍ، مَجْهُولَةٍ
 غَنَّتْ كَأَسْرَابِ الطُّيُورِ، وَرَفَرَفَتْ
 وَلَكَمْ أَصْخَتْ إِلَى أَنْشِيدِ الْأَسَى
 وَإِلَى الرِّيَّاحِ النَّائِحَاتِ كَأَنَّهَا
 وَإِلَى الشُّبَابِ، مَغْنِيًّا، مَتَرَّتْهَا
 وَسَمِعَتْ لِلطَّيْرِ، الْمَغْرَدِ فِي الْفَضَا
 وَإِلَى أَنْشِيدِ الرَّعَاةِ، مُرْفَقَةً
 وَإِلَى الصَّدَى، الْمِرْحَاحِ، يَهْتَفُ رَاقِصًا
 حَتَّى غَدَا قَلْبِي كَنَائِي، مَتَرَعٍ
 فَشَدَوْتُ بِاللَّحْنِ الْغَرِيبِ مَجْنَحًا
 فِي الْغَابِ، دُنْيَا لِلْخِيَالِ، وَلِلرُّؤْيَى،
 لِلَّهِ يَوْمَ مَضِيَّتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 وَدَخَلَتْهُ وَحْدِي، وَحَوْلِي مَوْكِبٌ
 وَمَشِيَتْ تَحْتَ ظِلَالِهِ مَتَهِيًّا
 أَرْنُو إِلَى الْأَذْوَاحِ، فِي جَبَرُوتِهَا
 قَدْ مَسَّهَا سِحْرُ الْحَيَاةِ، فَأَوْرَقَتْ

بِالظِّلِّ، وَالْأَغْصَانِ وَالْأَنْسَامِ
 وَعَلَى التَّلَاعِ الْخُضْرِ، وَالْآجَامِ^(٣)
 سَكْرَى، وَمِنْ فِكْرٍ، وَمِنْ أَوْهَامِ
 حَوْلِي، وَذَابَتْ كَالدِّخَانِ، أَمَامِي
 وَتَنَهَّدِ الْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ^(٤)
 فِي الْغَابِ تَبْكِي مَيِّتَ الْإِيَّامِ
 حَوْلِي بِأَلْحَانِ الْغَرَامِ الظَّامِي
 وَالسُّنْدِيَانِ، الشَّامِخِ الْمَتَّامِي
 فِي الْغَابِ، شَادِيَةً كَسِرْبِ يَمَامِ^(٥)
 بَيْنَ الْفِجَاجِ الْفِيحِ وَالْأَكَامِ^(٦)
 تَمَلِّ مِنَ الْأَلْحَانِ وَالْأَنْغَامِ^(٧)
 بِكَآبَةِ الْأَحْلَامِ وَالْآلَامِ
 وَالشَّعْرِ، وَالتَّفَكِيرِ، وَالْأَحْلَامِ
 لِلْغَابِ، أَرْزُحْ تَحْتَ عِبْءِ سَقَامِي^(٨)
 هَزِجْ، مِنَ الْأَحْلَامِ وَالْأَوْهَامِ^(٩)
 كَالطُّفْلِ، فِي صَمْتٍ، وَفِي اسْتِسْلَامِ
 فَبَاخَالُهَا عَمَدَ السَّمَاءِ، أَمَامِي
 وَتَمَايَلَتْ فِي جَنَّةِ الْأَحْلَامِ

(٣) الْآجَامُ: جَمْعُ أَجْمَةٍ، وَهِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيفُ الْمَلْتَفُّ.

(٤) أَصْخَتْ: اسْتَمَعَتْ.

(٥) مُرْفَقَةٌ: مِنْ فَعَلَ أَرْفَأَ، وَأَصْلُهَا أَنْ يَبْسُطَ الطَّائِرُ جَنَاحِيهِ عَلَى بِيضِهِ. وَهَذَا بِمَعْنَى مُرْفَرَفَةٍ. الْيَمَامُ:

الْحَمَامُ الْبَرِّيُّ.

(٦) الْفِيحُ: جَمْعُ فَيْحَاءَ، وَهِيَ الْوَاسِعَةُ. الْأَكَامُ: جَمْعُ أَكْمَةٍ، وَهِيَ التَّلَّةُ.

(٧) مَتَرَعٌ: مَلَأَنَ.

(٨) أَرْزُحْ: أَنْوْهِ تَحْتَ الْأَعْبَاءِ.

(٩) هَزِجٌ: تَرْتَمٍ، غَنَى وَأَطْرَبَ.

وَأَصِيحُ لِلصَّمْتِ الْمَفْكَّرِ، هَاتِفًا
فَإِذَا أَنَا فِي نَشْوَةِ شَعْرِيَّةٍ
وَمِشَاعِرِي فِي يَقْظَةٍ مَسْحُورَةٍ
وَسَنَى كِيْقْظَةِ آدَمَ لَمَّا سَرَى
وَشَجَّتْهُ مُوسِيقَى الْوُجُودِ، وَعَانَقَتْ
وَرَأَى الْفَرَادِيسَ، الْأَنْيَقَةَ، تَنْشِي
وَرَأَى الْمَلَائِكَ، كَالْأَشْعَةَ فِي الْفَضَا
وَأَحْسَ رُوحَ الْكَوْنِ تَخْفُقُ حَوْلَهُ
وَالْكَائِنَاتِ، تَحُوطُهُ بِخَنَانِهَا
حَتَّى تَمَلَأَ بِالْحَيَاةِ كِيَانُهُ
وَلَرُبَّ صُبْحٍ غَائِمٍ، مَتَحَجَّبٍ
تَتَنَفَّسُ الدُّنْيَا ضَبَابًا، هَائِمًا
وَالرَّيْحُ تَخْفُقُ فِي الْفَضَاءِ، وَفِي الثَّرَى
بَاكَرَتْ فِيهِ الْغَابَ مُوْهُونَ الْقُوَى
وَجَلَسَتْ تَحْتَ السَّنْدِيَانَةِ، وَاجْمًا
فَأَرَى الْمَبَانِي فِي الضَّبَابِ، كَأَنَّهَا
أَوْ عَالَمٌ، مَا زَالِ يُولَدُ فِي فُضَا

فِي مِسْمَعِي بِغُرَائِبِ الْأَنْغَامِ
فِيَاضَةً بِالْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ
(١٠)
فِي جِسْمِهِ رُوحُ الْحَيَاةِ النَّامِي (١١)
أَحْلَامُهُ، فِي رَقِيَّةٍ وَسَلَامٍ (١٢)
فِي مَتَرَفِ الْأَزْهَارِ وَالْأَكْمَامِ (١٣)
تَنْسَابُ سَابِحَةً، بِغَيْرِ نِظَامٍ
فِي الظَّلِّ، وَالْأَضْوَاءِ، وَالْأَنْسَامِ
وَبِحَبَّهَا، الرَّحْبِ، الْعَمِيقِ، الطَّامِي (١٤)
وَسَعَى وَرَاءَ مُوَكَبِّ الْأَيْتَامِ
فِي كِلَّةٍ مِنْ زَعَزَعٍ وَغَمَامٍ (١٥)
مَتَدَفِّعًا فِي أَفْقِهِ الْمُتَرَامِي
وَعَلَى الْجِبَالِ الشُّمِّ وَالْأَكَامِ
مَتَخَاذِلَ الْخُطُوتِ وَالْأَقْدَامِ (١٦)
أُرْنُو إِلَى الْأَفْقِ الْكُثِيبِ، أَمَامِي
فِكْرٌ، بِأَرْضِ الشَّكِّ وَالْإِبْهَامِ
وَالْكَوْنِ، بَيْنَ غِيَاهِبٍ وَسَدَامٍ (١٧)

(١٠) بياض بالأصل والمسودات.

(١١) وسنى: أخذها النعاس. سرى: مشى.

(١٢) شجا: أحزن.

(١٣) تنشي: تنصرف، تكف.

(١٤) تحوطه: تحفظه وترعاه. الطامي: الغامر، الممتلىء.

(١٥) الكيلة: ستار رقيق يُتَقَى بِهِ. الزعزع: الريح الشديدة الهبوب.

(١٦) موهون: متعب. متخاذل: متخلف، متعثر.

(١٧) الغياهب: الظلمات. سدام: جمع سدم، وهو ما تغير وفسد مع الزمن.

وأرى الفِجَاجَ الدَّامِساتِ، خلَّالَهُ
فكَانَها شُعْبُ الجَحِيمِ، رهيبةٌ
صُورٌ من الفنِّ المُرَوِّعِ، أعجَزْتُ
ولَكم مَسَاءٌ، حَالِمٌ متوشَّحٍ
قد سِرْتُ في غايي، كَفَكِرٍ، هَائِمٍ
شِعري، وأفكاري، وكُلُّ مشاعري
والأفقُ يزخرُ بالأشعةِ والشَّذى
والغابُ سَاجٍ، والحياةُ مُصَيَّخةٌ
وعروسُ أحلامي تُداعِبُ عودَها
روحُ أنا، مَسْحُورةٌ، في عَالَمٍ

★ ★ ★

في الغابِ، في الغابِ الحبيبِ، وإنَّه
طَهَّرْتُ في نارِ الجمالِ مَشاغبي
وتَسَيَّتُ دُنْيا النَّاسِ، فَهِيَ سَخَافَةٌ
وَقَبَسْتُ من عَطْفِ الوجودِ وَجْهَهُ
فَرَأَيْتُ ألوانَ الحياةِ نَضِيفَةً
ووجدتُ سحرَ الكونِ أسمى عنصراً
فأهْبَتُ - مسحورَ المشاعرِ، حالماً
«المعبودَ الحيَّ المقدَّسُها هنا

حَرَمُ الطَّبيعةِ والجمالِ السَّامي
ولقيتُ في دُنْيا الخيالِ سَلامي
سَكَّرِي من الأوهامِ والآثامِ
وجمالِهِ قَبْساً، أضاءَ ظلامِي (٢٣)
كنضارةِ الزَّهرِ الجميلِ النَّامي
وأجلَّ من حُزْني ومِن آلامي
نشوان - بالقلبِ الكثيبِ الدَّامي:
يَا كَاهِنَ الأَحْزانِ والآلامِ،

(١٨) الفجاج: الطُّرُق الواسعة بين الجبال. الآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الكثيف المتلف.

(١٩) الغبشة: بقية الليل وظلمة آخره.

(٢٠) القريض: الشعر.

(٢١) يزخر: يمتلئ ويفيض. الأكمام: غلاف الزهور.

(٢٢) السَّاجي: الساكن.

(٢٣) قبس: أشعل.

« فاخلعْ مُسُوخَ الحزنِ تحتَ ظلالِهِ
« وارفعْ صَلَاتَكَ للجمالِ ، عَمِيقَةً
« واصدَحْ بألحانِ الحياةِ ، جَمِيلَةً
« واخفقْ مع العِطْرِ المرفرفِ في الفضاءِ
« رَمَعَ الْيَنَابِيعِ الطَّلِيقَةِ ، وَالصَّدى ،
وَذَرَوْتَ أَفْكَارِي الْجَزِينَةَ لِلدَّجَى
وَمَضَيْتُ أَشَدُّوْ لِلأشْعَةِ سَاحِراً
وهتفتُ: « يا رُوحَ الجمالِ تَدَفَّقِي
« وتغلغلي كالنُّورِ ، في رُوحِي التي
« أَنْتِ الشُّعُورُ الْحَيُّ يَزْخَرُ دَافِقاً
« وَيَضُوعُ أَحْلَامَ الطَّبِيعَةِ ، فَاجْعَلِي
« وَشَدَى يَضُوعٌ مَعَ الْأَشْعَةِ وَالرُّؤَى

والبسُّ رِداءُ الشَّعرِ والأحلامِ» (٢٤)
مشبوبةٌ بِحَرَارَةِ الإلهامِ» (٢٥)
كجمالِ هذا العالَمِ البَسَامِ» (٢٦)
وارقصْ مع الأضواءِ والأنسامِ»
(٢٧)
وَنَثَرْتُهَا لِعَوَاصِفِ الأَيَّامِ» (٢٨)
من صوتِ أحزاني ، وبطشِ سقامي
كالنَّهْرِ في فِكْرِي ، وفي أَحْلَامِي
ذَبَلْتُ مِنَ الْأَحْزَانِ والآلامِ
كالنَّارِ ، في رُوحِ الوجودِ النَّامِي» (٢٩)
عُمُرِي نَشِيداً ، سَاحِرَ الأنعامِ
في مَعْبَدِ الْحَقِّ الْجَلِيلِ السَّامِي» (٣٠)

(٢٤) المسوخ: جمع مسح، وهو الثوب من نسيج الشعر يلبسه الإنسان على جسده تقشفاً وقهراً لجسده.

(٢٥) مشبوبة: مشتعلة.

(٢٦) الصداح: الذي يرفع صوته بالغناء.

(٢٧) بياض بالأصل والمسودات.

(٢٨) ذرا: طار في الهواء وتفرق.

(٢٩) يزخر: يفيض.

(٣٠) ضاع، يضيع: فاح، وانتشرت رائحته. إن هذه القصيدة تعتبر نشيداً رائعاً للجمال في هذا الوجود الذي يحيط به الألم من كل جانب.

يا رفيقي

[من الخفيف]

- 74 -

يا رفيقي! وأين أنت؟ فقد أغمّت جفوني عواصف الأيام
ورمتني بمهمته، قاتم، قفر، تُغشيه داجيات الغمام..^(١)
خذ بكفي، وغنني، يا رفيقي، فسبيل الحياة وعراً أمامي
كلما سرت زلّ بي فيه مهوى، تتضاغى به وحوش الحمام^(٢)
شعبته الدهور، وانطمس النور، وقامت به بنات الظلام
راقصات، يخلبن في حلك الليل، ويلعنن بالقلوب الدوامي
غنني، فالغناء يدراً عنا الساحر الجن... ساكن الآجام^(٣)
قد تفكرت في الوجود، فأعياني، وأدبرت آيساً لظلامي^(٤)
أنشد الراحة البعيدة، لكن خاب ظني وأخطأت أحلامي
فمعي في جوانحي أبد الدهر فؤاد إلى الحقيقة ظامي
ما تراخى الزمان إلا وألقى في طوابعه قبضة من ضرام
تتلظى، يد الحياة، وزادت عضلات الدهور والأعوام
أظلمات مهجتي الحياة، فهل يوماً تبلى الحياة بعض أوامي؟^(٥)
يا رفيقي! ما أحسب المنبع المنشود إلا وراء ليل الرجاء^(٦)
غنني، يا أخي، فالكون تيهاء، بها قد تمرقت أقدامي^(٧)

(١) المهمة: القفر.

(٢) تتضاغى: تصيح من الجوع أو الألم.

(٣) يدراً: يرد ويدفع بشدة.

(٤) آيساً: قانطاً، يائساً.

(٥) الأعوام: حرارة العطش.

(٦) الرجاء: التلال والهضاب.

(٧) تيهاء: أرض واسعة يضيع فيها المرء.

غَنِّي، عَلَّيْ أُنِيْمُ هُمُومِي، إِنَّنِي قَدْ مَلَّتُ مِنْ تَهْيَامِي^(٨)

★ ★ ★

يا رفيقي ! أما تفكَّرتَ في النَّاسِ ، وما يحملون مِنْ آلامٍ ؟
فلقد حَزَّ في فؤادي ما يَلْقَوْنَ مِنْ صَوْلَةِ الأَسَى الظَّلَامِ
فإذا سرَّني من الفجر نُورٌ ساءَني ما يُسرُّ قلبَ الظَّلَامِ
كَمْ بقلبِ الظَّلَامِ مِنْ أُنَّةٍ تَهْفُو بِغَصَّاتِ صَبِيَّةٍ أَيْتَامِ
وَنَشِيْجٍ مُضَرَّمٍ مِنْ فِتَاةٍ ، أَبْهَطَتْهَا قَسَوَارُغُ الأَيْتَامِ^(٩)
وَنُوحٍ يَفِيضُ مِنْ قَلْبٍ أَمْ فُجِعَتْ فِي وَحِيدِهَا البَّسَامِ ،
فَطَمَ الموتُ طِفْلَهَا ، وَهُوَ نُورٌ فِي دَجَاها ، مِنْ قَبْلِ عَهْدِ الفِطَامِ
وَأُنِينَ مِنْ مُعْدَمٍ ، ذِي سَقَامٍ ، عَضَّهُ الدَّهْرُ بِالخُطُوبِ الجَسَامِ
ما إِخَالَ النُّجُومَ إِلَّا دُمُوعاً ، ذَرَفَتْهَا مَحَا جِرُ الأَعْوَامِ
فَلَقَدْ ضَرَّمَ الشُّجُونَ بنوها ، فإذا بالشُّجُونَ سَيْلٌ طَامِ
وإذا بالحياة فِي مَلْعَبِ الدَّهْرِ تَدُوسُ الرُّؤُوسَ بالأَقْدَامِ
وإذا الكونُ فَلَذَّةٌ مِنْ جَحِيْمٍ ، تَتَعَذَّى بِكُلِّ قَلْبٍ دَامِ
وَهُمْ فِي جَحِيْمِهِمْ يَتَنَاعَوْنَ بما فِي الوجودِ مِنْ أَنْعَامِ !
عَجَباً لِلنَّفُوسِ ، وَهِيَ بَنَوَاكٍ ، عَجَباً لِلْقُلُوبِ ، وَهِيَ دَوَامِ
كيف تشدُّ وفي محاجرِها الدَّمْعُ ، وتلهو ما بَيْنَ سُودِ المَوَامِي ؟^(١٠)

★ ★ ★

يا رفيقي ! لَقَدْ ضَلَلْتُ طَرِيقِي ، وَتَخَطَّطُ مِحْجَتِي أَقْدَامِي
خُذْ بِكَفِي ، فَإِنَّنِي تَائِيَةٌ ، أَعْمَى ، كَثِيرُ الضَّلَالِ والأَوْهَامِ

(٨) أنيم: أقتل الهموم، وأصلها أجعلها تنام.

(٩) القوارع: المصائب. يقول: إنَّ الظلام يحمل في طياته آفات الصبايا الأيتام ويطويها على أكباد

تحترق قد أصابتها يد الأقدار.

(١٠) الموامي: الصحاري الواسعة لا ماء فيها.

وأنفخ الناي، فالحياة ظلام، مَا لِمُرْتَادِهِ مِنَ الْهَوْلِ حَامٍ
مِلءُ أَفَاقِهِ فَحِيحُ الْأَفَاعِي، وَعَجِيجُ الْآثَامِ وَالْآلَامِ (١١)
فأنفخ الناي، إِنَّهُ هِبَةُ الْأَمْلَاقِ لِلْمُسْتَعِيدِ بِالْإِلْهَامِ
وَاعْذُذِ السَّيْرَ، فَالْتَّهَارُ بَعِيدٌ، وَسَبِيلُ الْحَيَاةِ جَمُّ الظَّلَامِ... (١٢)

قيود الأحلام

— 75 —

[من الكامل]

فأرى الوجودَ يَضِيقُ عَنْ أَحْلَامِي
نِيَا وَعِشْتُ لِيُوحِدْتِي وَظِلَامِي
حَيْثُ الطَّبِيعَةُ، وَالْجَمَالُ السَّامِي (١)
مَا إِنْ تُدَنِّسُهُ الْحَيَاةُ بِذَامِ (٢)
عَنْهَا وَعَنْ بَطْشِ الْحَيَاةِ الدَّامِي (٣)
الْحَلْمُ الْجَمِيلُ، خَفِيفَةُ الْأَقْدَامِ
قُدْسِيَّةٌ، فِي يَمِّهَا الْمُتْرَامِي
لِلْفَنِّ لِلْأَحْلَامِ، لِلْإِلْهَامِ
أَمَّا، يَصُدُّ حَنَانُهَا أَوْهَامِي
فِي الْكَائِنَاتِ مُعَلَّقًا بِسَلَامِي

وَأَوَدُّ أَنْ أَحْيَا بِفِكْرَةٍ شَاعِرٍ
إِلَّا إِذَا قَطَعْتُ أَسْبَابِي مَعَ الدُّ
فِي الْغَابِ، فِي الْجَبَلِ الْبَعِيدِ عَنِ الْوَرَى
وَأَعِيشُ عِيشَةً زَاهِدٍ مَتَسَّكٍ
هَجَرَ الْجَمَاعَةِ لِلْجِبَالِ، تَوَرَّعًا
تَمْشِي حَوَالِيهِ الْحَيَاةُ كَأَنَّهَا
وَتَخَرُّ أَمْوَاجُ الزَّمَانِ بِهَيْبَةٍ
فَأَعِيشُ فِي غَابِي حَيَاةً، كُلُّهَا
لِكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ، فَإِنَّ لِي
وَصِغَارَ إِخْوَانِي، يَرَوْنَ سَلَامَهُمْ

(١١) فحیح الأفعی: صوتها.

(١٢) غَذ في السیر: أسرع فيه.

أي أَنَّهُ يَطْلُبُ مِنَ الْمَرْءِ أَنْ يَتَقَبَّلَ بِفَرَحٍ وَغِبْطَةٍ مَا تَقَدَّمَ لَهُ الْحَيَاةُ مِنْ نَعِيمِهَا لِأَنَّ جَحِيمَهَا لَا بَدَأَتْ.

(١) الوری: الناس.

(٢) الذَّام: المذمة والعلامة.

(٣) التَّوَرَّع: التَّقْوَى.

فَقَدُّوا الأبَّ الحاني، فَكُنْتُ لَضُفُفِهِمْ كَهْفًا يَصُدُّ غَوَائِلَ الْإِيَّامِ^(٤)
وَيَقِيهِمْ وَهَجَ الْحَيَاةِ، وَلَفَحَهَا
فَأَنَا الْمَكْبُلُ فِي سَلَّاسِلَ، حَيَّةٍ،
وَأَنَا الَّذِي سَكَنَ الْمَدِينَةَ، مُكْرَهَا
يُصْنَعِي إِلَى الدُّنْيَا السَّخِيفَةِ رَاغِمًا
وَأَنَا الَّذِي يَحْيَا بِأَرْضٍ، قَفْرَةٍ
هَجَمَتْ بِي الدُّنْيَا عَلَى أَهْوَالِهَا
مِنْ غَيْرِ إِنْذَارٍ فَأَحْمِلْ عُدَّتِي
فَتَحَطَّمَتْ نَفْسِي عَلَى شُطَّانِهِ

وَيَذُودُ عَنْهُمْ شَرَّ الْآلَامِ^(٥)
ضَحَّيْتُ مِنْ رَأْفِي بِهَا أَحْلَامِي
وَمَشَى إِلَى الْآتِي بِقَلْبٍ دَامٍ
وَيَعِيشُ مِثْلَ النَّاسِ بِالْأَوْهَامِ
مَدْحُوءَةً لِلشَّكِّ وَالْآلَامِ...^(٦)
وَخِضْمَتُهَا الرَّحْبِ، الْعَمِيقِ الطَّامِي^(٧)
وَأَخْوَضَهُ كَالسَّابِحِ الْعَوَامِ
وَتَأَجَّجْتُ فِي جَوْهٍ آلَامِي

★ ★ ★

الْوَيْلُ فِي الدُّنْيَا الَّتِي فِي شَرْعِهَا فَاسُ الطَّعَامِ كَرِيشَةِ الرِّسَامِ^(٨)

متاعب العظمة

[من الطويل]

— 76 —

إِذَا صَغُرَتْ نَفْسُ الْفَتَى كَانَ شَوْقُهُ
صَغِيرًا، فَلَمْ يَتَعَبْ، وَلَمْ يَتَجَشَّمِ^(١)
وَمَنْ كَانَ جَبَّارَ الْمَطَامِعِ لَمْ يَنْزَلْ
يَلَاقِي مِنَ الدُّنْيَا ضَرَاوَةً قَشَعَمَ^(٢)

(٤) الغوائل: المصائب، الدواهي.

(٥) اللَّفَح: الحَرّ.

(٦) مدحوة: مدفوعة.

(٧) الخِضْم الطَّامِي: البحر العميق الذي ارتفع ماؤه.

(٨) لَفْظَةُ «الطَّعَامِ» رَبَّمَا كَانَتْ «الطَّعَامُ» وَهُوَ الرَّذِيلُ الرَّدِيءُ.

(١) تَجَشَّم: تَكَلَّفَ عَلَى مَشَقَّةٍ.

(٢) ضَرَاوَةٌ: صِفَةُ لِلْحَيَوَانِ الْمَفْتَرَسِ الَّذِي يَتَشَهَّى أَكْلَ اللَّحْمِ. الْقَشَعَمُ: الْأَسَدُ.

يَذْكُرُنَا هَذَا الْقَوْلُ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّئِي:

وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامِ.

قافية النون

المساء الحزين

[من المتقارب] - 77 -

أَظَلَّ الْوُجُودَ الْمَسَاءَ الْحَزِينَ، وَفِي كَفِّهِ مَعَزَفٌ لَا يُبَيِّنُ^(١)
وَفِي ثَغَرِهِ بَسَمَاتُ الشُّجُونِ، وَفِي طَرَفِهِ حَسَرَاتُ السَّيْنِ^(٢)
وَفِي صَدْرِهِ لَوْعَةٌ لَا تَقْرُ، وَفِي قَلْبِهِ صَعَقَاتُ الْمُنُونِ
وَقَبْلَهُ قَبْلًا صَامِتَاتٍ، كَمَا يَلْتَمُّ الْمَوْتُ وَرَدَ الْغُصُونِ
وَأَفْضَى إِلَيْهِ بَوَاحِي النُّجُومِ، وَسِرُّ الظَّلَامِ، وَلَحْنُ السُّكُونِ^(٣)
وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَزَامِيرُهُ، فَغَنَّتْ بِهَا فِي الظَّلَامِ الْحُزُونُ^(٤)
وَعَلَّمَهُ كَيْفَ تَأْسَى النُّفُوسُ، وَيَقْضِي يَوْسًا لَدَيْهَا الْخَنِينُ
وَأَسْمَعَهُ صَرَخَاتِ الْقُلُوبِ، وَأَنْهَلَهُ مِنْ سُلَافِ الشُّؤُونِ^(٥)
فَأَغْفَى عَلَى صَدْرِهِ الْمُطْمَئِنِّ، وَفِي رُوحِهِ حُلُمٌ مُسْتَكِينُ
قَوِيٌّ، غُلُوبٌ، كَسِخْرِ الْجُفُونِ، شَجِيٌّ، لَعُوبٌ، كَزَهْرِ حَزِينِ
صَحُوكٌ، وَقَدْ بَلَّتْهُ الدَّمُوعُ، طَرُوبٌ، وَقَدْ ظَلَّلَتْهُ الشُّجُونُ

(١) معزف: ما يعزف عليه من آلات موسيقية.

(٢) الطَّرَفُ: النظر.

(٣) أفضى بالسر: باح به.

(٤) الحزون: جمع حزن، وهو الأرض الغليظة المرتفعة.

(٥) أنهله: سقاه. سلاف: خمر. الشؤون: الدموع.

تَعَانِقُهُ سَكَرَاتُ الْهَوَى، وَتَحْضُنُهُ شَهَقَاتُ الْأَنِينِ
يُشَابُهُ رُوحُ الشَّبَابِ الْجَمِيلِ إِذَا مَا تَأَلَّقَ بَيْنَ الْجُفُونِ
أَعَادَ لِنَفْسِي خَيَالاً جَمِلاً... لَقَدْ حَجَبَتْهُ صُرُوفُ السَّيْنِ^(٦)
فَطَافَتْ بِهَا هَجَسَاتُ الْأَسَى، وَعَادَتْ لَهَا خُطُواتُ الْجُنُونِ^(٧)



أَظَلَّ الْفَضَاءَ جَنَاحُ الْغُرُوبِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ جَمَالاً كَثِيبَ
وَالْبَسَهُ حُلَّةً مِنْ جَلَالِ، شَجِيٍّ، قَوِيٍّ جَمِيلٍ، غَلُوبِ
فَنَامَتْ عَلَى الْعُشْبِ تِلْكَ الزُّهُورُ لِمَرَأَى الْمَسَاءِ الْحَزِينِ الرَّهِيْبِ
وَأَبَتْ طُيُورُ الْفَضَاءِ الْجَمِيلِ لَأَوْكَارِهَا، فَرِحَاتِ الْقُلُوبِ^(٨)
وَقَدْ أَضْمَرَتْ بِأَغَارِيدِهَا خِيَالَ السَّمَاءِ الْفَسِيحِ الرَّحِيْبِ
وَوَلَّى رُعَاةَ السَّوَامِ إِلَى الْحَيِّ يُزْجُونَهَا فِي صُمَاتِ الْغُرُوبِ^(٩)
فَتَغْفُو، حَنِيناً لِحِمْلَانِهَا، وَتَقْطِفُ زَهَرَ الْمُرُوجِ الْخَصِيْبِ^(١٠)
وَهُمْ يُنْشِدُونَ أَهَازِيْجَهُمْ بِصَوْتٍ، بِهِجٍ، فَرُوحٍ، طَرُوبِ
وَيَسْتَمْنَحُونَ مَزَامِيرَهُمْ، فَتَمْنَحُهُمْ كُلٌّ لِحَنِ عَجِيْبِ
تَطِيرُ بِهِ نَسَمَاتُ الْغُرُوبِ إِلَى الشَّفَقِ الْمُسْتَطِيرِ الْخَلُوبِ
وَتُوحِي لَهُمْ نَظَرَاتُ الصَّبَايَا أَنْاشِيدَ عَهْدِ الشَّبَابِ الرَّطِيْبِ
وَأَقْبَلَ كُلٌّ إِلَى أَهْلِهِ، سَوَى أَمَلِي، الْمُسْتَطَارِ، الْغَرِيْبِ
فَقَدْ تَاهَ فِي مَعْسَبَاتِ الْحَيَاةِ، وَسُدَّتْ عَلَيْهِ مَنَاحِي الدُّرُوبِ^(١١)
وَوَلَّى شَرِيداً، وَحِيداً، بَعِيداً، يُغَالِبُ عُنْفَ الْحَيَاةِ الْعَصِيْبِ

(٦) صُرُوفُ: مصائب.

(٧) الهجسات: جمع الهجس، وهو ما يخطر في البال ويقع في القلب.

(٨) آبت: رجعت.

(٩) السَّوَامُ: الماشية ترسل لترعى. يزجونها: يسوقونها. الصَّمَاتُ: الصمت.

(١٠) تغفو: من الثَّغَاءِ، وهو صوت الشاة.

(١١) معسبات: من العسبة وهي الشَّقُّ في الجبل. المناحي: جمع المنحى، وهو القصد.

وقد كَانَ مِنْ قَبْلُ ذَا غَبْطَةٍ، يُرْفَرُ حَوْلَ فُؤَادِي الْخَصِيبِ

★ ★ ★

وَلَمَّا أَظْلَلَ الْمَسَاءَ السَّمَاءَ، وَأَسْكَرَ بِالْحُزْنِ رُوحَ الْوُجُودِ
وَقَفْتُ، وَسَاءَ لَتُهُ: هَلْ يُوَوِّبُ لِقَلْبِي رَبِيعُ الْحَيَاةِ الشَّرُودُ؟ (١٢)
« فَتَحَقَّقْ فِيهِ أَغَانِي الْوُرُودِ وَيَخْضُرُ فِرْدَوْسُ نَفْسِي الْحَصِيدُ » (١٣)
« وَتَخْتَالُ فِيهِ عَرُوسُ الصَّبَاحِ، وَتَمْرَحُ نَشْوَى بِذَاكَ النَّشِيدُ » (١٤)
« وَيَرْجِعُ لِي مِنْ عِرَاصِ الْجَحِيمِ سَلَامُ الْفُؤَادِ، الْجَمِيلُ الْعَهْدُ » (١٥)
« فَقَدْ كَبَلَتْهُ بَنَاتُ الظَّلَامِ، وَأَلْقَيْنَهُ فِي ظِلَامِ اللَّحُودِ »؟
فَأَصْغَى إِلَى لَهْفِي الْمُسْتَمِرِّ، وَخَاطَبَنِي مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ:
« تَعُودُ اذْكَارَاتُ ذَاكَ الْهَوَى، وَلَكِنْ سِخَرِ الْهَوَى لَا يَعُودُ » (١٦)
فَجَاشَتْ بِنَفْسِي مَآسِي الْحَيَاةِ، وَسَخَطُ الْقُنُوطِ الْقَوِيُّ الْمُرِيدُ
وَلَمَّا طَعَتْ عَصَفَاتُ الْقُنُوطِ فَمَادَتْ بِكُلِّ مَكِينٍ، عَتِيدُ (١٧)
أَهْبَتْ بِقَلْبِي، الْهُلُوعُ، الْجَزُوعُ، وَكَانَ مِنْ قَبْلُ جَلْدًا، شَدِيدًا:
« تَجَلَّدْ، وَلَا تَسْتَكِنَ لِلْيَالِي، فَمَا فَازَ إِلَّا الصَّبُورُ، الْجَلِيدُ »
« وَلَا تَأْسَ مِنْ حَادِثَاتِ الدُّهُورِ، فَخَلَفَ الدِّيَاجِيرُ فَجْرُ جَدِيدٍ » (١٨)
« وَلَوْ لَا غَيُومُ الشِّتَاءِ الْغِضَابُ لَمَّا نَضَّدَ الرُّوضُ تِلْكَ الْوُرُودُ » (١٩)
« وَلَوْ لَا ظِلَامُ الْحَيَاةِ الْعَبُوسُ لَمَّا نَسَجَ الصَّبْحُ تِلْكَ الْبُرُودُ » (٢٠)

(١٢) يؤوب: يعود.

(١٣) فردوس: جنة.

(١٤) نشوى: سكرى.

(١٥) عراص: جمع عرصة، وهي الساحة أمام الدار.

(١٦) اذكارات: ذكريات.

(١٧) القنوط: اليأس. ماد: اضطرب وتحرك.

(١٨) لا تأس: لا تحزن. الدياجير: الظلمات.

(١٩) نضد: ضم بعضه إلى بعض.

(٢٠) البرود: جمع بُرد، وهو اللباس.

الذكري

- 78 - [من مجزوء الكامل]

كُنَّا كَزَوْجِي طَائِرٍ، فِي دَوْحَةِ الْحُبِّ الْأَمِينِ^(١)
نَتَلُو أَنَاشِيدَ الْمَنَى بَيْنَ الْخَمَائِلِ وَالْغُصُونِ
مُتَغَرِّدِينَ مَعَ الْبَلَابِلِ فِي السُّهولِ وَفِي الْحَزُونِ^(٢)
مَلَأَ الْهَوَى كَأْسَ الْحَيَاةِ لَنَا، وَشَعَّعَهَا الْفُتُونِ^(٣)
حَتَّى إِذَا كِدْنَا نُرَشِّفُ خَمْرَهَا، غَضِبَ الْمَنُونِ
فَتَخَطَفَ الْكَأْسَ الْخُلُوبَ، وَحَطَّمِ الْجَامَ الثَّمِينِ^(٤)
وَأَرَاقَ خَمَرِ الْحُبِّ فِي وَادِي الْكَآبَةِ وَالْأُنْيِينِ
وَأَهَابَ بِالْحُبِّ الْوَدِيعَ، فَوَدَّعَ الْعُشَّ الْأَمِينِ^(٥)
وَشَدَا بِلَحْنِ الْمَوْتِ فِي الْأَفْقِ الْحَزِينِ الْمُسْتَكِينِ
ثُمَّ اخْتَفَى خَلْفَ الْغُيُومِ، كَأَنَّهُ الطَّيْفُ الْحَزِينِ...

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الشَّجِيءُ! إِلَامَ تُخْرِسُكَ الشَّجُونُ
رُحْمَاكَ قَدْ عَذَّبْتَنِي بِالصَّمْتِ وَالذَّمْعِ الْهَتُونِ^(٦)
مَاتَ الْحَبِيبُ، وَكُلُّ مَا قَدْ كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يَكُونَ
فَاصِبِرْ عَلَى سُخْطِ الزَّمَانِ، وَمَا تُصَرِّفُهُ الشُّؤُونُ^(٧)

(١) الدَّوْحَةُ: المظلَّة العظيمة.

(٢) الْحَزُونُ: جمع حَزَن، وهي الأرض الغليظة المرتفعة.

(٣) الْفُتُونُ: هنا بمعنى الجمال.

(٤) تَخَطَّفَ: اختطف، سرق. الْجَامُ: إناء من فِصَّةٍ يَتَّخِذُ لِلشَّرَابِ.

(٥) يذكر في هذه الأبيات قصة حبِّ الذي كان الموت لها بالمرصاد إذ استهدفت المنون حبيبته من بين يديه وتركته وحيداً معذباً.

(٦) الْهَتُونُ: الذي ينهمر بغزارة.

(٧) سُخْطٌ: غضب. لم يعد من منقذ له سوى الموت.

فَلَسَوْفَ يُنْقِذُكَ الْمُنُونُ، وَيَفْرَحُ الرُّوحُ السَّجِينُ...

★ ★ ★

وَرَدُّ الْحَيَاةِ مَرْتَقٍ، وَالْمَوْتُ مَوْرِدُهُ مَعِينٌ^(٨)
وَلَرُبَّمَا شَاقَ الرَّدَى الدَّاجِي، وَأَعْمَاقُ الْمُنُونِ
قَلْبًا، تُرَوِّعُهُ الْحَيَاةُ، وَلَا تُهَادِنُهُ السُّنُونُ
وَمَشَاعِيرًا حَسْرَى، يَسِيرُ بِهَا الْقُنُوطُ إِلَى الْجُنُونِ^(٩)

الصَّبَاحُ الْجَدِيدُ

- 79 - [من مجزوء الخفيف]

أُسْكُنِي يَا جِرَاحُ وَاسْكُتِي يَا شُجُونُ^(١)
مَاتَ عَهْدُ النَّوَاحِ وَزَمَانُ الْجُنُونِ
وَأَطْلَلُ الصَّبَّاحَ مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ

★ ★ ★

فِي فِجَاجِ الرَّدَى قَدْ دَفَنْتُ الْأَلَمَ
وَنَشَرْتُ الدَّمُوعَ لِرِيَّاحِ الْعَدَمِ
وَاتَّخَذْتُ الْحَيَاةَ مِعْزَفًا لِلنَّغَمِ^(٢)
أَتَغَنَّى عَلَيْهِ فِي رِحَابِ الزَّمَانِ

(٨) مرتق: مكدر. مصير الورود إلى الذبول ومصير الحب إلى الموت.

(٩) القنوط: اليأس. يقول: ليس للعاشق الذي مات حبيبه إلا اليأس أو الموت.

(١) الشجون: الأحزان.

(٢) المعزف: ما يعزف عليه من آلات موسيقية. يقول: إنه نسي آلامه وجراحه وسوف يغني للحياة من

جديد.

وأذبتُ الأسَى	في جمال الوجود
ودَحَوْتُ الفؤادُ	واحدةً للنَّشِيدِ ^(٣)
والضيَّاءَ والظَّلَالَ	والشَّذَى والورودُ
والهوى والشَّبابُ	والمنى والحَنانُ

★ ★ ★

اسْكُنِي يا جراحُ	واسْكُنِي يا شُجونُ
مات عهدُ النواحِ	وزَمَانُ الجنونِ
وأَطْلَلَ الصَّبَّاحُ	مِنْ وراءِ القُرونِ

★ ★ ★

في فؤادي الرحيبُ	مَعِيدٌ لِلجَمالِ
شَيَّدَتْهُ الحياةُ	بالرُّؤى، والخيالِ
فَتَلَوْتُ الصَّلَاةَ	في خشوعِ الظَّلَالِ...
وَحَرَقْتُ البُخُورَ...	وأَضَاتُ الشُّمُوعِ...

★ ★ ★

إن سِحَرَ الحياةُ	خَالِدٌ لا يزولُ
فَعَلَامَ الشَّكَاةِ	مِنْ ظَلامٍ يَحُولُ ^(٤)
ثم يأتِي الصَّبَّاحُ	وَتَمُرُّ الفُصولُ...؟
سوف يأتِي ربيعُ	إن تقضَى ربيعُ

★ ★ ★

(٣) دحا: استرخى واسترسل.

(٤) الشَّكَاةُ: الشَّكْوَى. يحول: يزول.

في هذه الأبيات فكرة فلسفية مفادها أنَّ الحياة تستحقُّ منا كلَّ اهتمام وتفكير لأنَّها خالدة، في حين أنَّ آلامها وأحزانها هي أشياء عارضة وليست جوهرية.

أُسْكِنِي يَا جِرَاحُ وَاسْكُنِي يَا شُجُونُ
مَاتَ عَهْدُ النَّوَاحِ وَزَمَانُ الْجُنُونِ
وَأُطْلَلُ الصَّبَّاحُ مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ

★ ★ ★

مَنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ وَهَدِيرِ المِيَاهِ
قَدْ دَعَانِي الصَّبَّاحُ وَرَبَّيْعُ الْحَيَاةِ
يَا لَهُ مِنْ دُعَاءِ هَزَّ قَلْبِي صَدَاهُ
لَمْ يَعُدْ لِي بَقَاءُ فَوْقَ هَذَا الْبَقَاعِ

★ ★ ★

أَلْوَدَاعُ! الْوَدَاعُ يَا جِبَالَ الْهُمُومِ
يَا ضَبَابَ الْأَسَى! يَا فِجَاجَ الْجَحِيمِ
قَدْ جَرَى زَوْرَقِي فِي الْخِضَمِّ الْعَظِيمِ...^(٥)
وَنَشَرْتُ الْقِلَاعَ... فَالْوَدَاعُ! الْوَدَاعُ^(٦)

تحت الغصون

— 80 —

[من الخفيف]

هَهُنَا فِي خُمَائِلِ الْغَابِ، تَحْتَ الزَّأِ نِ وَالسَّنْدِيَانِ، وَالزَّيْتُونِ
أَنْتِ أَشْهَى مِنَ الْحَيَاةِ وَأَبْهَى مِنْ جَمَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَيْمُونِ^(١)

(٥) الخضم: البحر العظيم.

(٦) القلاع: شراع السفينة.

في هذه القصيدة مُسَحَّة من التناؤل لا يمكن تفسيرها إلا بالعودة إلى الزمن الذي نظم فيه الشاعر هذه القصيدة، فربما نظمت القصيدة في وقت كان المرض يهادنه فيه.

(١) الميمون: المبارك.

ما أرقّ الشبابَ، في جِسْمِكَ الغَضْرُ
وأدقّ الجمالَ في طرفِكَ السَّاهِي،
وَأَلَذَّ الحَيَاةَ حينَ تَغْنِي—
وأرى روحَكَ الجميلةَ عَطِراً
قَدْ تَغَنَّتْ منذُ حينٍ بصوتٍ
نَغْماً كالْحَيَاةِ عَذْباً عميقاً
فإذا الكونُ قِطْعَةً من نشيدٍ
فَلِمَنْ كُنْتَ تُنْشِدِينَ؟ فقالتُ:
«للضُّبابِ المورِدِّ، المتلاشي
«للمساءِ المَطْلِّ لِلشَّفَقِ السَّاءِ
«للعبيرِ الذي يرفرف في الأفـ
للأغاني التي يُرَدِّدُهَا الرَّا
«للمرَّيعِ الذي يُوجِّجُ في الدُّ
«ويوشِّي الوجودَ بالسَّحَرِ، والأحلا
«للحياةِ التي تغني حوَالِيَّ!
«للينابيعِ، للعصافيرِ، للظِّلِّ
«للنَّسيمِ الذي يَضْمَخُ أحلا

وفي جيدِكَ البَدِيعِ، الثَّمِينِ! (٢)
وفي ثَغْرِكَ الجميلِ، الحَزِينِ! (٣)
من فَأَصْغِي لصوتِكَ المحزونِ
ضايِعاً في حلاوة التَّلْحِينِ! (٤)
ناعم، حالم، شجيّ حنون (٥)
في حَنَانٍ، ورقّة، وحنينٍ
علويّ، منغم، موزونٍ
«للضياءِ البَنَفْسَجِيِّ الحَزِينِ»
كخيالاتِ حَالِمٍ، مفتون (٦)
جي لِسِحْرِ الأَسَى، وسحرِ السُّكونِ
سقى ويفنى، مثلَ المني، في سكونٍ
عي بمزماره الصَّغِيرِ، الأَمِينِ
نيا حَيَاةَ الهوى، وروحَ الحنينِ (٧)
م والزَّهْرِ، والشَّذَى، واللُّحُونِ (٨)
على السَّهْلِ، والرُّبَى والحُزُونِ (٩)
لهذا الثَّرى، لتلك الغُصُونِ
مي بِعَطْرِ الأَقْاحِ واللِّيمُونِ (١٠)

(٢) الغض: الناعم. الجيد: أعلى الصدر.

(٣) الساهي: الغافل عن الأمر.

(٤) ضايِعاً: منتشرأ.

(٥) شجيّ: حزين.

(٦) مفتون: ضالّ، ضائع.

(٧) يوجِّج: يلهب.

(٨) يوشّي: يزخرف. الشّذى: العطر والرائحة. اللّحون: الألحان.

(٩) الحزون: الأراضي المرتفعة الغليظة.

(١٠) ضمخ: دهن. الأقاح: زهر أحمر اللون.

نينا لأشواقِ قلبي المشجون
مي بضوءِ المنى وظلّ الشجون
سود، لليأس، للأسى، للمنون» (١١)

«للجمال الذي يفيضُ على الدُّ
«للزَّمانِ الذي يوشحُ أيَّاماً
«للشَّبابِ السَّكرانِ، للأملِ المع

★ ★ ★

مَنْ يَغْنِيهِ؟ مَنْ يُبِيدُ شُجُونِي؟
قُبْلًا عبقريّة التّليحِينِ
وأنارتْ لَهُ ظِلَامُ السَّيْنِ
على لَحْنِهَا العميقِ الرّصِينِ» (١٢)

فَتَنَهَدْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: «وقلبي
قالت: «الحبُّ» ثُمَّ غَنَّتْ لقلبي
قُبْلًا، عَلِمْتُ فَوَادِي الْأَغَانِي،
قُبْلًا، تَرَقُّصُ السَّعَادَةِ، وَالْحَبُّ

★ ★ ★

حور: قلبي، تكلّمي، خبّرني
طالعتني في ضوء هذي العيون: «
سلى «يُغْنُونَ فِي حُنُوءِ حُنُونِ»
نَ بزهري التّفاحِ واليَاسمينِ
ه أطفأتْ به عذارى الفنون» (١٣)
س كأحلامِ شاعرٍ مجنون» (١٤)
مُسْكِرٍ؟ أَيُّ نَشْوَةٍ، وَجَنُونٍ؟
في شفاه، بديعة التّكْوِينِ
ر، ونور الهوى، وظلّ الشجون
بُرْدَةٌ فِي مَسَائِنَا الميمون؟» (١٥)

.. وَأَقَفْنَا، فَقُلْتُ كَالْحَالِمِ الْمَسْدُ
«أَيُّ دُنْيَا مَسْحُورَةٍ، أَيُّ رُؤْيَا
«زُمَرٌ مِنْ مَلَائِكِ الْمَلَأِ الْأَعْيُ
«وصبايا رواقص، يتراشقن
«في فضاء، مورّدِ حَالِمٍ سَا
«وجحيمٍ تَوُجُّ تَحْتَ فِرَادِي
«أَيُّ خَمَرٍ مُؤَجَّجٍ وَلَهِيْبٍ
«أَيُّ خَمَرٍ رَشْفَتْ، بَلْ أَيُّ نَارٍ
«وَرَدَّتْهَا الْحَيَاةُ فِي لَهَبِ السَّحَابِ
«أَيُّ إِثْمٍ مُقَدَّسٍ، قَدْ لَبَسْنَا

(١١) المنون: الموت.

(١٢) الرّصين: الرّزين الوقور.

(١٣) السّاهي: الغافل عن الأمر. أطفأ: أحاط.

(١٤) أجم: توهج. فراديس: جمع فردوس، وهو الجنة.

(١٥) إثم: خطيئة. البرد: ثوب مخطط يلتحف به.

قَبْدًا طَيْفٌ بِسْمَةِ، سَاحِرٌ، عَذُّ
وَأَجَابَتْ - وَكُلُّهَا فِتْنَةٌ تُغْ
أَبْدًا! أَنْتَ حَالِمٌ، فَاسْأَلِ اللَّيْلَ
وَسَكْتَنَا، وَغَرَدَ الْحَبُّ فِي الْغَا
وَبَنَى اللَّيْلُ وَالرَّبِيعُ حَوَالِي
مَعْبَدًا لِلْجَمَالِ، وَالْحَبُّ شِعْرِيًّا،
تَحْتَهُ يَزْخَرُ الزَّمَانُ، وَيَجْرِي
وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ، وَالْحُزْنُ، وَالْمَو
مَعْبَدًا، سَاحِرًا، مَبَاخِرُهُ الزَّهْ
كُلُّ زَهْرٍ يَضُوعُ مِنْهُ أَرِيحٌ
وَنَجْمُ السَّمَاءِ فِيهِ شَمُوعٌ
وَمَضَتْ نَسْمَةٌ تُوسُوسُ لِلْغَا
وَطَفَى السَّحَرُ، وَالْغَرَامُ بِقَلْبِي
« طَهَّرِي يَا شَقِيقَةَ الرُّوحِ ثَغْرِي
« إِنَّ نَارَ الْحَيَاةِ وَالْكَوْثَرَ الْمُنَى
« فَهُوَ كَأْسٌ سِحْرِيَّةٌ، لِرَحِيقِ الْ
« قَبْلِي، وَأُسْكِرِي ثَغْرِي الصَّمَا
عَلَّنِي أُسْطِيعُ أَنْ أَتَغْنَى
« آه مَا أَجْمَلَ الظَّلَامَ! وَأَقْوَى

بِ، عَلَى ثَغْرِهَا، قُوِيَّ الْفِتُونِ
سُوي، وَتُغْرِي بِالْحَبِّ، بَلْ بِالْجُنُونِ - :
لِ، فَعِنْدَ الظَّلَامِ عِلْمُ الْيَقِينِ .. »
بِ، فَأَصْغَى حَتَّى حَفِيفُ الْغُصُونِ
نَا مِنْ السَّحَرِ وَالرُّؤْيَى وَالسُّكُونِ
مَشِيدًا عَلَى فِجَاجِ السَّنِينَ (١٦)
صَامِتًا، فِي مَسِيلِهِ الْمَحْزُونِ
تُ، بَعِيدًا عَنْ ظِلِّهِ الْمَأْمُونِ
رُ، عَلَى الصَّخْرِ، وَالثَّرَى، وَالْغُصُونِ
مِنْ بَخُورِ الرَّبِيعِ، جَمَّ الْفُتُونِ (١٧)
أَوْقَدَتْهَا لِلْحَبِّ رُوحُ الْقُرُونِ
بِ، وَتَشْدُو فِي عَمَقِ ذَاكَ السُّكُونِ (١٨)
فَتَوَسَّلْتُ ضَارِعًا بِجَفُونِي:
بِلَهَيْبِ الْحَيَاةِ، بَلْ قَبْلِي «
شَوْدٌ، فِي ثَغْرِكَ الشَّهْيِ، الْحَزِينِ (١٩)
خُلْدٍ قَدْ صَاغَهَا إِلَهُ الْفُنُونِ (٢٠)
دِي وَقَلْبِي، وَفَتَنْتِي، وَجُنُونِي (٢١)
لِجَمَالِ الدُّجَى بِوَحْيِ الْعُيُونِ
وَحْيَهُ فِي فَوَادِي الْمَفْتُونِ!

(١٦) الفجاج: الطرق الواسعة بين الجبال.

(١٧) يَضُوعُ: يَفُوحُ. الْأَرِيحُ: الْعَطَرُ. جَمَّ: كَثُرَ.

(١٨) تَوَسَّسَ: تَنَكَّلَمَ بِكَلَامٍ خَفِيِّ.

(١٩) الْكَوْثَرُ: الشَّرَابُ الْعَذْبُ.

(٢٠) رَحِيقُ: خَمْرَةٌ.

(٢١) الصَّدَايُ: الشَّدِيدُ الْعَطَشُ.

« انظري اللَّيْلَ فهو حلّة الأحـ
 « واسمعي الغاب، فهو قيتارة الكو
 إن سِحَرَ الضَّبَابِ، واللَّيْلِ، والغا
 « وجمال الظَّلامِ يعبقُ بالأحـ

سلامِ يَمْشِي على الذُّرَى والحُزُونِ « (٢٢)
 نِ تَغْنِي لِحَبْنَا الميمونِ « (٢٣)
 بِ بعيدُ المدى، قويُّ الفُتُونِ
 سلامِ والحُبِّ.. فَابْسِمِي، والثُّمِينِي « (٢٤)

آه! ما أعذبَ الغَرامَ! وأحلى
 رنةَ اللّثمِ في خُشوعِ السُّكونِ!

★ ★ ★

.. وَسَكِرْنَا هناك.. في عالم الأحـ
 وتوارى الوجودُ عَنَّا بما فيـ
 ونسينا الحياة، والموتَ، والسُّكو

سلامِ تحت السَّمَاءِ، تحت الغُصونِ ..
 ه.. وغَبْنَا في عالمِ مُفتونِ... (٢٥)
 نَ وما فيه من مُنى وَمُنُونِ (٢٦)

أغنية الشاعر

[من البسيط]

— 81 —

يا رَبَّةَ الشَّعْرِ والأحلامِ، غَنِينِي
 إن اللَّيالي اللَّواتِي ضَمَخْتُ كِبِيدِي
 نَاخْتُ بِنَفْسِي مَاسِيهَا، وَمَا وَجَدْتُ
 وَهْدَةً مِنْ خَلْدِي نَوْحَ، تُرَجِّعُهُ

فَقَدْ سَمْتُ وَجُومَ الكونِ ، مِنْ حِينِ
 بالسَّحَرِ أَضَحْتُ مع الأَيَّامِ ترمِينِي (١)
 قَلْباً عَطُوفاً يُسَلِّيهَا، فَعَزَّيْنِي
 بَلَوَى الحَيَاةِ، وَأَحْزَانُ المَسَاكِينِ (٢)

(٢٢) الحزون: الأراضي المرتفعة الغليظة.

(٢٣) قيثارة: آلة موسيقية ذات ستة أوتار. الميمون: المبارك.

(٢٤) يعبق: يغوح.

(٢٥) توارى: اختفى، استتر.

(٢٦) المنى: الأمانى.

(١) ضَمَخَ: دهن بالطيب.

(٢) الخلد: القلب والنفس.

فَمَنْ إِذَا مُتَّ يَبْكِيهَا وَيَبْكِينِي؟^(٣)
 نَفْسِي مِنَ النَّاسِ أَبْنَاءِ الشَّيَاطِينِ
 فِي مِعْزَفِ الدَّهْرِ غَرِيدُ الْأَرَانِينِ^(٤)
 وَغَادَةُ الْحُبِّ ثَكْلِي، لَا تَغْنِينِي
 أَسْلُو؟ وَمَا نَفْعُ مَحْزُونٍ لِمَحْزُونٍ؟
 عَدِمْتُ مَا أُرْتَجِي فِي الْعَالَمِ الدُّونِ^(٥)
 وَحَيِّ السَّمَاءِ، فَهَاتِيهَا، وَغْنِينِي
 تَجْلُو عَنِ النَّفْسِ أَحْوَانُ الْأَحْيَايِنِ^(٦)
 فِيهِ الْأَمَانِي، فَمَا عَادَتْ تَنَاقِصُنِي
 أَوْتَارُ رُوحِي أَصْوَاتُ الْأَقْنَائِنِ
 لِي الْحَيَاةُ لَدَى غَضِّ الرِّيَاحِينِ
 يُلَوِّنُ الْغَيْمَ لِهَوَايَ تَلْوِينِ^(٧)
 فَجَرُّ الْهَوَى فِي جَفُونِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ^(٨)

على الحياة أنا أبكي لِشِقْوَتِهَا
 يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ، غَنِّينِي، فَقَدْ ضَجِرْتُ
 تَبَرَّمْتُ بَيْنِي الدُّنْيَا، وَأَعْوَزَهَا
 وَرَاحَةُ اللَّيْلِ مَلَأَى مِنْ مَدَامِعِهِ
 فَهَلْ إِذَا لُذْتُ بِالظُّلُمَاءِ، مُتَّحِبًا
 يَا رَبَّةَ الشَّعْرِ إِنِّي بِائِسٌ، تَعِسٌ
 وَفِي يَدَيْكَ مَزَامِيرٌ يُخَالِجُهَا
 وَرَتَّلِي حَوْلَ بَيْتِ الْحُزْنِ أَغْنِيَّةً
 فَإِنَّ قَلْبِي قَبْرٌ، مُظْلِمٌ، قُبِرْتُ
 لَوْلَاكِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَمَّا لَمَسْتُ
 وَلَا تَغْنَيْتُ مَأْخُودًا.. وَلَا عَذُوبًا
 وَلَا ازْدَهَى النَّفْسَ فِي أَشْجَانِهَا شَفَقٌ
 وَلَا اسْتَخَفَّ حَيَاتِي، وَهِيَ هَائِمَةٌ

الاعتراف

- 82 -

[من البسيط]

- ومشاعري عمياء بالأحزان -
 مِنْ نَهْرِهَا الْمَتَوَهِّجِ النَّشْوَانِ

ما كنتُ أَحْسَبُ بَعْدَ مَوْتِكَ يَا أَبِي
 أَنِّي سَاطِئًا لِلْحَيَاةِ، وَأَحْتَسِي

(٣) الشَّقْوَةُ: الشَّقَاءُ.

(٤) الْأَرَانِين: أصوات البكاء.

(٥) الدُّون: الأسفل.

(٦) أَحْوَان: جمع حَيْن، وهو المحنة والهلاك.

(٧) ازْدَهَى: استخف.

(٨) الْخُرْد: جمع خريدة، وهي الفتاة الحسناء. الْعَيْن: الواسعة العيون.

وأعوذُ للدُّنيا بقلبٍ خافقٍ للحبِّ، والأفراحِ، والألحانِ
ولكلِّ ما في الكونِ من صوَرِ المنى وغرائبِ الأهواءِ والأشجانِ^(١)
حتَّى تحرَّكتِ السُّنونُ، وأقبلتْ فتَنُ الحياةِ بسحرِها الفتانِ
فإذا أنا زلتُ طفلاً، مُولِعاً بتعقُّبِ الأضواءِ والألوانِ^(٢)
وإذا التَّشاؤمُ بالحياةِ ورفضُها ضربَ من البُهتانِ والهذيانِ^(٣)
إنَّ ابنَ آدمَ في قرارةِ نفسِهِ عبدُ الحياةِ الصادقِ الإيمانِ

الحياة

— 83 —

[من الخفيف]

إنَّ هُذِي الحَيَاةَ قِثَارَةَ اللهِ، وأهلُ الحَيَاةِ مِنْهُ اللُّحُونُ^(١)
نَعَمَ يَسْتَبِي المَشايعَ كالمَسخَرِ، وصَوْتُ يُخِلُّ بالتَّلحينِ
واللَّيالي مَغاوِرَ، تُلحِدُ اللُّحْنَ وتَقْضِي عَلَى الصَّدَى المِسكينِ^(٢)

(١) المنى: جمع أمنية، وهي البغية والرغبة.

(٢) تعقَّب: تتبَّع.

(٣) البهتان: الكذب والباطل. الهذيان: الكلام بدون تعقل.

(١) اللحن: الألحان. الناس كالألحان منها الجميل ومنها القبيح.

(٢) تلحد: تدفن. يشبه أبناء قومه بالمغارة التي يموت فيها كلُّ لحن جميل ويتلاشى فيها كلُّ صوت يدعو إلى التغيير.

قافية الهاء (★)

أنا أبكيك للحبّ

- 84 - [من مجزوء الرمل]

لَسْتُ يَا أُمْسِيَّ أَبْكِيكَ لِمَجْدٍ أَوْ لِحَاةٍ
سَلَبْتُهُ مِنِّْي الدُّنْيَا، وَبَزَتْنِي رِداة^(١)
فَأَنَا أَحْتَقِرُ الْمَجْدَ وَأَوْهَامَ الْحَيَاةِ

★ ★ ★

أَوْ لَعُمْرٍ، بَلَّغْتَ مِنْهُ اللَّيَالِي مُنْتَهَاهُ
وَتَلَاشْتُ فِي خِصَمِّ الزَّمَنِ الطَّاعِي قِوَاهُ^(٢)
فَأَنَا مَا زِلْتُ فِي فَجْرِ شَبَابِي أَوْ ضُحَاهُ
لَا، وَلَا أَبْكِيكَ يَا أُمْسِي، إِذَا مَا قُلْتُ: «آه»
لِنَعِيمٍ، لَمْ يَنْلُ قَلْبِي مِنْهُ مُشْتَهَاهُ
فَبُئِيَ الْأَيَّامُ فِي الدُّنْيَا كَمَا شَاءَ الْإِلَهُ

★ ★ ★

إِنَّمَا أَبْكِيكَ لِلْحَبِّ، الَّذِي كَانَ بِهِاهُ

(★) اعتبرنا كلّ ما انتهى بالهاء من هذه القافية سولا كانت الهاء رويّاً أم غير رويّ.

(١) بَزَتْنِي: غلبتني.

(٢) الخِصَمُّ: البحر العظيم.

يَمَلَأُ الدُّنْيَا فَنَأْتِي سِرْتُ فِي الدُّنْيَا أَرَاهُ
فَإِذَا مَا لَاحَ فَجَرٌ، كَانَ فِي الْفَجْرِ سَنَاهُ^(٣)
وَإِذَا غَرَدَ طَيْرٌ، كَانَ فِي الشَّدْوِ صَدَاهُ
وَإِذَا مَا ضَاعَ عِطْرٌ، كَانَ فِي الْعِطْرِ شَذَاهُ
وَإِذَا مَا رَفَّ زَهْرٌ، كَانَ فِي الزَّهْرِ صِبَاهُ
فَهُوَ فِي الْكَوْنِ جَمَالٌ، يَمَلَأُ الْأَفْقَ ضِيَاهُ
وَتَوَشَّى هَذِهِ الْأَكْوَانُ بِالسَّحَرِ رُؤَاهُ
وَهُوَ فِي قَلْبِي - الَّذِي عَانَقَهُ الْفَجْرُ - إِلَهُ!
عَبْقَرِيَّ السَّحَرِ، مِمْرَاحٍ وَدِيْعٍ فِي سَمَاهُ^(٤)
يَنْسُجُ الْأَحْلَامَ فِي قَلْبِي بِأَضْوَاءِ الْحَيَاةِ
وَيُغْنِيْنِي، فَأَنْسَى فِي مَسَرَّاتِ غِنَاهُ
كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ حُزْنٍ وَأَفْرَاحٍ، عَدَاهُ

يا ابن أُمِّي

[من المتقارب]

- 85 -

خُلِقْتَ طَلِيقًا كَطَيْفِ النَّسِيمِ، وَحُرًّا كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاهُ^(١)
تُغَرِّدُ كَالطَّيْرِ أَيْنَ انْدَفَعْتَ، وَتَشْدُو بِمَا شَاءَ وَخِي الْإِلَهَ
وَتَمْرَحُ بَيْنَ وُرُودِ الصَّبَاحِ، وَتَنْعَمُ بِالنُّورِ، أَنْتَى تَرَاهُ^(٢)
وَتَمْشِي - كَمَا شِئْتَ - بَيْنَ الْمَرْجِ، وَتَقْطُفُ وَرْدَ الرَّبِيِّ فِي رُبَاهُ

★ ★ ★

(٣) سناه: نوره.

(٤) ممراح: نشيط.

(١) طيف: خيال. يقول: إن الإنسان يولد حرًّا.

(٢) تمرح: تلهو وتلعب.

كذا صَاغَكَ اللهُ، يا ابنَ الوجودِ، وأَلَقْتُكَ فِي الكونِ هَذِي الحَيَاةُ
فَمَا لَكَ تَرْضَى بِذَلِكَ القِيُودِ، وَتَحْنِي لِمَنْ كَبَلُوكَ الجِبَاةُ؟
وَتُسَكِّتُ فِي النَّفْسِ صَوْتَ الحَيَاةِ القَوِيِّ إِذَا مَا تَغْنَى صَدَاةُ؟
وَتُطَبِّقُ أَجْفَانَكَ النَّيِّرَاتِ عَنِ الفَجْرِ، والفَجْرُ عَذْبُ ضِيَاةُ؟
وَتَقْنَعُ بالعِيشِ بَيْنَ الكهوفِ، فَأَيْنَ النَّشِيدُ؟ وَأَيْنَ الإِيَاةُ؟^(٣)
أَتَخْشَى نَشِيدَ السَّمَاءِ الجميلِ؟ أَتَرْهَبُ نُورَ الفَضَا فِي ضَحَاةُ؟
أَلَا انْهَضْ وَسِرْ فِي سَبِيلِ الحَيَاةِ، فَمَنْ نَامَ لَمْ تَنْتَظِرْهُ الحَيَاةُ؟
وَلَا تَخْشَ مِمَّا وَرَاءَ التَّلَاعِ.. فَمَا تَمَّ إِلَّا الضُّحَى فِي صَبَاةُ...
وَالْأَرْبَعُ الوجودِ الغريرِ، يَطْرُزُ بالسُّورِ ضَافِي رِدَاةُ...^(٤)
وَالْأَرْبَعُ الزُّهْرِ الصُّبْحِ، وَرَقْصُ الأشْعَةِ بَيْنَ المِيَاةُ...
وَالْحَمَامُ المَرُوجِ الأَنِيقُ، يَغْرُدُ مُنْطَلِقاً فِي غِنَاةُ...
إِلَى النُّورِ! فَالنُّورُ عَذْبُ جَمِيلٍ، إِلَى النُّورِ فَالنُّورُ ظِلُّ الإِلَهِ

إلى طغاة العالم

- 86 -

[من المتقارب]

أَلَا أَتَاهَا الظَّلَامُ المُسْتَبَدُّ حَبِيبُ الظَّلَامِ، عَدُوُّ الحَيَاةِ
سَخَرْتَ بِأَنَاتِ شَعْبٍ ضَعِيفٍ وَكَفَّكَ مَخْضُوبَةً مِنْ دِمَاةُ^(١)
وَسِرْتَ تُشَوِّهُ سِخَرَ الوجودِ وَتَبْذُرُ شَوْكَ الأَسَى فِي رُبَاةُ

★ ★ ★

رُؤْيُكَ! لَا يَخْدَعُنكَ الرَّيِّعُ وَصَحْوُ الفَضَاءِ، وَضَوْءُ الصَّبَاحِ

(٣) الإيَاة: ربّما كانت جمعاً للفظة «آة». ولم تستعمل «آة» على أنها إسم.

(٤) الغرير: العيش الواسع النَّاعم. الضَّافِي: الرَّدَاء الطَّوِيل.

(١) مخضوبة: مصبوغة، ملطخة.

ففي الأفق الرَّحْبَ هَوْلُ الظَّلَامِ
حَذَارٍ! فَتَحَتَ الرَّمَادِ اللَّهِيْبُ
تَأْمَلْ! هِنَالِكَ.. أَنَّى حَصَدْتَ
وَرَوَيْتَ بِالْدَمِّ قَلْبَ التُّرَابِ
سِجْرُفَكَ السَّيْلُ، سَيْلُ الدَّمَاءِ
وَقَصَفَ الرُّعُودِ، وَعَصَفَ الرِّيَّاحُ
وَمَنْ يَبْذُرِ الشُّوكَ يَجْنِ الْجِرَاحُ
رُؤُوسَ الْوَرَى، وَزَهْوَرَ الْأَمَلُ^(٢)
وَأَشْرَبَتْهُ الدَّمَعَ، حَتَّى ثَمِلَ^(٣)
وَيَأْكُلُكَ الْعَاصِيفُ الْمَشْتَعِلُ

تونسُ الجميلة

[من الخفيف]

- 87 -

لَسْتُ أَبْكِي لِعَسْفٍ لَيْلٍ طَوِيلٍ ،
إِنَّمَا عَبَّرْتَنِي لِخَطْبٍ ثَقِيلٍ ،
كُلَّمَا قَامَ فِي الْبِلَادِ خَطِيبٌ
أَلْبَسُوا رُوحَهُ قَمِيصَ اضْطِهَادٍ
أَخْمَدُوا صَوْتَهُ الْإِلَهِيَّ بِالْعَسْفِ ،
وَتَوَخَّوْا طَرَائِقَ الْعَسْفِ وَالْإِرْ
هَكَذَا الْمُخْلِصُونَ فِي كُلِّ صَوْبٍ
غَيْرَ أَنَا تَنَاوَبْتَنَا الرِّزَايَا
أَوْ لِرَبْعٍ غَدَا الْعَفَاءَ مَرَّاحَةً^(١)
قَدْ عَرَانَا، وَلَمْ نَجِدْ مَنْ أَزَاحَةً^(٢)
مُوقِظَ شَعْبِهِ يُرِيدُ صَلَاحَةً
فَاتِكَ شَائِكَ يَرُدُّ جَمَاحَةً^(٣)
أَمَاتُوا صُدَّاحَهُ وَنُوَاحَةً^(٤)
هَاقَ تَوًّا، وَمَا تَوَخَّوْا سَمَاحَةً^(٥)
رَشَقَاتُ الرَّدَى إِلَيْهِمْ مُتَاحَةً^(٦)
وَأَسْتَبَاحَتْ حِمَانَا أَيَّ اسْتِبَاحَةً^(٧)

(٢) الوري: البشر.

(٣) ثمل: سكر وانتشى.

(١) العسف: الظلم. الربيع: الدار. العفاء: الزوال. المراح: المكان الذي يروح القوم منه أو إليه.

(٢) عبرتي: دمعتي. الخطب: المصيبة. عرانا: أصابنا.

(٣) شائك: صعب. الجماع: التمرّد.

(٤) العسف: الظلم. صداح: غناء وشدو.

(٥) توخى: تعمد. التوّ: القصد.

(٦) متاحة: مقدرة، مهتأة. يريد أن المخلصين هم الضحية دائماً.

(٧) الرزايا: المصائب.

أَنَا يَا تُونُسَ الْجَمِيلَةَ فِي لُجٍّ الْهَوَى قَدْ سَبَحْتُ أَيَّ سَبَاحَةٍ^(٨)
شِرْعَتِي حُبُّكَ الْعَمِيقُ وَإِنِّي قَدْ تَذَوَّقْتُ مُرَّهُ وَقَرَّاحَةً^(٩)
لَسْتُ أَنْصَاعُ لِلْوَاحِي وَلَوْ مُتُّ وَقَامْتُ عَلَى شَبَابِي الْمَنَاحَةِ^(١٠)
لَا أَبَالِي.. وَإِنْ أُرِيقَتْ دِمَائِي فَدِمَاءُ الْعُشَّاقِ دَوْماً مَبَاحَةً
وَيَبْطُولُ الْمَدَى تُرْبُكَ اللَّيَالِي صَادِقَ الْحُبِّ وَالْوَلَا وَسَجَاحَةً^(١١)
إِنَّ ذَا عَصْرٍ ظَلَمَةٍ غَيْرَ أَنِّي مِنْ وَرَاءِ الظَّلَامِ شِمْتُ صَبَاحَةً^(١٢)
ضَيَّعَ الدَّهْرُ مَجْدَ شَعْبِي وَلَكِنْ سَتَرْدُ الْحَيَاةِ يَوْماً وَشَاحَةً

من أغاني الرعاة

— 88 —

حل الشاعر صيفاً بعين دراهم « من الشمال
التونسي » مستشفياً. وهناك فوق الطبيعة
العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة،
والجبال الشم المجللة بالنسديان قضى عهداً
شعرياً، وادعاً، خالصاً للشعر، والسحر
والأحلام. وفي القصيد التالي صورة صغيرة
من صور الحياة بين تلك الجبال، والأودية
والغابات.

[من مجزوء الرّمل]

أَقْبَلَ الصُّبْحُ يُغْنِّي لِلْحَيَاةِ النَّاعِسَةَ
وَالرُّبَى تَحْلُمُ فِي ظِلِّ الْغُصُونِ الْمَائِسَةِ^(١)

(٨) لَج الشيء: معظمه.

(٩) القراح: الخالص من الماء أو من غيره.

(١٠) أنصاع: أطاوع.

(١١) الولا: الولاء. السجّاح: الخلق والطبع.

(١٢) شام: ترقّب وانتظر.

(١) المائسة: المتمايلة.

وَالصَّبَا تَرْقِصُ أَوْرَاقَ الزَّهْوَرِ الْيَابِسَةِ^(٢)
وَتَهَادِي النَّوْرُ فِي تِلْكَ الْفِجَاجِ الدَّامِسَةِ^(٣)

★ ★ ★

أَقْبَلَ الصُّبْحُ جَمِيلاً، يَمْلَأُ الْأَفْقَ بِهَآءِ
فَتَمَطَّى الزَّهْرُ، وَالطَّيْرُ، وَأَمْوَاجُ الْمِيَاهِ^(٤)
قَدْ أَفَاقَ الْعَالَمَ الْحَيَّ، وَغَنَّى لِلْحَيَاةِ
فَأَفِيقِي يَا خِرَافِي، وَهَلِّمِي يَا شِيَاهِ^(٥)

★ ★ ★

وَاتَّبِعِينِي يَا شِيَاهِي، بَيْنَ أُسْرَابِ الطَّيُورِ
وَامْلَأِي الْوَادِي ثُغَاءً، وَمِرَاحاً وَجُبُورَ^(٦)
وَأَسْمَعِي هَمْسَ السَّوَاقِي، وَانْشَقِي عِطَرَ الزَّهْوَرِ
وَانْظُرِي الْوَادِي، يُغَشِّيهِ الضُّبَابُ الْمُسْتَنِيرَ^(٧)

★ ★ ★

وَاقْطُفِي مِنْ كَلَالِ الْأَرْضِ، وَمَرَعَاهَا الْجَدِيدِ^(٨)
وَأَسْمَعِي شَبَابَتِي تَشْدُو، بِمَعْسُولِ النَّشِيدِ^(٩)
نَغْمٌ يَصْعَدُ مِنْ قَلْبِي، كَأَنْفَاسِ الْوُرُودِ

(٢) الصَّبَا: رِيحٌ شَرْقِيَّةٌ نَاعِمَةٌ.

(٣) تَهَادَى: مَشَى عَلَى مَهَلٍ مَتَمَايلاً. الْفِجَاجُ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعَةُ بَيْنَ الْجِبَالِ.

(٤) تَمَطَّى: تَنَاضَبَ.

(٥) الشِّيَاهُ: جَمْعُ شَاةٍ، وَهِيَ الْغَنَمَةُ.

(٦) الثُّغَاءُ: صَوْتُ النَّعْجَةِ. الْمِرَاحُ: الْمَرْحُ وَالْفَرْحُ. الْجُبُورُ: السَّرُورُ.

(٧) يَغَشِّيهِ: يَغْطِيهِ.

(٨) الْكَلَالُ: الْعُشْبُ وَالْمَرْعَى.

(٩) الشَّبَابَةُ: آلَةُ مُوسِيقِيَّةٌ هِيَ «الْمَنْجِيرَةُ».

ثم يَسْمُو طائراً كالبلبلِ الشَّادي السَّعيدُ

★ ★ ★

وإذا جئنا إلى الغابِ، وغطَّانا الشَّجرُ
فاقطُفي ما شئتِ من عُشبٍ، وزَهَرٍ وثَمَرٍ
أرضعتهُ الشَّمسُ بالضوءِ، وغَذَّاهُ القَمَرُ
وارتَوَى من قَطراتِ الطَّلِّ، في وَقْتِ السَّحَرِ^(١٠)

★ ★ ★

وامرَحي ما شئتِ في الوديانِ، أو فوقَ التَّلَالِ
واربضي في ظلِّها الوارفِ، إنْ خِفْتَ الكَلالَ^(١١)
وامضِعي الأعشابِ، والأفكارَ في صَمْتِ الظَّلَالِ
واسمعي الرِّيحَ تُغَنِّي، في شَماريخِ الجِبَالِ^(١٢)

★ ★ ★

إن في الغابِ أزهيراً، وأعشاباً عذاباً
يُنشِدُ التحلُّ حَوائِها، أهازيجاً طِراباً^(١٣)
لم تُدنِّسْ عِطرها الطَّاهِرَ أنفاسُ الذُّبابِ
لا، ولا طافَ بِهَا الثَّعلبُ في بعضِ الصَّحَابِ!

★ ★ ★

وشدّاً حلواً، وسِخْراً، وسلاماً، وظلالاً
ونسيماً ساحرَ الخطوةِ، مَوْفُورَ الدَّلالِ

(١٠) السَّحَرُ: فترة من الليل تسبق الفجر. الطَّل: الندى.

(١١) ربض: أوى ولجأ إلى المكان. الوارف: الممتد الطويل.

(١٢) شماریخ: رؤوس الجبال.

(١٣) الأهازيج: الترانيم والأناشيد.

وَعُصُونَا يَرْقُصُ النُّورُ عَلَيْهَا، وَالْجَمَالَ
وَاخْضَرَاراً أَبَدِيّاً، لَيْسَ تَمَحُّوهُ اللَّيَالُ

★ ★ ★

لَنْ تَمَلِّي، يَا خِرَافِي، فِي حِمَى الْغَابِ الظَّلِيلِ
فَزَمَانُ الْغَابِ طِفْلٌ، لِأَعَبُّ، عَذَبُّ، جَمِيلُ
وَزَمَانُ النَّاسِ شَيْخٌ، عَابَسُ الْوَجْهِ، ثَقِيلُ
يَتَمَشَّى فِي مَلَالٍ، فَوْقَ هَاتِيكَ السَّهُولِ^(١٤)

★ ★ ★

لَكَ فِي الْغَابَاتِ مَرْعَاكَ، وَمَسْعَاكَ الْجَمِيلُ
وَلِيَّ الْإِنْشَادُ، وَالْعَزْفُ إِلَى وَقْتِ الْأَصِيلِ
فَإِذَا طَالَتْ ظِلَالُ الْكَلَالِ الْغَضُّ، الضَّيْلُ^(١٥)
فَهَلُمَّيْ نُرْجِعِ الْمَسْعَى إِلَى الْحَيِّ النَّيْلِ

في فجاج الآلام

[من المجتث]

- 89 -

يَا لَأَبْتَسَامَةِ قَلْبٍ مَطْلُولَةٍ بِدُمُوعِهِ^(١)
غَاضَتْ، فَلَمْ تُبْقِ إِلَّا الدُّمُوعَ بَيْنَ صُدُوعِهِ^(٢)

(١٤) ملال: ضجر. لا ينسى الشاعر أن يقارن بين جمال الطبيعة وصدقها وبين قبح المدينة وما يتحلى به أبنائها من كذب وخداع.

(١٥) الكلال الغض: العشب الندى.

(١) مطلولة: مبتلة.

(٢) غاض: غاب في الأرض وذهب.

فَظَلَّ يَهْتَفُ مِنْ شَجٍّ وَه، وَفَرَطٍ وَلُوعَةٍ^(٣)
 « وَيَحَ الحَيَاةُ! أَمَا تَنْ قَضِي لَدَيْهَا الرِّزَايَا^(٤) »
 « أَمَا يُكَفِّفُ هَذَا الزَّ مَا نَ صَوَّبَ الْبَلَايَا^(٥)! »
 « يَا دَهْرُ! رَفَقَا! فَإِنَّ الْقُدَّ لَوْبَ أُمَسْتُ شَطَايَا »

★ ★ ★

يَا قَلْبُ نَهْنِهْ دُمُوعَ الْأَسَى، وَلَوْعَةً رُوعِكَ
 إِنَّ الدُّهُورَ الْبَوَاكِي غَنِيَّةً عَنِ دُمُوعِكَ
 حَسْبُ الْحَيَاةِ أَسَاهَا فَاطِرِ الْأَسَى فِي صُدُوعِكَ^(٥)
 وَاحْلُمْ بِفَجْرِ اللَّيَالِي...، فَفَجَّرْهَا فِي هُجُوعِكَ^(٦)
 وَإِنْ غَفَوْتَ فَإِنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ تَرُوعُكَ
 وَسَوْفَ يَمْضِي شِتَاءُ الْأَسَى، وَيَأْتِي رَيْعُكَ

★ ★ ★

بَيْنَ الْقُبُورِ فَتَاةٌ جَارَ الزَّمَانُ عَلَيْهَا
 فَاثَتْكَ مِنْهَا بِعُنفٍ كَفَّ الرَّدَى أَبْوِيهَا^(٧)
 تَقُولُ وَاللَّيْلُ سَاجٍ وَالْقَبْرُ مَصْغٍ إِلَيْهَا^(٨)
 « يَا لَيْتَنِي مِتُّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوءَ حَيَاتِي! »
 « وَيَنْضُبَ الدَّمْعُ مِنْ لَوْعَتِي، وَمِنْ حَسَرَاتِي! »
 « مَنْ لِي بِحُفْرَةِ قَبْرِ تَضْمَنِي وَشَكَاتِي! »^(٩)

(٣) فرط : زيادة .

(٤) الرِّزَايَا : المصائب . يتألم من الحياة لأن فواجعها مستمرة لا تنقطع .

(٥) الصَّدُوعُ : الشقوق في الشيء الصلب .

(٦) الهجوع : التروم .

(٧) افتك الشيء : فتك به واقتصر منه .

(٨) السَّاجِي : اسم الفاعل من سجا بمعنى غطى .

(٩) الشَّكَاةُ : الشكوى .

فِي الْحَيِّ صَبٌّ يَعَانِي فِي الصَّدْرِ دَاءٌ دَفِينَا
 وَفِي الْفُؤَادِ جَوَى كَا مِنَّا وَحِشًا مَكِينَا
 حَتَّى دَهْتَهُ اللَّيَالِي وَجَرَعَتْهُ مَنُونَةُ
 فَشَيَّعَ الْمَيِّتَ جَمْعٌ مِنْ حَيٍّ، يَنْدُبُونَهُ
 حَتَّى إِذَا مَا أَرَادُوا رَصَفَ الصَّفَائِحِ دُونَهُ (١٠)
 نَاحَتْ عَلَيْهِ فَتَاةٌ: «وَيْلِي، لِمَنْ تَتْرَكُونَهُ!»
 كَانَ الصَّبِيُّ يَصِيدُ الْفَرَّاشَ بَيْنَ الزُّهُورِ
 فَدَاسَ زَهْرًا نَدِيًّا أَلْقَى بِهِ فِي الْغَدِيرِ
 فَأَخْرَجُوهُ، وَلَكِنْ بَعْدَ الْقَضَاءِ الْآخِرِ...
 فَخَرَّتِ الْأُمُّ حَوْلَ الصَّبِيِّ، تَصْرُخُ: «وَيْلِي،
 فَقُلْتُ - وَالْقَلْبُ دَامَ وَالنَّاسُ يَبْكُونَ حَوْلِي -:
 «مَا أَسْخَفَ الْعَيْشَ تَقْضِي عَلَيْهِ زَلَّةٌ نَعْلٍ!»



شَيْخٌ، شَاهَ دَهْرُ الْأَسَى، وَحِيدٌ شَتِيْتُ (١١)
 بَيْنَ الْخَرَائِبِ يُمَسِّي عَلَى الطَّوَى، وَيَبِيتُ (١٢)
 فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ فَاضْتَتْ عَلَى الْوُجُودِ حَيَاتُهُ
 وَطَرْفُهُ يَرْمُقُ النَّجْمَ مِلْؤُهُ عَبْرَاتُهُ
 وَمَا حَوَالِيهِ إِلَّا الْخَرَابُ يُشْجِي صُمَاتِهِ (١٣)
 فَمَا بَكَاهُ فَتَاهُ وَلَا بَكَتْهُ فَتَاتُهُ
 يَا زَهْرَةَ سَامَهَا الْعَابِرُونَ خَسَفًا وَهُونًا! (١٤)

(١٠) الصَّفَائِح: حجارة توضع فوق قبر الميت.

(١١) شَاه: سبقه.

(١٢) الطَّوَى: الجوع.

(١٣) الصَّمَات: الصمت.

(١٤) سَام: أذل.

لو كنتِ شوكاً عَضُوضاً ما داسَكَ العَابِرُونَ
لأنهم يجهلون الوَحْيَ الذي تُضمّرِينا
هُم يَسْخَرُونَ بِهَمْسِ الزُّهُورِ، وَهُوَ بِسَدِيعِ!
وَيُنصِتُونَ لِصَوْتِ الْأَشْوَاكِ، وَهُوَ مُرِيعُ!
فلا تُبَالِي بِقُومِ الْحَقِّ فِيهِمْ صَرِيعُ
رَبَّاه! كَمْ مِنْ فِتَاةٍ، تَشْكُو الْحَيَاةَ وَتَبْكِي،
وَمُعْدَمٍ، بِوَأْتِهِ الدُّهُورُ مَقْعَدَ ضَنْكِ^(١٥)
وَيَأْتِسِ مَاتَ فِي لُبِّهِ الْمَرَامُ الْوَحِيدُ
وتَائِهٍ، ضَاعَ بَيْنَ الْقِفَارِ، وَهُوَ فَارِدُ
حَتَّى طَوْنُهُ مِنَ الْعَاصِفَاتِ رِيحٌ شَرُودُ
رَبَّاه! رُحْمَاكَ إِنَّ الزَّمَانَ فَضٌّ شَدِيدُ^(١٦)



يا طَائِرَ الشَّعْرِ! رَوِّحْ عَلَى الْحَيَاةِ الْكَثِيرَةِ
وَامْسَحْ بِرِيشِكَ دَمْعَ الْقُلُوبِ فَهِيَ غَرِيبَةٌ
وَعَزَّهَا عَنْ أَسَاهَا فَقَدْ دَهَنَهَا الْمُصِيبَةُ
وَأَنْتَ رُوحٌ جَمِيلٌ، بَيْنَ الْهَضَابِ الْجَدِيدَةِ^(١٧)
فَانفِخْ بِهَا مِنْ لَهَيْبِ السَّمَاءِ رُوحاً خَضِيئَةً^(١٨)
وَابْعَثْ بِسُحْرِكَ فِي قَلْبِهَا ضُرَامَ الشَّيْبَةِ

(١٥) بوأته: أنزلته، أحلته.

(١٦) فَضٌّ: يُفَرِّقُ.

(١٧) الجديدة: الجرداء القاحلة.

(١٨) خَضِيئَة: مصبوغة.

جدول الحب بين الأمس واليوم

- 90 - [من مجزوء الكامل]

بِالْأَمْسِ قَدْ كَانَتْ حَيَاتِي كَالسَّمَاءِ الْبَاسِمَةِ
وَالْيَوْمِ، قَدْ أُمَسْتُ كَأَعْمَاقِ الْكُھُوفِ الْوَاجِمَةِ^(١)
قَدْ كَانَ لِي مَا بَيْنَ أَحْلَامِي الْجَمِيلَةِ جَدُولُ
يَجْرِي بِهِ مَاءُ الْمَحَبَّةِ طَاهِرًا يَتَسَلَّلُ
تَسْعَى بِهِ الْأَمْوَاجُ بِاسِمَةِ كَأَحْلَامِ الصَّبَا
بَيْضَاءَ، نَاصِعَةً ضُحُوكًا مِثْلَ أَزْهَارِ الرَّبَى
مِيَّاسَةً كَعَرَائِسِ الْفِرْدَوْسِ بَيْنَ حُقُولِهِ^(٢)
تَتَلَوُ أَنْشِيدَ الْمُنَى فِي مَدَّةٍ وَقُفُولِهِ^(٣)

★ ★ ★

هُوَ جَدُولُ الْحُبِّ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي الْخَضِيلُ^(٤)
بِمَرَاشِفِ الْأَحْلَامِ مُنْطَلِقًا، يَسِيرُ عَلَى مَهَلٍ^(٥)
يَتَلَوُ عَلَى سَمْعِي أَغَارِيدَ الْحَيَاةِ الطَّاهِرَةِ
وَيُثِيرُ فِي قَلْبِي أَنْشِيدَ الْخُلُودِ السَّاحِرَةِ
تَقِفُ الْعَذَارَى الْخَالِدَاتُ... عَرَائِسُ الشَّعْرِ الْبَدِيعِ
فِي ضَفَّتَيْهِ، مُرَدَّدَاتٍ نَغْمَةَ الْحُلُمِ الْوَدِيعِ

(١) الواجمة: الصامتة خوفًا أو حزنًا.

(٢) ميَّاسة: تختال في مشيتها. الفردوس: الجنة.

(٣) القفول: الرجوع.

(٤) الخضل: الندي، المبتل.

(٥) مراشف: جمع مرشف، وهو ما يمتص به الماء.

يَلْمُسْنَ مِنْ قِيْشَارَةِ الْأَخْلَامِ أَوْتَارَ الْغَزْلِ
فَتَفِيضُ أَلْحَانُ الصَّبَابَةِ عَذْبَةً، مِثْلَ الْأَمَلِ^(٦)
وَتَطِيرُ بِالْبَسَمَاتِ وَالْأَنْغَامِ أَجْنَحَةَ الصَّدى
فِي ذَلِكَ الْأَفْقِ الْجَمِيلِ، وَذَلِكَ النَّسَمِ الرَّخَا^(٧)
وَهُنَاكَ حَيْثُ تُعَانِقُ الْبَسَمَاتُ أَنْغَامَ الْغَزْلِ
يَتَمَايَلُ الْحُلْمُ الْجَمِيلُ... كَبَسْمَةِ الْقَلْبِ الثَّمَلِ^(٨)



هُوَ جَدُولٌ، قَدْ فَجَّرَتْ يَنْبوعَهُ فِي مَهَجَتِي
أَجْفَانُ فَاتِنَةٍ أَرْتَنِهَا الْحَيَاةُ لِشَقْوَتِي
أَجْفَانُ فَاتِنَةٍ تَرَاءَتْ لِي عَلَى فَجْرِ الشَّبَابِ
كَعُرُوسَةٍ مِنْ غَانِيَاتِ الشَّعْرِ، فِي شَفَقِ السَّحَابِ
ثُمَّ اخْتَفَتْ خَلْفَ السَّمَاءِ، وَرَاءَ هَاتِيكَ الْيَوْمِ
حَيْثُ الْعَذَارَى الْخَالِدَاتُ، يَمْسُنَ مَا بَيْنَ النُّجُومِ^(٩)
ثُمَّ اخْتَفَتْ أَوَاهٍ! طَائِرَةٌ بِأَجْنَحَةِ الْمُنُونِ^(١٠)
نَحْوَ السَّمَاءِ، وَهَذَا أَنَا فِي الْأَرْضِ تَمَثَّلَ الشَّجُونِ^(١١)
قَدْ كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْأَمْسِ! بِالْأَمْسِ الْبَعِيدِ...
وَالْأَمْسُ قَدْ جَرَفْتَهُ مَقْهُورًا يَدُ الْمَوْتِ الْعَتِيدِ
قَدْ كَانَ ذَلِكَ تَحْتَ ظِلِّ الْأَمْسِ، وَالْمَاضِي الْجَمِيلِ

(٦) الصَّبَابَةُ: الحبُّ والشَّوق.

(٧) الرَّخَا: الرِّخَاءُ مخففة، وهي الرِّيح اللَّيْنَةُ.

(٨) الثَّمَلُ: السَّكران، النَّشوان: يذكر في هذه الأبيات حبُّه القديم ويتحسّر على حبيبهِ الذي غاب عن عَيْنِهِ.

(٩) يَمْسُنُ: يَخْتَلِنُ فِي مَشِيَّتِهِ.

(١٠) المُنُون: الموت.

(١١) الشَّجون: الْأَحْزَانُ.

قَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي شُعَاعِ الْبَدْرِ مِنْ قَبْلِ الْأَقُولِ
وَالْيَوْمِ إِذْ زَالَتْ ظِلَالُ الْأَمْسِ عَنْ زَهْرِي الْبَدِيعِ
وَتَجَلَّبَبَ الزَّهْرُ الْجَمِيلُ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْمُرِيعِ^(١٢)
ذَبَلْتُ مَرَّاشِفُهُ، فَأَصْبَحَ ذَاوِيَا، نِضْوِ الْكُلُومِ^(١٣)
وَهَوَى لَأَنَّ اللَّيْلَ أَسْمَعَهُ أَنْشِيدَ الْوُجُومِ...^(١٤)



بِالْأَمْسِ قَدْ كَانَتْ حَيَاتِي كَالسَّمَاءِ الْبَاسِمَةِ
وَالْيَوْمِ قَدْ أَمَسَتْ كَأَعْمَاقِ الْكُهُوفِ الْوَاجِمَةِ
إِذْ أَصْبَحَ النَّبْعُ الْجَمِيعُ يَسِيرُ فِي وَادِي الْأَلَمِ
مُتَعَثِّرًا بَيْنَ الصُّخُورِ، يَغُورُ فِي تِلْكَ الظُّلُمِ
جَقَّتْ بِهِ أَمْوَاجُ ذِيَاكَ الْغَرَامِ الْآفِلِ^(١٥)
فَتَدَفَّقَتْ فِيهِ الدُّمُوعُ بِصَوْبِهَا الْمُتَهَاطِلِ^(١٦)
قَدْ حَجَبَتْهُ غُيُومُ أَحْزَانِ الْوُجُودِ الْقَاتِمَةِ^(١٧)
قَدْ أَخْرَسَتْهُ مَرَارَةُ الْقَلْبِ التَّعِيسِ الظَّالِمَةِ
جَمَدَتْ عَلَى شَفَتَيْهِ أَنْغَامُ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى^(١٨)
وَقَضَّتْ أَعْغَانِي الْحُبِّ، فِي أَعْمَاقِهِ لَمَّا هَوَى
وَعَدَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ، جَامِدَةً الْمَلَامِيحِ، قَاتِمَةً
قَدْ أَسْكَنْتَهَا لَوْعَةُ الرُّوحِ الْحَزِينِ الْوَاجِمَةِ

(١٢) تجلبب: لبس الثوب أو القميص.

(١٣) المرافف: ما يُمتصّ به من الإناء. النضو: الضعيف المهزول. الكلوم: الجراح.

(١٤) الوجوم: العبوس والقطوب. يبكي حبه الضائع.

(١٥) الآفل: العائد، الرجوع.

(١٦) الصّوب: المطر الذي لا يؤذي.

(١٧) القاتمة: السوداء.

(١٨) الصبابة: شدة الشوق.

غَاضَتْ أَمَانِيَهَا، وَغَارَ بِهَا الْجَمَالُ السَّاحِرُ
فَأَصَابَهَا - لَهْفًا عَلَيْهِ - الْإِكْتِثَابُ الْكَافِرُ
فِي ضَفَّتِيهِ عِرَائِسُ الْأَشْعَارِ تَنْصُبُ مَأْتَمَا
يُهْرُقْنَ فِيهِ الدَّمَعَ، حَتَّى يَلْطُمَ الدَّمَعُ الدَّمَ
فَيَسِيلُ ذَاكَ الْمَدْمَعُ الدَّامِي لِقَلْبِ الْجَدُولِ
حَيْثُ الْمَرَارَةُ، وَالْأَسَى، بَيْنَ الزُّهُورِ الذُّبُلِ (١٩)
وَيَنْحَنَ حَتَّى يُفْعِمَ الْأَفَاقَ صَوْتَ الْإِنْتِحَابِ (٢٠)
فَتَسِيرُ أَصْدَاءُ النَّيَاحَةِ نَحْوَ أَطْبَاقِ الضَّبَابِ
وَهَنَّاكَ مَا بَيْنَ الضَّبَابِ الْأَقْتَمِ السَّاجِي الْكُئِيبِ (٢١)
تَهْتَزُّ آلَامِي، وَتَخْتَلِجُ الْكَابَةَ، بِالنَّحِيبِ

السَّاحِرَةُ

- 91 -

[من الخفيف]

راعها منه صَمْتُهُ وَوَجُومُهُ وشجاها شُحُوبُهُ وَسُهُومُهُ (١)
فَأَمَرَتْ كَفًّا عَلَى شَعْرِهِ الْعَا ري برفقٍ ، كأنَّهَا سُنَيْمُهُ (٢)
وَأَطَلَتْ بِوَجْهِهَا الْبَاسِمِ الْحُلَا سوِ على خَدِّهِ وَقَالَتْ تَلُومُهُ:
« أَيُّهَا الطَّائِرُ الْكُئِيبُ تَغَرَّدْ إِنَّ شَدَوَ الطَّيُورِ حَلَوُ رَخِيمُهُ » (٣)

(١٩) الذَّبَلُ: الذَّابِلَةُ.

(٢٠) أَفْعَمَ: مَلَأَ.

(٢١) السَّاجِي: السَّاكِنُ، الْفَاتِرُ: يَقُولُ: إِنَّ آلَامَهُ قَدْ تَحَوَّلَتْ مِنْ كَاتِبَةٍ إِلَى نَحِيبٍ وَبَكَاءٍ لِأَنَّ الْأَيَّامَ الَّتِي تَمَرُّ تَزِيدُ مَأْسَاتَهُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ.

(١) السُّهُومُ: تَغْيِيرُ اللَّوْنِ مِنْ ضَعْفٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ ذَهْوٍ.

(٢) سُنَيْمُهُ: سَتَجْعَلُهُ يَنَامُ.

(٣) الرَّخِيمُ: التَّرْنِيمُ الْعَذْبُ.

« وأَجْبَنِي فِدَتَكَ نَفْسِي - ماذا؟
 « بل هو الفنُّ واكتئابه، والفنَّـ
 « أبداً يحملُ الوجودَ بما فيه
 « خلَّ عبءَ الحياةِ عنكَ، وهَيَّا
 « فَكَثِيرٌ عَلَيْكَ أَنْ تَحْمِلَ الدَّنْـ
 « والوجودُ العظيمُ أَقْعِدَ في الما
 « وامشِ في روضةِ الشَّبابِ طَرِوباً
 « واتلُ للحُبِّ والحياةِ أَغَانِيـ
 « واحتضني، فَإِنِّي لَكَ، حَتَّى
 « وَدَعَ الحُبِّ يُنْشِدُ الشَّعْرَ لِلْيـ
 « واقطفِ الورْدَ من خدودي، وَجِدي
 « إِنْ لِلْبَيْتِ لِهَوًى، النَّاعِمَ الحلوَ
 « وارْتَشِفْ مِنْ فَمِي الأناشيدَ سَكْرَى،
 « وانسَ فِي الحياةِ...، فالعمرُ قَفْرٌ،
 « وارْمِ لِلَّيْلِ، والضَّبَابِ بَعِيداً
 « فالهوى، والشَّبابِ والمرحُ المعـ
 « هي فنُّ الحياةِ، يا شاعري الفنَّا
 « تلكِ يا فيلسوفُ، فلسفةُ الكوْ
 « وَهِيَ انجيلي الجَمِيلُ، فَصَدِّقْـ
 « فرماها بنظرةٍ، غَشِيَتْهَا

أَمْصَابٌ؟ أَمْ ذَاكَ أَمْرٌ تَرُومُهُ؟
 « انْ جَمَّ أَحْزَانُهُ وَهَمُّومُهُ
 « هَ كَأَنَّ لَيْسَ لِلْوُجُودِ زَعِيمُهُ:»
 « بِمَحْيَا، كَالصُّبْحِ، طَلَّقِ أَدِيمُهُ
 « سِيا وَتَمْشِي بِوَقْرِهَا لَا تَرِيمُهُ»^(٤)
 « ضَيِّ وَمَا أَنْتَ رَبُّهُ فَتَقِيمُهُ
 « فَحوَالِيكَ وَرَدُّهُ وَكُرومُهُ
 « لَكَ وَخَلَّ الشَّقَاءُ تَدْمَى كُلُّومُهُ
 « يَتَوَارَى هَذَا الدُّجَى وَنَجُومُهُ
 « لَ، فَكَمْ يُسَكِّرُ الظَّلَامَ رَبِّيمُهُ...»^(٥)
 « وَتُهُودِي...، وَافْعَلْ بِهِ مَا تَرُومُهُ
 « وَلِلْكَوْنِ حَرْبُهُ وَهَمُّومُهُ
 « فَالهُوَى سَاحِرُ الدَّلَالِ، وَسِيمُهُ»^(٦)
 « مَرَعِبٌ إِنْ ذَوَى وَجَفَّ نَعِيمُهُ
 « فَتَنُّكَ الْعَابِسَ، الْكَثِيرَ وَجُومُهُ
 « سَوَلُ تَشْدُو أَفْنَانُهُ وَتَسِيمُهُ»^(٧)
 « نَ بَلْ لُبُّ فَتْهََا وَصَمِيمُهُ
 « نَ، وَوَحْيُ الْوُجُودِ هَذَا قَدِيمُهُ
 « هَ وَإِلَّا...، فَلِلْغَرَامِ جَحِيمُهُ...
 « سَكْرَةُ الحُبِّ، وَالْأَسَى وَغِيومُهُ

(٤) الوقْر: الحمل الثقيل. تريمه: تميل به.

(٥) الرِّيم: إرجاع الصَّوت والطَّرب.

(٦) الارتشاف: الامتصاص.

(٧) الأفنان: الغصون.

وتلاها بِسْمَةٍ، رَشَفَتْهَا
 والتقت عندها الشَّاهُ،، وَغَنَّتْ
 مَا تَرِيدُ الْهُمُومُ مِنْ عَالَمٍ، ضَا

منهُ سَكْرَانَةُ الشَّبَابِ، رُؤُومُهُ^(٨)
 قَبْلُ، أَجْفَلْتُ لَدَيْهَا هُمُومُهُ
 عَاتِ مَسَرَّاتِهِ، وَغَنَّتْ نَجُومُهُ؟

★ ★ ★

لَيْلَةُ أُسْبَلِ الْغَرَامُ عَلَيْهَا
 وَتَغَنَّى فِي ظِلِّهَا الْفَرْحُ اللَّأ
 أَغْرَقَ الْفَيْلَسُوفُ فِلَسْفَةَ الْأَحْـ

سِحْرُهُ النَّاعِمَ الطَّرِيرَ نَعِيمُهُ^(٩)
 هِيَ فَجَفَّ الْأَسَى وَخَرَّ هَشِيمُهُ
 زَانٍ فِي بَحْرِهَا...، فَمَنْ ذَا يَلُومُهُ

★ ★ ★

إِنَّ فِي الْمَرَاةِ الْجَمِيلَةِ سِحْرًا
 عَبْقَرِيًّا، يُذَكِّي الْأَسَى، وَيُنِيمُهُ

أبناء الشَّيْطَان

— 92 —

[من الخفيف]

أَيُّ نَاسٍ هَذَا الْوَرَى؟ مَا أَرَى
 جَبَلَتْهَا الْحَيَاةُ فِي ثَوْرَةِ الْيَأْ
 فَأَقَامَتْ لَهُ الْمَعَابِدَ، فِي الْكُـ

إِلَّا بِرَايَا، شَقِيَّةً، مَجْنُونَةً
 سِ مِنْ الشَّرِّ، كَيْ تُجِنَّ جُنُونَهُ
 نِ، وَصَلَّتْ لَهُ وَشَادَتْ حُصُونَهُ

★ ★ ★

كَمْ فَتَاةٍ، جَمِيلَةٍ، مَدَحُوهَا
 فَبَاذَا صَانَتِ الْفَضِيلَةَ عَابُـ

وَتَغَنَّوْا بِهَا لَكِي يُسْقِطُوهَا
 هَا، وَإِنْ بَاعَتِ الْخَنَا عَبْدُوهَا^(١)

(٨) الرُّؤُومُ: العطف والالتزام.

(٩) أُسْبَلُ: أُرْسِلَ، أُرْخِيَ.

(١) الْخَنَا: الْفَحْشُ.

ضَ، لِيَغْوَى أُنْبَاؤُهَا وَذَوُوهَا
سَدِي لِيَحْيَا، فَخَيَّوْهُ احْتَقَلُوا
عَلَى النَّاسِ فَاتَكَا جَبَّارَا
- حَيْثَا حَلَّ - فِي الْجَوَانِحِ نَارَا

أَصْبَحَ الْحَسَنُ لَعْنَةً، تَهْبِطُ الْأَرْ
وَشَقِيٌّ، طَافَ الْمَدِينَةَ، يَسْتَجْ—
أَيَقْظُوا فِيهِ نَزْعَةَ الشَّرِّ، فَاَنْقَضَ
يَبْذُرُ الرَّعْبَ فِي الْقُلُوبِ، وَيُذَكِّي

★ ★ ★

فَكَالُوا لَهُ الشَّتَائِمَ كَيْلًا^(٢)
رُ بِرُوحِ الْخَبِيثِ أُخْرَى وَأَوَّلَى «
يَمْلَأُونَ الْوُجُودَ رُعْبًا وَهَوْلًا

وَنَبِيٍّ قَدْ جَاءَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ،
وَتَنَادَوْا بِهِ: «إِلَى النَّارِ! فَالْنَا
ثُمَّ أَلْقَوْهُ فِي اللَّهْيَبِ، وَظَلَّلُوا

★ ★ ★

فِي جَحِيمِ الْآلَامِ عَامًا فَعَامًا
آلَامَهَا السُّودِ لَذَّةً وَمُدَامًا^(٣)
خُلِقَتْ فِي الْوُجُودِ إِلَّا طَعَامًا!^(٤)

وَشُعُوبٍ ضَعِيفَةٍ، تَتَلَذَّطُ
وَالْقَوِيُّ الظَّلْمُومُ يَعْصِرُ مِنْ
يَتَحَسَّاهُ ضَاحِكًا...، لَا يَرَاهَا

★ ★ ★

فَأَلْفَيْتَ قَلْبَهَا مَاخُورًا!^(٥)
رِ قَلْبًا مَدْبَسًا شَرِيرًا!^(٦)
ظَنَّ فِي نَفْسِهِ إِلَهًا صَغِيرًا!

وَفَتَاةٍ حَسَبَتْهَا مَعْبَدَ الْحَبِّ،
وَنَبِيلٍ وَجَدَتْهُ فِي ضِيَاءِ الْفَجْرِ
وَزَعِيمٍ أَجَلَّهُ النَّسَاسُ حَتَّى

★ ★ ★

مَاءً، لِيُعْلِيَ بَيْنَ الْخَرَابِ بِنَاءً

وَخَبِيثٍ، يَعِيشُ كَالْفَاسِ، هَذَا

(٢) كَال: وزن، أَعَدَّ الْمَكْيَالِ، وَهَذَا بِمَعْنَى وَجْهٍ.

(٣) الْمُدَامُ: الْخَمْرَةُ.

(٤) يَتَحَسَّاهُ: يَتَجَرَّعُهُ، يَشْرِبُهُ.

(٥) الْمَاخُورُ: بَيْتُ الدَّعَاةِ.

(٦) مَدْبَسًا: حُلُوءًا.

وقمىء، يُطاولُ الجبلَ العا
لي، فلله ما أشدَّ غَبَاءَهُ! (٧)
ودنىء، تاريخُهُ في سِجِلِّ
الشَّرِّ: إِفْكٌ، وَقِحَةٌ، وَدَنَاءَةٌ! (٨)

★ ★ ★

كان ظنِّي أَنَّ النُّفوسَ كِبَارًا
فوجدتُ النُّفوسَ شيئاً حقيراً
لَوَثَّتْهُ الحَيَاةُ ثُمَّ استمرَّتْ
تبذرُ العَالَمَ العَرِيضَ شُروراً
فاحصدوا الشُّوكَ... يا بنيتها وضجُّوا
وأملاؤا الأرضَ والسَّمَاءَ حُبوراً

في ظلّ وادي الموت

[من الخفيف]

- 93 -

نحنُ نمشي، وحوَلْنَا هاتِهِ الأَكْـ
نحنُ نشدو مع العَصَافِيرِ لِلشَّمْـ
نحنُ نَتَلَوُ رِوَايَةَ الكونِ للمو
هكذا قلتُ للريّاحِ فَقَالَتْ:
وتغشى الضَّبَابُ نفسي، فصاحتُ
قلتُ: «سيري مع الحياة..» فقالتُ:
فَتَهَافَتُ كَالهَشِيمِ - على الأر
هاتِهِ، علّني أخطُ ضريحي

«وأنْ تمشي...، لكنْ لَأَيَّةِ غَايَةٍ؟
س، وهذا الرِّبْعُ ينفُخُ نَايَةً
تِ وَلَكِنْ مَاذَا خَتَامُ الرِّوَايَةِ
«سَلْ ضَمِيرَ الوُجُودِ: كيفَ البَدَايَةُ؟» (١)
في مَلَالٍ، مُرٌّ: «إلى أينَ أمشي؟»
«ما جنينا، تُرى، من السَّيْرِ أَمْسِ؟»
ضِ وَنَادَيْتُ: أَيْنَ يَا قَلْبُ رَفْشِي؟ (٢)
«في سكونِ الدَّجَى وأدْفُنْ نفسي» (٣)

★ ★ ★

(٧) القمىء: الذليل.

(٨) الإفك: الكذب.

(١) يتساءل الشاعر ما جدوى هذه الحياة، وما هي الغاية التي تسعى إليها الكواكب في دورانها والربيع في إطلالته. أمّا الرياح فقد دعت الشاعر إلى العودة إلى بدء الرواية.

(٢) الهشيم: الضعيف، المكسور.

(٣) الدجى: الغلام.

هَاتِيهِ فَالظَّلَامُ حَوْلِي كَثِيفٌ
وَكُؤُوسُ الْغَرَامِ أَتْرَعَهَا الْفَجْـ
وَالشَّبَابُ الْغَرِيرُ وَلَّى إِلَى الْمَا
هَاتِهِ، يَا فَوَادُ إِنَّا غَرِيبَا
وَضَبَابُ الْأَسَى مُنِخٌ عَلَيَّا...^(٤)
رُ، وَلَكِنْ تَحَطَّمَتْ فِي يَدَيَّا...^(٥)
ضِي وَخَلَّى النَّحِيبَ فِي شَفَتَيَّا،
نِ، نَصُوعُ الْحَيَاةِ فَنَّا شَجِيَا...

★ ★ ★

قَدْ رَقَصْنَا مَعَ الْحَيَاةِ طَوِيلًا
وَعَدَوْنَا مَعَ اللَّيَالِي حُفَاةً
وَأَكَلْنَا التَّرَابَ حَتَّى مَلَلْنَا
وَنَثَرْنَا الْأَحْلَامَ وَالْحَبَّ وَالْآلَا
وَشَدَوْنَا مَعَ الشَّبَابِ سَنِينَا
« فِي شِعَابِ الْحَيَاةِ حَتَّى دَمِينَا
« وَشَرَبْنَا الدَّمُوعَ، حَتَّى رَوِينَا
مَ وَالْيَأْسَ، وَالْأَسَى، حَيْثُ شِينَا

★ ★ ★

ثُمَّ مَاذَا؟ هَذَا أَنَا: صَرْتُ فِي الدُّنَى
فِي ظِلَامِ الْفَنَاءِ، أَدْفُنْ أَيْيَا
وَزَهْوَرُ الْحَيَاةِ تَهْوِي، بِصَمْتٍ
جَفَّ سِحْرُ الْحَيَاةِ، يَا قَلْبِي الْبَا
يَا بَعِيدًا عَنْ لَهْوَهَا وَغِنَاهَا
مِي، وَلَا أَسْتَطِيعُ حَتَّى بَكَاهَا؟^(٦)
« مُحْزَنٌ، مُضْجِرٌّ، عَلَى قَدَمِيَّا،
كِي، « فَهَيَّا، نُجَرِّبِ الْمَوْتَ...، هَيَّا...^(٧)

(٤) منيخ: هنا بمعنى مخيم، والأصل بَرَكَ وأقام.

(٥) أترعها: ملأها.

(٦) بكأها: بكأها.

(٧) في الأبيات الأخيرة اعتراف بأن الموت هو المدخل الحقيقي لمعرفة سرّ هذا الكون الرهيب لأن أيام الطفولة، والشباب وما تحمله من ذكريات عذبة ليست سوى حلم سريع.

الزنبقة الدّاوية

- 94 -

[من المتقارب]

أَزْنَبَقَةُ السَّفْحِ ؟ مَا لِي أَرَاكَ
أَفِي قَلْبِكَ الْغَضُّ صَوْتُ اللَّهْيَبِ ،
أَأَسْمَعُكَ اللَّيْلُ نَدْبَ الْقُلُوبِ
أَصَبَّ عَلَيْكَ شَعَاعُ الْغُرُوبِ
أَأَوْقَفُكَ الدَّهْرُ حَيْثُ يُفْجَدُ
وَيَنْبُثُ اللَّيْلُ طَيْفًا ، كَثِيبًا
إِذَا أَضْجَرَّتْكَ أَغَانِي الظَّلَامِ
وَأِنْ هَجَرَتْكَ بَنَاتُ الْغَيُومِ
وَأِنْ سَكَبَ الدَّهْرُ فِي مِسْمَعِيكَ
فَقَدْ أَجَّجَ الدَّهْرُ فِي مَهْجَتِي
وَأِنْ أَرَشَفْتُكَ شِفَاهُ الْحَيَاةِ
فَأِنِّي تَجَرَّعْتُ مِنْ كَفِّهَا

تَعَانَيْتُكَ اللَّوْعَةُ الْقَاسِيَةُ ؟
يَرْتَلُّ أَنْشُودَةَ الْهَآوِيَةِ ؟^(١)
أَأَرَشَفُكَ الْفَجْرُ كَأْسَ الْأُسَى ؟^(٢)
نَجِيعَ الْحَيَاةِ ، وَدَمَعَ الْمَسَا
رُ نَوْحِ الْحَيَاةِ صُدُوعَ الصَّدُورِ ؟^(٣)
رَهِيبًا ، وَيَخْفِقُ حُزْنَ الدَّهْوَرِ ؟
فَقَدْ عَذَّبْتَنِي أَغَانِي الْوُجُومِ^(٤)
فَقَدْ عَانَقْتَنِي بَنَاتُ الْجَحِيمِ^(٥)
نَجِيبَ الدُّجَى ، وَأُنِينَ الْأَمَلِ
شَوَاطِئَ مِنَ الْحُزَنِ الْمُشْتَعِلِ^(٦)
رُضَابَ الْأُسَى ، وَرَحِيقَ الْأَلَمِ^(٧)
كُؤُوسًا ، مُؤَجَّجَةً ، تَضْطَرِمُ^(٨)

★ ★ ★

أَصِيخِي ! فَمَا تَيْنَ أَعْشَارِ قَلْبِي يَرِفُ صَدَى نَوْحِكَ الْخَافِتِ^(٩)

(١) الغض : الناعم ، الطري .

(٢) أرشف : سقى ، ورشف : مصّ بشفتيه .

(٣) صدوع الصدور : ما بداخلها من أسرار .

(٤) الوجوم : الامتناع عن الكلام من شدة الحزن أو غيره .

(٥) بنات الغيوم : كناية عن الأمطار .

(٦) أجج : ألهب . شواط : لهب لا دخان فيه .

(٧) أرشفتك : سقتك . رضاب : ريق الحبيب . رحيق : خمر صافية .

(٨) مؤججة : ملتهبة .

(٩) أصاخ : استمع . العشر : القطعة من كل شيء .

مُعِيداً عَلَى مُهْجَتِي بِحَفِيفٍ
وَقَدْ أَتَرَعُ اللَّيْلُ بِالْحُبِّ كَأَسِي
وَجَرَعَنِي مِنْ ثُمَالَاتِهِ
إِلَيَّ! فَقَدْ وَحَدَتْ بَيْنَنَا
فَقَدْ فَجَّرَتْ فِيَّ هَذَا الْكُلُومَ
كَمَا فَجَّرَتْ فِيكَ تِلْكَ الْكُلُومَ^(١٠)
وَشَعَّعَهَا بِلَهَيْبِ الْحَيَاةِ^(١١)
مِرَارَةً حُزْنَ، تُذِيبُ الصَّفَاةَ^(١٢)
قَسَاوَةً هَذَا الزَّمَانِ الظَّلُومَ
كَمَا فَجَّرَتْ فِيكَ تِلْكَ الْكُلُومَ^(١٣)



وإنْ جَرَفْتَنِي أَكْفُ الْمُنُونِ
فَحُزْنِي وَحُزْنُكَ لَا يَبْرَحَانِ
وَتَحْتَ رَوَاقِ الظَّلَامِ الْكَيْبِ
سَيُسْمَعُ صَوْتُ، كَلْحَنِ شَجِيٍّ
يُرَدِّدُهُ حُزْنُنَا فِي سَكُونِ
فَنَرُقْدُ تَحْتَ التُّرَابِ الْأَصَمِّ
إِلَى اللَّحْدِ، سَحَقْتُكَ الْخَطُوبُ
أَلَيْفَيْنِ رَغَمَ الزَّمَانِ الْعَصِيبِ
إِذَا شَمَلَ الْكُونُ رَوْحُ السَّحَرِ^(١٤)
تَطَايَرَ مِنْ خَفَقَاتِ الْوَتْرِ^(١٥)
عَلَى قَبْرِنَا، الصَّامِتِ الْمُطْمئنِّ
جَمِيعاً عَلَى نَعَمَاتِ الْحَزَنِ

صفحة من كتاب الدُّمُوع

[من المتدارك]

- 95 -

غَنَاهُ الْأَمْسُ، وَأَطْرَبَهُ
قَدْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ، كَالطُّفْلِ،
وَشَجَاهُ الْيَوْمَ، فَمَا غَدُهُ؟
يَدُ الْأَحْلَامِ تَهْدِيهِدُهُ^(١)

(١٠) المهجة: الروح.

(١١) أترع: ملأ.

(١٢) الثمالة: بقية الشيء في أسفل الإناء. الصفاة: الصخرة.

(١٣) الكلوم: الجروح.

(١٤) رواق: مقدم الشيء وجانبه.

(١٥) الشجي: الحزين.

(١) تهدده: تحركه.

مَذْ كَانَ لَهُ مَلَكٌ فِي الْكَوْنِ جَمِيلُ الطَّلَعَةِ، يَغْبُدُهُ
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، يُنَاجِيهِ وَأَمَامَ الْفَجْرِ، يُمَجِّدُهُ
وَعَلَى الْهَضْبَاتِ، يَغْنِيهِ آتَاتِ الْحُبِّ، وَيُنْشِدُهُ
لَوْلَاهُ لَمَا عَذَّبْتُ فِي الْكَوْنِ مَصَادِرُهُ وَمَوَارِدُهُ
وَلَمَا فَاضَتْ بِالشَّعْرِ الْحَيِّ مَشَاعِرُهُ وَقَصَائِدُهُ
تَمْشِي فِي الْغَابِ فَتَتَّبِعُهُ أَقْرَاحُ الْحُبِّ، وَتَنْشِدُهُ
وَيَرَى الْآفَاقَ فَيُبْصِرُهَا زُمَرًا فِي النُّورِ، تُرَاصِدُهُ^(٢)
وَيَرَى الْأَطْيَارَ، فَيَحْسِبُهَا أَحْلَامَ الْحُبِّ تُغَرِّدُهُ
وَيَرَى الْأَزْهَارَ، فَيَحْسِبُهَا بَسْمَاتِ الْحُبِّ تُوَارِدُهُ^(٣)
فَيَخَالُ الْكَوْنَ يَنَاجِيهِ! وَجَمَالَ الْعَالَمِ يُسْعِدُهُ!
وَنُجُومَ اللَّيْلِ تُضَاحِكُهُ! وَنَسِيمَ الْغَابِ يُطَارِدُهُ!
وَيَخَالُ الْوَرْدَ يَدَاعِبُهُ فَرَحًا، فَتَعَابِشُهُ يَدُهُ!...
وَيَرَى الْيُنْبُوعَ، وَنَظَرَتُهُ، وَنَسِيمُ الصَّبْحِ يُجَعِّدُهُ
وَخَرِيرُ الْمَاءِ لَهُ نَغَمٌ نَسَمَاتُ الْغَابِ تُرَدِّدُهُ
وَيَرَى الْأَعْشَابَ وَقَدْ سَمَقَتْ بَيْنَ الْأَشْجَارِ تُشَاهِدُهُ^(٤)
وَنِطَاقُ الطِّفْلِ تَتَمَقُّهَا فَيَجُلُّ «الْحُبُّ» وَيَحْمَدُهُ^(٥)

★ ★ ★

يَا لِلْأَيَّامِ! فَكَمْ سَرَّتْ قَلْبًا فِي النَّاسِ لِتُكْمِدُهُ^(٦)
هِيَ مِثْلُ الْعَاهِرِ، عَاشِقُهَا تَسْقِيهِ الْخُمَرُ... وَتَطْرُدُهُ!
يُعْطِيكَ الْيَوْمَ حُلَاوتَهَا كَالشَّهْدِ، لَيْسَلْبَهَا غَدُهُ!

★ ★ ★

(٢) تراصده: تراقبه.

(٣) توادده: تتوَدَّد إليه وتقترب منه.

(٤) سَمَقَ: ارتفع وطال.

(٥) النِّطَاق: ما يشد به الوسط من ثوب أو جلد أو نحوهما.

(٦) الكمد: الحزن.

بالأُمسِ يَعاِنُها فَرَحاً ويضاجعُها، فَتُوسِّدُهُ^(٧)
واليومَ، يُسايرُها شَبَحاً أضناه الحزنُ، وَتَكْدُهُ^(٨)
يتلو في الغابِ مَرائِيهَ وَجُدُوعَ السَّروِ تُسانِدُهُ
وَيَمَاشِي النَّاسَ، وما أَحَدٌ مِنْهُمْ يَشْجِيهِ تَفَرُّدُهُ
في ليلِ الوَحْشَةِ مَسْراهُ وَيَكْهِفُ الوَحْدَةَ مَرَقْدُهُ^(٩)
أصواتُ الأُمسِ تُعَذِّبُه وخيالُ الموتِ يَهْدِدُهُ

★ ★ ★

بالأُمسِ لَهُ شَفَقٌ في الكونِ يضيءُ الأفقَ تَوَرُّدُهُ
واليومَ، لَقَدْ غَشَّاهُ اللَّيْلُ فما في العالمِ يُسَعِدُهُ
غَناءُ الأُمسِ وَأَطْرَبَهُ وَشَجَاهُ اليَوْمُ، فَمَا غَدُهُ؟

إلى الله

— 96 —

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تنتهي أطواره أزمات نفسية نائرة، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحياة، وتتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال، فيشعر المرء كأنما انبت ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقربى، فأصبح غريباً في هاته الدنيا الغريبة في نفسه، وكأنما الحياة فن من العبث المرعب الممل الذي لا يجدر بالمطف ولا بالبقاء. ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر. تكدر صفاءه، وتحيل جماله إلى شناعة، وأنغامه إلى عويل، وانسجامه إلى فوضى، ثم تفر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية، وألحانه الممتزجة، وجماله

(٧) يضاجعها: ينام معها.

(٨) التكد: صعوبة العيش.

(٩) المسرى: السير ليلاً.

الساحر الأبدي. وتحت تأثير هذ الحالة النفسية الجامعة نظمت
القصيد التالي، ونفسي سكرى بأحزانها الدامية وآلامها المتشحة
باللهيب.

[من الخفيف]

في فؤادي، تَشْكُو إليك الدَّواهي^(١)
إلى مَسْمَعِ الفَضَاءِ السَّاهي^(٢)
فَهَلْ أَنْتَ سَامِعٌ يَا إِلَهِي؟^(٣)
وَقَدْ كُنْتُ فِي صَبَاحِ زَاهِ
وَأُصْغِي إِلَى خَرِيرِ المِيَاهِ
وَأَشْدُو كَالْبَلْبَلِ التَّيَّاهِ
وهذي كثيرة الإِشْتِيَاهِ
بين دَاعٍ مِنَ الرِّيحِ وَنَاهِ
وَجَرَعْتَنِي مَرَارَةً «آه!»^(٤)
بين قومي، في نَشْوَتِي وانتباهي
وَحَبَّبْتَنِي جُمُودَ السَّاهي
سَرْمَدِي الشُّعُورِ والإِنْتِبَاهِ
وتَعَقَّبْتَنِي بِكُلِّ الدَّواهي
باليأسِ، بالشَّقَا المُنْتَاهي
وتُذَوِي محاجري، وَشَفَاهي
تافِهِ، مِنْ تَرَائِبِ وَجِبَاهِ

يَا إِلَهَ الْوُجُودِ! هُذِي جِرَاحُ
هَذِهِ زَفْرَةٌ يُصَعِّدُهَا الهَمُّ
هَذِهِ مُهْجَةٌ الشَّقَاءِ تُنَاجِيكَ
أَنْتَ أَنْزَلْتَنِي إِلَى ظُلْمَةِ الْأَرْضِ
كَالشُّعَاعِ الْجَمِيلِ، أَسْبَحُ فِي الْأَفْقِ
وَأُغْنِي بَيْنَ الْيَنَابِيعِ لِلْفَجْرِ
أَنْتَ أَوْصَلْتَنِي إِلَى سُبُلِ الدُّنْيَا
ثُمَّ خَلَقْتَنِي وَحِيداً، فَرِيداً
أَنْتَ أَوْقَفْتَنِي عَلَى لُجَّةِ الْحُزْنِ
أَنْتَ أَنْشَأْتَنِي غَرِيباً بِنَفْسِي
أَنْتَ كَرِهْتَنِي الْحَيَاةَ وَمَا فِيهَا
أَنْتَ جَبَلْتَ بَيْنَ جَنْبِي قَلْباً
أَنْتَ عَذَّبْتَنِي بِدِقَّةِ حِسِّي
بِالْأَسَى، بِالسَّقَامِ، بِالْهَمِّ، بِالْوَحْشَةِ،
بِالْمُنَايَا تَغْتَالِ أَشْهُى أُمَانِي
فَإِذَا مَنْ أَحَبَّ حُفْنَةً تُرْبٍ

(١) الدَّواهي: المصائب.

(٢) السَّاهي: الغافل عن الأمر.

(٣) المهجة: الروح. ومهجة الشَّقَاءِ: يقصد بها الروح الشَّقِيَّةُ المعذبة.

(٤) لُجَّةُ الْحُزْنِ: معظمه.

وَإِذَا فَتْنَةُ الْحَيَاةِ وَسِحْرُ الْكَوْنِ
يَتَلَاشَى فَوْقَ الْخَضَمِ: وَيَبْقَى الْـ
يَا إِلَهَ الْوُجُودِ! مَا لَكَ لَا تَرْتِي
قَدْ تَأَوَّهْتَ فِي سَكُونِ اللَّيَالِي
وَتَغَزَلْتَ بِالْحَيَاةِ، وَبِالْحـ
وَزَرَعْتَ الْأَحْلَامَ فِي قَلْبِي الدَّاءِ
ثُمَّ لَمَّا حَصَدْتَ لَمْ أَجْنِ إِلَّا

ضَرَبْتُ مِنَ الْغَمَامِ الزَّاهِي^(٥)
سِيمُ كَالْعَهْدِ مُزْبِدَ الْأَمْوَاهِ...^(٦)
لِحُزْنِ الْمَعْدَبِ الْأَوَاهِ؟
ثُمَّ أَطْبَقْتُ فِي الصَّبَاحِ شِفَاهِي
بَّ، وَغَنَيْتُ كَالسَّعِيدِ الْلَاهِي
مِي، وَحَوَّطْتُهَا بِكُلِّ انْتِبَاهِي
الشُّوكَ، مَا تُرَى فَعَلْتُ؟ إِلَهِي!

★ ★ ★

يَا رِيَّاحَ الْوُجُودِ! سِيرِي بَعْنِفِ
وَانْفَحْنِي مِنْ رُوحِكَ الْفَخْمِ مَا يُبْـ
فَهُوَ يُصْغِي إِلَى الْقَوِيِّ، وَلَا يُصْـ
وَانْشُرِي الْوَرْدَ لِلثَّلُوجِ بَدَاداً
فَالْوُجُودُ الشَّقِيَّ غَيْرُ جَدِيرِ
وَاسْحَقِي الْكَائِنَاتِ كَوْناً بِكَوْنِ،
فَالْإِلَهُ الْعَظِيمُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا

وَتَغْنِي بِصَوْتِكَ الْأَوَاهِ
لُغُ صَوْتِي آذَانَ هَذَا الْإِلَهِ
غِي لَصَوْتِ بَيْنَ الْعَوَاصِفِ وَاهِ^(٧)
وَاصْعَقِي كُلَّ بَلْبَلٍ تَيَّاهِ^(٨)
بِالْأَغَانِي، وَبِالْجَمَالِ الزَّاهِي
قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ أَذْلَ تَنَاهِ^(٩)
سَوَى لِلْفَنَاءِ تَحْتَ الدَّوَاهِي

★ ★ ★

يَا ضَمِيرَ الْوُجُودِ! يَا عَالَمَ الْأُرُوَا
يَا خَضَمَ الْحَيَاةِ، يَزْخَرُ فِي الْآ

ح! يَا أَيُّهَا الْفَضَاءُ السَّاهِي!
فَاقِ فِي التُّرْبِ، فِي قَرَارِ الْمِيَاهِ!

(٥) الزَّاهِي: الجميل المشرق.

(٦) الْخَضَمَ وَالْيَمَ: البحر. الْأَمْوَاهِ: جمع ماء.

يَصَوِّرُ الْحَيَاةَ وَكَأَنَّهَا بَحْرٌ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَيَشَبَّهُ أَفْرَاحَ الْحَيَاةِ بَغِيُومَ وَاهِيَةٍ سُرْعَانِ مَا تَبَدَّدَهَا
الرِّيَّاحُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ.

(٧) وَاهٍ: ضعيف.

(٨) الْبَدَادُ: النَّصِيبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٩) التَّنَاهِي: النَّهْيَةُ.

خَبَّرُونِي، هل للورى من إله،
يَخْلُقُ النَّاسَ بِاسْمَاءٍ، وَيُوَاسِي
وِيرى فِي وَجُودِهِمْ رُوحَهُ السَّـ
إِنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي هَاتِهِ الدُّنْـ
مَا الَّذِي قَدْ أَتَيْتَ يَا قَلْبِي الْبَا
يَا إِلَهِي! قَدْ أَتَنَقَّ الهَمُّ قَلْبِي
قَدَمُ الْيَأْسِ وَالْكَآبَةِ دَاسَتْ
فَتَشْطَّى، وَتَلِكْ بَعْضُ شَطَايَا
فَهُوَ يَا رَبِّ مَعْبَدُ الْحَقِّ،
وَهُوَ نَائِي الْجَمَالِ، وَالْحَبِّ، وَالْأَحْـ

راحم - مِنْهُ زَعَمِهِمْ - أَوَّاهِ (١٠)
هم، ويرنو لهم بعطفٍ إلهي
سامي، وآياتٍ فَنِّهِ المتناهي
سِيا، فَهَلْ خَلَّفَ أَفْقَهَا مِنْ إِلَهٍ؟
كي؟! وماذا قَدْ قَلَّتْهُ يَا شَافَهِي (١١)
بالذي كان...، فَاغْتَفِرْ يَا إِلَهِي!
قَلْبِي الْمُتَعَبِّ، الْغَرِيبِ، الْوَاهِي
ه...، فَسَامَحْ قُنُوطَهُ الْمُتَنَاهِي (١٢)
وَالْإِيمَانَ وَالنُّورَ وَالنَّقَاءَ الْإِلَهِي
سلام، لَكِنْ قَدْ حَطَمَتْهُ الدَّوَاهِي

قالت الأَيَّام

- 97 - [من السريع]

يَا أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غَيِّهِ (١)
يَا وَاقِفًا فَوْقَ حُطَامِ الْجِبَاةِ!
مهلاً! ففي أَنَاتٍ مِنْ دُسْتِهِمْ
صوتٌ رهيبٌ سَوْفَ يَدْوِي صَدَاةٌ...

★ ★ ★

(١٠) في هذا البيت وفي الأبيات اللاحقة يبلغ الشاعر أقصى درجات الشك، وقد أخذ البعض على الشاعر أن يبلغ به شكّه إلى هذا الحدّ.

(١١) لقد تنبّه الشاعر إلى ما قاله سابقاً فإذا به يستدرك معتذراً، والسبب في ذلك يعود إلى ما يخالجه نفسه من مشاعر متناقضة تراوح بين الشك واليقين.

(١٢) تشظى: تفرّق وانتشر. القنوط: اليأس. إنّه اعتذار رقيق ومقبول.

(١) السادر: المتحير. الغي: الضلال.

لا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ، إِمَّا غَفَا
فِي كَهْفِهِ الدَّاجِي، وَطَالَتْ رُؤَاهُ^(٢)
فَإِنْ قَضَى الْيَوْمَ وَمَا قَبْلَهُ
فَفِي الْغَدِ الْحَيِّ صَبَاحُ الْحَيَاةِ

★ ★ ★

يَا أَيُّهَا الْجَبَّارُ! لَا تَزْدِرِي^(٣)
فَالْحَقُّ جَبَّارٌ، طَوِيلُ الْأَنَاءِ^(٤)
يَغْفَى، وَفِي أَجْفَانِهِ يَقْطُةٌ
تَرْنُو إِلَى الْفَجْرِ الَّذِي لَا تَرَاهُ...

سِرُّ النَّهْوِضِ

[من البسيط]

— 98 —

لَا يَنْهَضُ الشَّعْبُ إِلَّا حِينَ يَدْفَعُهُ
وَالْحَبُّ يَخْتَرِقُ الْغُبْرَاءَ، مُنْدَفِعاً
وَالْقَيْدُ يَأْلَفُهُ الْأَمْوَاتُ، مَا لَبَسُوا
عَزَمُ الْحَيَاةِ، إِذَا مَا اسْتَيْقَظَتْ فِيهِ
إِلَى السَّمَاءِ، إِذَا هَبَّتْ تَنَادِيهِ^(١)
أَمَّا الْحَيَاةُ فَيُبْلِيهَا وَتُبْلِيهِ^(٢)

(٢) رؤاه: أحلامه. أي، لا بدّ للمظلوم أن يأتي يومه.

(٣) تزدري: تحتقر.

(٤) الأناء: الصبر. أي، إذا كان المظلوم يسكت، فلا يطالب بحقه، فإنّ العدالة والحق سيأخذان مجراهما آجلاً أم عاجلاً.

(١) الغبراء: الأرض.

(٢) يقول: إنّ الحياة هي معركة لا هودة فيها بين الحياة وأعبائها.

القِسْمُ الثَّالِثُ

رِسَالَتُهُ (★)

(★) أخذنا هذه الرسائل عن كتاب محمد الحليوي: رسائل الشابي، وهي تقتصر على الرسائل التي أرسلها الشابي إلى الحليوي.

الرسالة الاولى

في ٢٩ محرم الحرام سنة ١٣٤٨ (٠)

أخي الفاضل وصديقي الحميم سيدي محمد الحليوي

تحية صديق ومودة اخ

وبعد فقد عزم الاخ سعيد ابو بكر على أن يتولى ادارة وتحرير مجلة «الصادرات والواردات» لكي ينقذها من ادارتها العاجزة الاولى، ولذلك فقد أخذ يأخذ من أصدقائه طرائفهم الادبية اذ انه يريد ان يجعل مشربها أدبياً محضاً ولذا فاني أزف اليك هاته البشارة لكي توجه لي بأسرع ما في جهدك قصيداً جميلاً أو كتابة شيقة مما عودنا قلمك الجميل. أمّا لو سألتني رأيي فإني أود لو نفذت ما كنت عزمت عليه من جعل عنوان أكبر خاصّ بك تنشر تحته آثارك الادبية والفلسفية.

وقد كنت أودّ لو حضر مسامرتي الاستاذ اسكندر شلفون حتى تسمع اللهجة الخطابية الرائعة والروح التمثيلية الرائقة والذوق الساحر والفن الصحيح.

لقد وددت ذلك وانتظرت ولكن أبى الله الا ان لا يكون ذلك وليس لي بعد ما ذكر ما أذكره لك وانا عجول إلا أن مقالك الذي ادرجته بالنهضة تحت عنوان «فكرة تختمر»^(١) قد نشرت أكثره مجلة الرابطة الشرقية وهذا ما يحدوني الى أن

(٠) ٧ جويلية ١٩٢٩.

أستحثك لشحذ عزمك على نشر موحياتك وأن تعطي لنفسك ما لها من حرية فكرية وحظ فني في هذا الوجود .

اما الشيخ... فقد أحدثت تلك الرسالة القيروانية في نفسه من الرجة أعنف مما أحدثت بنوادي القيروان ومجتمعاتها وما زالت تأخذه الراجفة تتبعها الرادفة حتى نشرت النهضة مقاله الاخير فكانت خير ما نفس على نفسه الحرجة وقلبه المغموم وان كنت قد عنفته كثيرا على كتابة مقاله بمثل ذلك الافحاش السافل واللهجة الحانقة، فما زاد الا عتوًّا واصراراً .

ولما تلوت عليه كلمتك التي طلبت مني ابلاغها اليه اجاب بأن مقالة النهضة ستقر ذلك الزلزال وتأخذ مكانتها من النفوس .

وليس بمستطاعي أن أفيك حق الشكر لما قمت وتقوم به من الاعمال نحوي وانما حسبي أن أقول حيا الله فيك تلك الاريحية العالية وتلك الاخوة الصادقة والولاء الجميل ودمت للادب السامي روحه الفياضة العاملة وقلبه النابض الخفاق ولاخيك المخلص .

بلقاسم الشابي

حاشية :

أرجو العفو ان لم أتبسط معكم في الحديث ولم أطارحكم خواطر الأدب فان لي الان من الاعمال المتوفرة والمشغل المتراكمة ما لا أستطيع معه كتابة الكلمات .

ولا أزيدكم حثا لتلبية ذلك الطلب الذي أسلفته وعسى ان لا تكون عقابه كعقبى ذلك الكتاب الذي وعدت بتوجيهه الي لَمّا كنا ببني خلاد ثم أخلفت أو نسيت ؟ لست أدري .

الرسالة الثانية

في صفر الخير سنة ١٣٤٨ (*)

حضرة الاديب المجدد الاخ الفاضل الشيخ سيدي محمد الحليوي .

تحية عاطرة وسلاما جميلا .

وبعد فقد وددت لو كاتبك بما أريد ولكن هو القدر يأبى الا أن ينفذ احكامه فقد شاء ان لا أكتبك الا لماما رغم لهفي الى مراسلتك والاستمتاع بما يمليه قلبك وعقلك ويخطه يراعك الحر . وشاء أن لا أرسلك الا بما لا تطمئن اليه نفسي من الأبحاث الادبية التي هي خير ما تمليه علينا الحياة .

لقد ذهبت منذ ايام بناء على رغبتكم الى مكتبة الامين وسألته عن كتاب « ساعات بين الكتب » للأستاذ الجليل العقاد فنبأني انه لم يتصل به لحد الآن ولكنه سيأتي عما قريب ثم ذهبت أول أمس التاريخ الى مكتبة الشميني وسألته عن الكتاب فألفيته عنده وعلى ذلك رغبت اليه أن يوجه اليكم نسخة يستخلص ثمنها عند الوصول فلبى الطلب وأخبرني انه سيوجهها اليكم أمس (التاريخ) .

وقد اطلعت على الكتاب قبل أن تكاتبوني في شأنه اطلعني عليه الاخ الاديب الفاضل محمود خروف فاستعرت منه وتمليت بما فيه من صور الفن ومثل الحياة ما لا ينتج الا عن ذهن جبار ولود ، وعبقرية نادرة خارقة . أما لغة الكتاب وأسلوبه فهو الأسلوب القيم الجميل الذي لم يكتب العقاد فيما سلف خيرا منه - على رأيي طبعا .

وقد كتب العقاد فيما كتب عن « شكسبير » كتابة لو علم شكسبير أنها ستكتب عنه لمجد نفسه الف مرة ، كتب عنه كتابة لا أحسب أنها كتبت عن بشري من قبل ، فقد صور العقاد فيها شكسبير بصورة الالهية عليها جلال الالهية في جدها

(*) ٣٠ جويلية ١٩٢٩ .

ولعبها، في حزنها وفرحها، في بؤسها وسعادتها. وماذا يمكنني أن أقول؟ إن العقاد لم يجعل من شكسبير إلا إلهاً صغيراً بشرياً يخلق في دنياه الصغيرة صوراً حية كاملة من صور الإنسانية المتباينة. صوراً ملأى بمعاني الحياة اللاعبة العابثة، والجادة العابسة. والشاعرة المفكرة. والمجنونة التائهة.

والى هنا أقف القلم لأن المجال حرج والزمان قصير. فأنا الآن على قدم السفر إذ أنني سأغادر الحاضرة الى بلد زغوان بعد الزوال ولدي من مشاغل العمل ومتاعب السفر ما ينوء به الجليد العتيد. لقد أحببت أن اكتب لك كما اشاء فأرسل النفس على سجيتهما والقلم على طبعه ولكن مشيئة الدهر فوق ذلك فانا وحقك أختلس الوقت اختلاساً لأحرر لك هذه الكلمات ولعلي أجد بعد الآن سعة من الوقت ومنتدحاً مما أنا فيه فأحدثك بما أود وكما أود. أما الآن فاعذر أخاك فإنني والله لفي شغل ما لي طاقة بمثله ولا لي جلد على ما هو دونه فكيف به في هذا اليوم.

يجب على الذهاب الى «حفار الرسوم» لآخذ منه حفرة الكتاب وان اذهب الى السيد زين العابدين السنوسي لأصحح الكراس الاخير من الكتاب تصحيحاً أولياً ثم لأضع جدول الخطأ والصواب للكتاب كله!... الآن! نعم الآن ثم لأسمع المقدمة التي لا أدري هل أتمها ام لا ثم لأصاحب الاخ الشاعر الرقيق مصطفى خريف الى زين العابدين وبعض أصحاب المكاتب لأعلمهم أنه هو الذي يجب ان يتسلموا منه النسخ التي لم نعين مقدارها لحد الآن ولكننا سنعيه بعد ان سمحت هاته المنطقة الضيقة من الزمن التي لا زالت تتقلص وتنكمش حتى اكاد اختنق من ضيقها وخرجها الى غير ذلك من الاعمال الضرورية التي لا غنية للمسافر عنها. كل ذلك - إن لم أنس أشياء أخرى - يجب علي القيام بها وحدي في هاته الساعات القليلة الباقية!

ماذا يمكنني أن ازيدك؟ ليس لي الا ان أقول اسال لآخيك العون فيما يحمل من اعباء تنوء بحملها الجبال.

بلغ تحياتي الى كل أديب مخلص لقلبه وأدبه ومقدر لما يجب على الاديب
نحو ابناء العالم ولكم تحيات قلب ملؤه الود الأبدي والاخاء الخالد .

اخوكم بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

ملحوظة :

سيحضر الكتاب بعد أربعة ايام على الأقل وبعد أسبوع على الأكثر
وقد كنت عزمت على أن أبقى بالحاضرة الى أن أتمه ولكن حدث ما
لم يكن في الحسبان فقد جاءني الى الحاضرة أول أمس (التاريخ) من
أعلمني بان الوالد مصاب بمرض ألزمه الفراش وانه غاضب علي لأنني
أتممت أعمال الامتحان ولم أزره وهو في مرضه ولهذا فإني تركت
الكتاب وعزمت على أن أغادر الحاضرة واترك الكتاب لطباعه لولا ان
تكفل الاخ مصطفى خريف بان يقوم عليه في بقية الاعمال وهي لا
تتجاوز مراقبة تفسير الكتاب وحمله بعد اتمامه الى محله يعلمني بذلك
ليوجه النسخ الى توزر اذ أنني سأكون بعد أسبوع او اكثر بقليل بتوزر
مع الاهل ان شاء الله . عفوا فليس لدي متسع لأكاتبك اكثر مما
كتبت .

الرسالة الثالثة

في ٢٥ صفر سنة ١٣٤٨ (*)

أخي الفاضل

تحية وشكراً

وبعد فإنني أود أن أحادثك وأناجيك وأصبر لأن أرافقك وأماشيك في تلك السبل التي جال فيها يراعك ولكن بماذا؟ أبهذا القلب الذي كسرتة صخور الحياة؟ أم بهذه النفس التي مزقتها أعاصير الوجود؟ أم بهذا الفكر الواهن المخبول؟ أم بهذا الوجدان التائه في شعاب الغد الغامض المريب.

آه! أيها الاخ، إن الحياة لأهول من أن تتحمل على مثل هذه الحال السيئة الاليمة وإن خضمّ الزمان لأرهب من أن يتقحمه المرء وهو كما أراه جبار في تمرده قوي في جبروته وطغيانه.

ها هي الاقدار العتية تعبت بنا نحن البشر الضعاف وترميننا بما لا نستطيع احتماله ولا نملك اعتزاله وأنى لنا ذلك ونحن أهداف اللجج الثائرة وأعشاب السيول الهادرة.

لقد ضقت ذرعا بالحياة يا صاحبي ولا أخالني، ان ظلت الحياة على ما هي عليه اليوم الا ذاهبا الى القبر أو في سبيل الجنون. أنني احاول أن أخط اليك ما تحسه نفسي من مرارة الأوجاع وهموم الزمن الجائر فلا أستطيع الا مثل هذه الكلمات المتقطعة التي لا تكاد تبين عما أكابد من غصص العيش وبأسائه ولا تعبر عما يساورني من الافكار المدلهمة كقطع الليل المظلم لا أذكر أن قد مرت على فيما سلف من عمري أيام أنكد من هذه الايام أو أشد.

في الصباح أجلس الى ابي الذي أنهكه المرض وأضناه وأرمضه الالم واذواه

(*) أوت ١٩٢٩.

وطرفي الى وجهه الشاحب العليل والى جفنه الذاهل الذي أذبله الالم وأذوته الحمى
والى جسمه المتهدم الواهن وسمعي الى نفسه المتقطع وتأوهات المتتابعة وعهدي به
ذلك الرجل الجليد فما أراه كذلك الا وتملاً صدري الهفوات وتملاً عيني
العبرات وتنطلق من قلبي المثلوم وصدري المكلوم أنات القهر ودعوات الرجاء الى
اله الحياة والموت وباسط النور والظلمات أن يشفي هذا الاب الواهي الطريح، وأن
يشفق على صبيته الصغار الذين ما زالوا واقفين بباب الحياة واطل كذلك بين لب
شارد وعقل ذاهب ونفس شقية معذبة وقلب مقسم بين هموم الحياة واحزانها الى
أن يأتي أخ لي صغير أو أخية لم تفقه بعد لغة الوجوه. فما تزال تقلب طرفها
الحائر المتسائل بين وجهي الشاحب الكئيب ووجه والدي المتعوب ثم تذهب من
حيث جاءت وفي قلبها الصغير خواطر وهواجس وآلام وأحلام الله أعلم بمعناها
الغامض وبأثرها البعيد. ومن حين لآخر يرفع والدي بصره إليّ فلا يسترجعه الا
مترعاً بالدمع أو مخضلاً بالعبرات... تلك صورة مقتضبة من حياتي البائسة الدامية
أرسمها اليك بقلم لا أكاد أجيد مسكه.

آه! رب! أشقيتني وما أشقيت أحداً من عبيدك!
رب! عذبتني وأنا عبدك الذي لم يجدف باسمك ولا كفر بنعماك!
رب! رحماك فان عبء القدر عليّ شديد.

تلك كلمات كثيراً ما ردها لساني في ظلام الليل وقلبي في ضوء النهار كلما
خلوت الى نفسي وانفردت بأحزاني المخضبة بدماء القلوب.

إني لأسألك يا صديقي أن تضرع معي الى باري الحياة أن لا يفجعنا في هذا
الوالد الكريم الذي لا أستطيع أن أصور لك عطفه على أبنائه وعطفه على أبناء
البشر.

ردد معي يا صديقي دعوات الى الله وصل بقلبك الطاهر مع هذا القلب الكسير
الى ذلك الذي يسمع خفقات الأرواح ووجيب السرائر لعله يلبي دعواتنا التي
نرفعها اليه.

لو رأيت يا أخي منظر أخواني الصغار حينما يلتئمون حلقة واحدة ويهتفون بصوت واحد وبقلوب مخلصة: ربنا أشف ابانا لعلمت كيف تجيش النفس وتطغى العواطف وتسيل الدموع ولأدركت أن الانسانية البريئة الطاهرة انما هي في اطفال البشر.

ماذا تريد أن أحدثك يا أخي بعد هذه الآلام اللافة التي يتوهج من خلالها جحيم البشر؟ أتريد ان أحدثك بأسرار «نفسى الكبيرة الملهمة» - كما شئت أن تقول -؟ ان هذه «النفس» يا صاحبي لأهون والله من ذرة رمل في أكف الرياح. وان هذه «النفس» لأحقّر من تلك البعوضة المغتبطة بطينها بين المزابل وان هذه النفس لأشقى بما وضع الله فيها من شعور من كل أبناء الحياة! ان الذرة من الرمل لتعذب بها ما شاءت الرياح ثم تقرّ العاصفة وتسكن فاذا بها ذرة هادئة ساكنة بين ذرات الرمال تحلم احلامها الابدية الخرساء وترقد بعيدا عن ضجيج الدهور وضوضائها وأنات الحياة وارزائها. اما هذه «النفس» فانها طائر معذب مطعون يسكب دمائه فوق الصخور القاسية وبين اشواك السبيل دون ان يظفر بعشه الذي عبثت به العاصفة ولا يسربه الذي شردته النور.

وان البعوضة الحقيرة الضائعة لأسعد في طينها بين المزابل من هذه «النفس» التي ما تزال تبحث عن معين الحياة وكلما تقدمت خطوة في سبيلها الرائع المخوف كلما لفحتها الهواجر وتلمعت أمامها سيوف القدر...

ها أنا مدلج في سبيل الحياة الأتّم. وها هي الاشباح الرهيبة تتعقبني وتسمعني أناشيد السخرية والازدراء ولكني سأظل سائراً منتظراً صباح الحياة. وسأظل مردداً على هاته الغابات والكهوف! أغنية الحيرة والحنين الى أن يبدو الصبح أو يسكتني صراخ القبور:

يا بني أُمي! ترى أين الصباح؟	قد تولى العمر والفجر بعيد
أين نايمي؟ هل ترامته الرياح	أين غايي؟ أين محراب السجود؟
يا بنات الليل قد غاض الصداح	منذ طاشت نشوة العيش الحميد

يا بني أُمي! ترى أين الصباح؟ أ وراء البحر؟ أم خلف الوجود؟
يا بني أُمي! ترى أين الصباح؟

سأظل سائراً في سبيلي وسأظل نائراً في هاته الحقول الجرداء العارية بذور
الأسى الى أن يبدو القمر الجميل فتفتح الأكمام عن ورود جميلة ضاحكة...
ويتغرد البلبل من وراء الزهور... سأظل سائراً في سبيلي متغنياً بهاته الأوجاع
والدموع وان كنت أعلم:

أن الدهور البواكي غنية عن دموعي

وان قلب الحياة ثخين بالجراح وان راحة الليل ملأى بالدموع الدامية.

عفوا يا صديقي، فقد آلمتك وعصرت نفسك عصرا.

فقد كان بودي أن أسرك وان أسمعك أغاني المسرة بدل ألحان الألم. ولكن
ماذا أصنع؟ والمريض لا ينطق بغير الأنين، والجرح لا يرشح بغير الدماء. ان
الظلم لا تلد الضياء وان المحزون لا يتكلم بغير أحزانه: انت صديقي وليس لي
أن أعدك صديقي حقاً الا اذا قاسمتني كؤوس العلقم وعصير الحنظل كما سقيتني
رحيق المسرة وسلسيل الفردوس.

رغبت يا صديقي ان أتلو تحياتك وصلوات قلبك على « اصدقاء الجبل واسرار
الغاب والى كل شحرور يتغنى وكل بائس ينتحب » وذلك عهدي في تحيات
الشعراء يا صاحبي فإنها لتكون عذبة جميلة كأرواحهم الملهمة النبيلة ولكنني يا
صديقي لم أبلغ تحياتك الا الى نفسي القريحة الباكية لأنها هي « البائس الذي
ينتحب » في سكون الليل كلما خلا الى نفسه وتفكر في الحياة. اما الغاب واسراره
والجبل واصداؤه والشحرور وألحانه العذبة الحبيبة فإن عهدي بها بعيد وان تلك
السعادة الالهية الطاهرة وتلك المباهج والمناظر والأغاني لا تنعم بها الا الابصار
الطافحة بالأشعة المكحولة بالبسمات. اما الأجفان التي قرحها الدمع وأذواها الالم
فإنها قصية عن تلك المناظر منفية في سجون الحياة. حسبي الآن يا أخي فقد

انهكني التعب وأعياني ولو ظللت أخط اليك لظلت الذكرى تتبعها الذِّكْرُ، والعبرة تتبعها العِبْرُ، وظللت نفسي كما عهدتها أول مرة: تلك النفس المترعة بالدموع التائهة في فلوات الزمان المترامية.

إنني اشكرك يا صديقي على ما تبذل من جهد في تشريك معارفك في كتابي الحقيير واعترف أنني لا أستطيع أن أفيك حقك من الشكر والمنة وعندما يتم الكتاب وذلك قريب فإنني أوجه لك النسخ المطلوبة اما المقتطع والمال فدعهما معك اذ ليس في استطاعتي الآن - وانا البائس القريح - ان اشتغل بالماديات وما لف لفها. فلتترك المقتطع معك ولتشرك من تشرك في القيروان أو سوسة ولنا بعد هاته الايام في ذلك حديث ولكنني أرجو ان ذهبت الى سوسة ان تذهب الى صاحب المكتبة العمومية هناك وتعلمه بكتابي وتسأله هل يود ان يشتري منه بعض نسخ ولعلي أوجه لك نسخ الكتاب قبل سفرك الى سوسة لتريه الكتاب وتسمع لما يقول. سأذهب وجملة الاهل الى توزر يوم الاثنين ان شاء الله وسأوجه اليك الكتاب من توزر فيما اظن.

بلغ سلامي الى كل من تراه اهلا لذلك من كل من كان له قلب كقلبك وروح كروحك وعاطفة كعاطفتك النبيلة السامية.

ولا تنس يا أخي ان تدعو معي بشفاء والدي لعل الله أن يلبي الدعاء والسلام من أخيك المخلص:

أبي القاسم الشابي

حاشية:

ان نفسي الجياشة الناقمة لم تترك لي فرصة أتلفت فيها لما عداها حتى لقد نسيت أموراً كثيرة كان من واجبي أن أحدثك عنها ولعلك من هنا تفهم ان الأناية والأثرة عنصر أولى من عناصر النفس والا فما الذي دعاني لأن أنسى كل شيء في نفسي لما طفحت بها أحزانها.

وصلت الى رسالتك صبيحة اليوم وانا جالس الى والدي على النحو الذي وصفت لك طرفا منه فكانت لنفسي خير مفرج ورفيق لان نفسي قد سئمت الكتب والأسفار وملت كل ما يعده الناس لتفريح الهموم. فله تلك الرسالة الممتعة القيمة كم خففت عني من أعباء واعانتني على موقفتي العصيب.

قرأت الرسالة فوجدتك تتبرم بمجالس القيروان فقلت لنفسي ماذا يقول ويكتب لو شهد مجتمعات زغوان هاته المجالس التي لا تعرف الا غائة القول وبذآة الحديث ورأيتك تسائل الله عن علة خلقك وتستفسره عن أي شيء خلقت له في هذا الوجود؟ فقلت هنيئا لك نفسك وهنيئا لك حياتك فقد مر بي ذلك الطور الذي انت تقطع اشواطه: طور السامة المتضجرة والملل المتسائل عن علة هذا الوجود. وكنت أتبرم به كما تتبرم وأنا ألم منه كما تتألم ولكنني أدركت الآن ان ذلك الطور انما هو يقظة النفس وتنبه المشاعر عندما تهيب بها بواعث الحياة ويا ليت لي ساعة من مثل ساعاتك التي أنت بها برم ملول! فاشكر الدهر على نعمائه فقد أصبحت أرزح بأعباء الحياة كما يرزح الجمل بأثقاله غير شاعر الا بأنني مثقل الكاهل ثقلا لا رحمة فيه ولا جمال وغير آمل الا أن يرفع الله عن كاهلي هذا الثقل الذي تنوء به قواي فأتنفس ملء رئتي من هذا النسيم.

سألتني عن مجلة سعيد أبي بكر وهل أن الداعي اليها مادي أم فني وانا لا أدري على التحقيق كيف اجيبك وبماذا أجيب اذ كل مبلغ العلم عندي هو أنه تولى ادارتها الفنية أعني ادارة التحرير وانه تسلم مني قطعة من الشعر المنشور عنوانها: الشاعر. تحت عنوان اكبر اود ان اكتب تحته مواضيع مختلفة ان ساعد الدهر واشفق الله وهذا العنوان هو: صفحات من كتاب الوجود... واعلم أنني رأيت يصحح ما طبع

من المجلة ومن بين ذلك قطعتي .

أما أن الغرض فني أم مادي فالله أدرى به . ولكن الذي انبثك به بعد ذلك فهو ان السيد الهادي العبيدي الذي كثيراً ما كتب في جريدة « الصواب » قد اراد ان ينشئ نشرة جامعة ولكن نزعتها الغالبة أدبية وقد اخذ يعد لها عدتها الفنية فأخذ مني قصيدا عنوانه : « أغاني التائه » واخذ من كثير من الأصدقاء كتابات ومقالات كثيرة وبعض قصائد ومما سينشر بها قطع من الادب الغربي تكفل بترجمتها اديب شاب تونسي لا أعرفه ، وقد عقد اتفاقا مع السيد زين العابدين السنوسي على أنه يشرع في طبعها بمجرد انتهائه طبع « الخيال الشعري » هذا من الوجهة الفنية اما من الوجهة المادية فقد تكفل بها شاب تونسي كثيراً ما حرر في الجرائد الافرنسية وبالأخص جريدة اللواء التونسي « الليتندار » نسيت اسمه الآن ولئن حرمت مجلة الصادرات والواردات من آثارك الفنية فإنني أود ان لا تحرم هاته النشرة التي أخال انها ستكون قيمة من آثارك - أرجو أن توجه لي بكتابة او قصيد وأظنها تصلني الى بلد الجريد لأوجهها الى هذا الصديق ولك الشكر والسلام .
أخوكم المخلص :

أبو القاسم الشابي

الرسالة الرابعة

تونس في ربيع الأول سنة ١٣٤٨ (*)

أخي الأعز .

تحيات قلب ملؤه الاخلاص والود وعواطف صديق تعرف مقدار ولائه وتقدر
وده حق قدره .

وبعد فمئذ ان كاتبك بتلك الرسالة الولهى التي حاولت أن أصف لك فيها
لونا من ألوان حياتي التي أحيها في محيط تموج به الأحزان وتزخر - لم أتصل
بكلمة منكم حتى اليوم رغم تشوقي الى كلماتك وتحناني الى نغماتك .

لا أريد اليوم أن أثقل كأهلك بأوجاع انهكت قواي وضعضعت كياني الطليح
وانما حسبي أن أقول ان الوالد لم يزل طريح الفراش وأن الطبيب الاستعماري
بتوزر يزوره يوميا نسأل الله أن يعجل بشفائه .

لقد أعلمني الاخ مصطفى خريف ان الكتاب قد أنجزت أعماله وأنه قدم
نسختين الى المحافظة لتأذن له في ترويجه ولكنها ما زالت تسوفه وتضرب له
الوعود الكاذبة اثر الوعود . ولا أدري ما الذي تعني بذلك وان غدا لناظره قريب .

ثم وجه لي الاخ زين العابدين السنوسي نسخة من الكتاب إشعاراً بانهاؤه وقد
أعلمني الأخ مصطفى خريف بأنه بذل كل الجهد هو والاخ زين العابدين في اقتناء
الورق اللامع حتى يطبع عليه رسمي ولكن أبى القدر ذلك فإنهم بعد كل مجهود
لم يمكنهم أن يطبعوا على ذلك الورق الا ثلاثمائة صورة واما البقية من نسخ
الكتاب فقد اضطروا الى طبعها على الورق الذي طبع منه الكتاب والامر لله من
قبل ومن بعد .

بما أنني بعيد بتوزر فإنني سأكلف مصطفى خريف بأن يوجه اليكم بمجرد ما

(*) أوت ١٩٢٩ .

يتسلم الاذن من المحافظة بذلك ٢٨ نسخة من كتاب «الخيال الشعري عند العرب» نسخة هدية اليكم هدية ود واخاء وصداقة والبقية ١٥ نسخة للذين أشركتموهم وانتم ببني خلاد على مقتضى الجذر الذي سلمتموه الي والـ ١٢ الباقية للسادة الذين اعلمتني في كتابكم الكريم بأنهم اشتركوا في الكتاب بالقيروان وفي الختام تقبل تحيات المخلص أخيك على الدوام.

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

حاشية :

بما ان النسخ سيتولى توجيهها اليكم الاخ مصطفى خريف فستصلكم سبع وعشرون نسخة من طرفه وأما نسخة الهدية فسأوجهها اليكم من توزر اذ من الواجب ان أكتب كلمة الاهداء يميني .

الرسالة الخامسة

زغوان في ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ (*)

أخي الماجد النبيل

ألف تحية وشكران

وبعد فماذا اكتب اليك ؟ وأنا في ساحة تعصف بها الهموم وتنعقد من فوقها الاحزان وتخز عليها أمواج الدموع ان استمعت الى نفسي لم أَلَفِ الا الأسى يبكي أو أصخت الى قلبي لم أسمع الا النحيب أو قلبت طرفي فيما حولي لم أبصر الا ظلمات تتدجى من فوقها ظلمات .

إن المصاب قوي جسيم وان قلبي الرازح بهوموم البشر لأضعف من ان يضطلع

(*) سبتمبر ١٩٢٩ .

بكل ما في هذه الدنيا من مصائب. اين صبرك يا رب؟ فقد ضاق على الوجود
وأين سلوكك فقد مزقت صدري الزفرات. عفوا يا صاحبي فإنني لا أستطيع أن
أكتب اليك اكثر مما كتبت.
ودم لآخيك المحزون:

بلقاسم بن المنعم المرحوم محمد بن بلقاسم الشابي

الرسالة السادسة

تونس في ١٣ رجب سنة ١٣٤٨ (*)

أخي الفاضل.

قد انتظرت كتابك (المطول) ولكن عبثا كانت تمضي الساعات ثم الايام ثم
الاسابيع وأخشى ان تلحق بها الشهور.

وبعد، فماذا أخبرك به من أنباء العاصمة؟ إني ليستخفي الفرح حين أعلمك
ان العناية السموية قد جادت علينا بمجلة أدبية ستصرف همها الى الادب والى
القيام بواجبه في هاته الديار وإني أعلم انك ستقول كلا بل هذا وهم باطل
وسراب كذوب فكثيراً ما سمعنا مثل هاته الأنباء الجميلة المستحبة فاستخفتنا
ولكن ما لعبت بالبابنا خيالاتها حتى تكشففت عن سراب فاذا الكل باطل... واذا
الكل قبضة من ضباب... اعلم انك ستقول هذا واكثر منه ولكن ليطمئن بالك
ولتعتقد ان هذا الامل المنشود قد أصبح حقيقة ماثلة ما بين عشية وضحاها فقد
أحرز الاخ زين العابدين على تلك المنية التي طالما صبا اليها وهي اصدار مجلة
أدبية علمية. أجل أحرز على مجلة اختار لها اسم «العالم» وقد أخذ في طبع هاته
المجلة وفي إعداد العدة الادبية اليها حتى تكون جاهزة كاملة آخر هذا الشهر

(*) ١٥ ديسمبر ١٩٢٩.

الافرنجي وحتى تحيي الناس في رأس هاته السنة وقد أخذ مني قطعة شعرية لنشرها ضمن مجلته. ولا تظن ان تلك أباطيل فإن كثيرا من المقالات الأدبية قد قدمت للطبع بمحضر مني بل ان بعضها قد كنت حاضرا لتصحيح مسودته المطبعية « بروفة ».

ولذا فالرجاء ايها الاخ ان تبعث الي في أقرب وقت ممكن بنفثة من نفثات يراعك أو بحث من ابحاثك القيمة الممتعة حتى يمكن نشرها في العدد الاول من اعداد المجلة. لأنني لا يروق لي أن يؤخر مقالك شهرا آخر لأن المجلة شهرية في هذا الاوان على الاقل. لا أزيدك تأكيدا في المبادرة بتوجيه بعض ابحاثك الأدبية الي على جناح العجل فإنني ليلذ لي أن تطلع الامة التونسية على ثمرات أبنائها الشبان المخلصين ويلذ بالأخص أن يكون العدد الاول حافلا جم الخصوبة والانتاج حتى يكون شجا في حناجر أحلاس الجمود وطعنة في أكبادهم وغلة لا ينطفئ لها لهب في عباد الموت وأمساخ القديم.

وفي الختام تقبل تحية أخيك المخلص:

ابو القاسم الشابي

إنني أنتظر فأسرع بالجواب!

رسائل الحليوي

بني خلاد في ٢١ فيفري ١٩٣٠

أخي وصديقي العزيز

يصلك طي هذا نبذة مما كتبته عن تولستوي وقد دفعني للكتابة عنه ما رأيت من تنديد صاحب الكلمة المنشورة في المجلة تحت عنوان « تونس وتولستوي » بتقاعسنا وعدم اهتمامنا برجال الفكر العالميين.

وإني لأستحي أن أكون سبياً في تجشيمك متاعب لأجلي، فإن كان في ارسال ما اكتب لك تكليف لك وشاغل يشغلك عن أعمالك فسأعدل عنه وإن كان الامر خلاف ذلك فإنني أكون مسروراً جداً السرور، متشرفاً كل الشرف أن تكون صلتني مع المجلة بواسطتك وأكون مرتاح البال من هاته الناحية.

طالعت مرات ما كتبت عن الشعر فكان عندي أحسن ما في المجلة ولا شك أنك ستتولى زعامة التجديد الادبي في تونس ونكون نحن تحت لوائك.

وإني لاستحدثك على الكتابة في ذلك المعنى ولواحقه تحت عنوان خاص. وكم أود أنا أيضاً أن أكتب تحت عنوان خاص كما كنا تحدثنا عن ذلك في العام الفارط.

سلامي الى كل الرفاق والى أخيك الصغير وعليك السلام والتحيات من أخيك المخلص على الدوام.

الرسالة السابعة

تونس: في نثوال سنة ١٣٤٨ (*)

أخي الفاضل

تحية وسلاما

وبعد فإنني أهنيك بعيد الفطر المبارك وأسأل الله لك أن يسبغ عليك مسراته ويفضي عليك بركاته ويريك من نعمه ألوانا وأن يرزقك عمراً سعيداً خصيباً منتجاً، ينتعش به الأدب في هذا البلد القاحل الممحل الجديب، ويهب هبته التي تزعزع الجذوع النخرة وتقتلع الصخور الجاثمة في وضح الطريق.

(*) مارس ١٩٣٠.

سألتني أيها الاخ هل في توجيه رسائلك الممتعة الراقية الى « العالم » بواسطتي تعب يلحقني أو وصب ينجر الي ؟ وماذا عساي أن أجيبك ان كان تساؤلك حقاً ؟ بل ماذا عساي أن أقول ان كنت جاداً في استفسارك ؟ يعلم الله يا صديقي ان لا حرج علي في ذلك ولا نصب، وان ما ظننت أنه يكلفني نصباً انما هو مبعث مسرة لنفسي وايقاظ لعواطفني التي أركدتها عقول الناس الخاملة وكلماتهم البادرة التي لا تنبه فكرة ولا تحرك وجدانا. الا يسرني يا صديقي أن أكون انا أول من يطلع على ما تخظه يمنالك وتقطر بسحره يراعتك الحية اليقظي ؟

ولا أنسى أن اطلب عفوك فإنني ما تأخرت عن مراسلتك لحد الآن، الا لأنني - علم الله - في شغل شاغل وعمل متواصل ونصب كامل لا راحة فيه ولا روح وانما هو كرة أثر أخرى. ومجهود وراء مجهود ونفس صاعد كأنما يصعد في السماء وملل أليم سميك الحجب ليس له ما يهلل حواشيه أو يلقي على ظلمته قبسا من نور أو شعلة وميض. لقد أعجبت وأعجب الناس برسالتك الاولى في « العالم » اذ انها احاطت بما عرضت له إحاطة لم نعثر على مثلها فيما رأيت، ولا عثر الناس. وليس لي من نقد عليها الا انك وعدت بمتابعة النقد ثم كفت وعسى ان يكون ذلك غمامة عارضة لا تلبث ان تنقشع ولا اخالك الا لا زلت جاهلا نفسي يا صديقي ولولا ذلك لما اعتذرت لي تلك الاعذار عن انتقادك كأنك به انما تقدم على عمل منكر. لا أظن الصداقة تقف الى هذا الحد في التعرض لحركات العقول لان الصداقة انما هي ضرب من حرية الروح ويقظة الفكر وانتباه العواطف فان كانت تشل من حركة العقل وتصفد من أعضاد القرائح والعقول فلا كانت هذه الصداقة ولا كان قلب يحبوها شيئا من حنوه وحنانه. لتنقذني يا صاحبي ما دمت ترى الحق في جانبك ولانتقدك ما دمت اعتقد إنني أتكلم بوحى الحقيقة المقدس دون أن يكون في ذلك ما يمس عاطفة أو يجرح ودّاً أو يؤذي وجدانا. ذلك مذهبي أصرحك به يا صديقي وبودي أن تعلمه حق العلم وتدره حق الدراية فإنك ان علمته علمت ناحية من نفسي كانت لديك مجهولة وأنا أود

أن أكون لمن أوده وأصافيه واضح الجوانب لا تغشيه سحب ولا تحجبه ظلمات...

اما رسالتك الثانية فليس لدى متسع من الوقت لاجيبك عنها وحسبي ان أقول لك انها ستبرز في هذا العدد من «العالم الأدبي» فقد أصبح هكذا اسم المجلة - وان اعلمك إنني بها جد معجب فلله هي !
تقبل التحية من اخيك على الدوام:

أبى القاسم الشابي

الرسالة الثامنة

تونس: في ٢٠ شوال ومارس سنة ١٣٤٨/١٩٣٠ (*)

الاديب الكبير أخي الفاضل الأستاذ محمد الحليوي.
تحية وسلاما.

وبعد فإنني في شوق الى اخبارك وأحاديثك ونفثات قلمك وآيات بيانك. فقد وعدت انك ستقدم الحاضرة ثم تصرم الاسبوع تلو الاسبوع والشهر اثر الشهر ولم يأت ولا جاءنا من ناحيتك نبأ وقد وعدت أنك ستكتب وتكتب... عن كتابي وعن تولستوي، وعن أدب الفرنجة وانك ستترجم قطعاً فلسفية وآيات شعرية... وغيرها ولكنك لم تنفذ من كل وعودك شيئاً. ما هذا أيها الصديق؟ ان تونس لفي حاجة الى ابنائها الذين تتدفق في دمائهم عزمات الفتوة ونخوة الشباب ونشوة الاحلام... ان تونس لفي حاجة الى ان تتقدم بخطوات ثابتة الى سبل النور والزهور... ان تونس لفي حاجة الى ان ترفع رأسها عالياً حتى تشاهد أنوار السماء

(*) ٢١ مارس ١٩٣٠.

وشموسه وحتى تقبل شفيتها أضواء النجوم... ولئن كانت تونس فقيرة الى هذا الضرب من ابنائها، هذا الضرب الذي يحن الى أن يعيش عيشة كلها حق ولذة وجمال وكلها احساس وشعور وعواطف أقول إن كانت تونس فقيرة الى مثل هذا النوع من أبنائها ليجب على هذا النفر القليل منهم أن يبذلوا كل ما في جهم من عزم وقوة وحمية وشباب، حتى يستطيعوا أن يكونوا نشأ حياً مخلصاً شاعراً يواجهه لأمتة وللحياة وللوجود بأسره وان يخلقوا في الواقع ذلك الوسط الحي الجميل الذي نتصوره في أحلامنا ثم نلتفت حوالينا فلا نلمح له أثراً، واذن فلتكتب ولتعمل ولتطرد عنك خواطر الراحة والسكون فان شعبك في حاجة اليك وليس لك شيء من العذر في أن تسكن ولا تعمل فإنني لأجدر منك بالعذر وأنا بين دروس قانونية متوافرة تكد الذهن وتقتل الوجدان ومطالعات في القانون اكثر تغذية للنفس واركاذا للعاطفة واخمادا للتفكير من أي شيء في هذه الدنيا.. إنني انتظر رسالتك الأدبية والودية بفارغ صبر فإنها هي التي تزيل عني بعض هاته الوحشة التي أجدها في كتب القانون وبعض هذا التجهم والعبوس اللذين فيهما في مطالعته. كنت حدثتك أن مقالك سيدرج في هذا العدد من العالم الأدبي وذلك ما نبأني به الاخ زين العابدين أول الأمر ولكن ضاق نطاق العدد عنه وسينشر في العدد المقبل آخر هذا الشهر واليوم أرايه الاخ زين العابدين مطبوعا ولكن هذا لا يدعوك الى ان تؤجل الكتابة الى الشهر المقبل فان هذا هو الذي لا أرضاه.

ماذا احدثك عن العالم - اولاً - والعالم الأدبي - ثانياً - لقد احدثت من الوجة في الخارج ما أحدثت وغيّرت نظرة الشرقيين الى تونس تغييراً ما كانوا يتوقعونه وأصبحوا ينظرون اليها نظرة لم تكن من قبل. لقد كتبت عنها كثير من الجرائد والمجلات الشرقية ولا يسعني أن أستوعب لك حديثها كلها ولكنني اقول لك أن «المقتطف» قد قالت ما مضمونه إن من العار علينا ان تكون في تونس مثل هاته النهضة وهذا الشباب وهاته الحركة الفكرية ثم لا نعلم بها ولا نتحدث عنها فإننا

ما كنا نحسب في تونس مثل هاته اليقظة الفكرية التي رأيناها في العالم التونسي والذي أرانا أن الشعب التونسي شعب يحس بالحياة حقاً. أرأيت أيها الصديق كيف كانوا يتصورون تونس قبل الآن؟ لا أخالهم كانوا يحسبونها الا كالسودان وأعماق افريقيا الجنوبية. وكتب شاب سوري الى الاخ زين العابدين كتاباً قيماً مستفيضاً يستوعب ثلاث صفحات من الحجم الكبير يعجب « بالعالم » التونسي وبمحرريه وبالاخص « الاستاذ الحليوي » الذي استوعب مذاهب الأدب الفرنسي بطريقة لم يسبق اليها و« الاستاذ الشابي » الذي أبان عن فكرة قيمة دقيقة في فهم الشعر والنظر اليه - كما يقول الكاتب - ومصطفى أفندي خريف الذي شابه كثيراً بشعره البائس الحزين شاعر الأسى وأمير البؤساء الاستاذ انور العطار شاعر دمشق وقصيدة السيد كرباكة التي تناول فيها غضبة شاعر العراق الرصافي وقد أمضى هذا الكاتب رسالته بـ « فتى العرب » وهو اسم طالما رأيته في بعض الصحافة الشرقية. كما جاء الى الاخ زين العابدين أيضاً كتاب آخر من مصر يعجب بهاته النهضة الفكرية في تونس ويبتهج بها ويتمنى لها قوة وشباباً.

وحتى رجعيو مصر، فقد بلغهم نبؤها وتخوفوه فقد بعث الشيخ الخضر حسين التونسي الى الاخ زين العابدين يعجب بمشروعه وعمله ولكنه يتراءى بين سطور الشكر انه يوجس خيفة فقد قال له فيما قال: لقد خرجت المجلة بخطة جديدة ما كنا ننتظرها من تونس فقد عرفنا تونس بلداً هادئاً أميناً مسالماً بعيداً عن كل الحركات الثورية والخطط الطافرة... الخ. وبعد فإني أحبيك الآن والى اللقاء!...

أخوك المخلص: ابو القاسم الشابي

الرسالة التاسعة

تونس: في ١٥ جوان ١٩٣٠

أخي الفاضل الأعز .

تحية وسلاما .

وبعد فإنني سأبدأ بنقدك قبل ان أبدأ بتهنئتك ، ولتعذرني على ذلك فإن للمودة سورة وثورة قد يحركها أخف البواعث. انت تعلم إنني أكدت عليك العهود على أن نلتقي قبل سفرك ووثقت وأكدت. وتعهدت بذلك وافترقنا عليه ولكنك اخلفت وعدك ونقضت عهدك وما كنت أظنك مخلفا ولا اعهد فيك هاته الخلة.

ستقول ان لك اعداراً ومناح ولكنني لا اريد أن أسمع هاته المعاذير ولا أن اقيم لها وزنا. وحسي انك اخلفت والسلام، وحسبك هذا من لوم الصديق .

وقد علمت عشية امس انك كنت من الفائزين في امتحانك فاغتبطت وان كنت تنبأت بذلك من قبل، لا لأنك صديق يسرني ادخال السرور على قلبه فقط ولكن لان تلك الشهادة مرحلة أولى من مراحل حياتك الأدبية المنتجة. فهي استدعوك الى ان تدأب على دراسة اللغة الفرنسية واستخراج كنوزها ونشر آياتها الرائعة بين أبناء شعبك الضائعين وهي ستكون دافعاً يدفعك الى الاستزادة من مناهل الفن السامي الذي تطمح اليه نفسك المنتجة ومعيناً على تكوين ثقافتك كما تبتغي أن تكون. فاهناً يا صديقي بهاته الشهادة وان كانت دون مداركك ومواهبك وأضيق من أن تسع نفسك الكبيرة.

اليوم صباحا جاءني الاخ زين العابدين السنوسي وناولني مجلة « العالم الأدبي » التي خرجت أمس فاذا بها قد انتقلت لطور آخر في جمال المظهر وحلاوة الشكل وانني لأتعشم لها مستقبلا زاهرا لخير هاته البلاد المسكينة.

وقد سألني عن عنوانك ليكاتبك اليه ويطارحك شكره وإعجابه بقوة نفسك
ورزانة تفكيرك وعمق بحثك وتحليلك. والسلام عليك من أخيك المشتاق اليك
المعجب بك.

أبي القاسم الشابي

الرسالة العاشرة

تونس في جمادي الأولى سنة ١٣٤٩ (★)

أخي الفاضل وصديقي الأعز

تحية وسلاما

وبعد فقد اشتد الضعف على قلبي في هاته المدة الاخيرة بما أوجب معه
الطبيب على حرمانني من كل الاعمال الفكرية لا فرق بين مطالعة أو تحضير أو
كتابة وقد لبثت على ذلك نحو أربعة عشر يوماً كاملة وذلك ما حدا بي الى ان
لا أكاتبك كل هاته المدة أما الآن وقد أوجب الطبيب على السفر وقد أزمعته
غدا : الخميس - فإنني أراني مضطرا الى مكاتبتك رغم كل شيء - .

لا تألم يا صديقي لأخيك فإن قلبي هو منبع آلامي في هذا العالم. ومن
يدري ؟ لعله سيكون منبعاً لمثل هاته الآلام في عالم آخر... ان قلبي يا صديقي
هو مصدر آلام هاته النفس التائهة المعذبة وهذا الجسد المعنى المنهوك. وما دمت
احمل بين جنبي مثل هذا القلب الكسير وما دامت هاته الحياة تهد منه ولا ترحم ،
فإنني أشقى أبنائها. هاته حقيقة قد أيقنت من صحتها وآمنت بها يا صديقي فلا
تحاول أن تصدني عنها.

والآن دعنا من حديث الآلام فان نواميس الوجود فراغ لمثل هاته

(★) أكتوبر ١٩٣٠.

السخفات... ماذا أقول لك؟... ان الضجة في تونس قائمة حول كتاب صديقنا الطاهر الحداد « امرأتنا في الشريعة » و« المجتمع » ويقال ان النظارة تفكر في القيام عليه وطلب حجزه كما فعلت مشيخة الازهر في مصر بطله حسين وكتابه بمعنى انه قدر علينا أن نكون مقلدين لمصر في كل شيء هذا ما يشاع، وان كنت لا أومن بصحة هاته الاشاعة.

ويوم الجمعة ستقام للصديق مؤلف الكتاب حفلة تكريمية كبرى بكازينو بليفدير وستلقى فيها الخطب والقصائد وسينشر الحديث عن هاته الحفلة وكل ما قيل فيها في عدد ممتاز من الصواب لا بد انه سيبلغ اليك نبؤه وقد ابتهجت بهاته الحفلة لانها تدل على أن تكريم التونسي للتونسي قد بدأ قبوله في النفوس ولكنني آسف لأنني لا أحضر هاته الحفلة ولا أقول فيها كلمة بأمر من الطبيب الذي هو ككلمات القدر في نظر النفوس الواهنة المرضوضة.

لا أستطيع أن أزيدك في الحديث وان كان المجال رحبا ونفسي تدعوني لذلك لان هذا أول كتاب كتبته رغم أوامر الطبيب وأخشى أن ينجم عن الاطالة ومتابعة هوى النفس ضرر محقق وانما الذي أرجوك أن لا تنسى صديقك في منفاه القصي فإنه هناك أحوج الناس الى رسائلك التي تجلو عن نفسه ما يعلوها من صداً الخمول خصوصاً في مثل بلاد الجريد والسلام عليك من المخلص:

أبي القاسم الشابي

حاشية:

بلغتني دعوتك الى المقام جوارك وهي سعادة لا أستطيع الآن تحقيقها ولعلّي أستطيع ذلك فيما بعد والسلام عليك من أخيك.

أردت أن أوجه إليك رسمي ولكنني لم أجد ظرفا يسعه ولذا فإنني سأتركه لك عند الاخ مصطفى خريف وعند قدومك الى الحاضرة تلفيه عنده والسلام عليك.

الرسالة الحادية عشرة

توزر الجريد في ١٥ جادي الثانية سنة ١٣٥٠ (*)

حضرة الأخ الفاضل المحترم سيدي محمد الحليوي .

تحية وسلاما .

وبعد فقد ضمنني مجلس وحضرة الاخ محمد البشروش منذ أيام تجاذبنا فيه .
ذكرك وأدبك فقلت له أنني لئن كاتبك الاخ الحليوي لأكاتبنه بصاعقة ... وكنت
جادا في حديثي وكان صاحبي يتبسم .

وها قد مرت أيام وأيام وتعاقت بسمات وآلام وما زالت ذكرى ذلك
المجلس وذاك الحديث ترف في جوانب قلبي بأجنحة من لهيب مورد كالشفق
المخضوب ثم ها أنا أكتب اليك فاذا الصاعقة ... ماذا أقول؟ ... اذا الصاعقة
صباح صاح تتندى نسائمه وتتهادى غمائمه وليل مقمر يرفرف حواليه السحر
ويغرد « الطائر المستمر » واذا بي أهتف بك من وراء الافق كأنني أناجيك .

أذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحنا
وهكذا تنقلب النعمة رحمة وينقلب اللهب أنامل من سحر كأزهار الربيع .

هذا ما استطعت ان أكتبه اليك الآن . وهذا كل ما أملته عليّ الصداقة العذبة
من أساليب العتب واللام ، أما أنت فلست أدري ماذا أنت فاعل من بعد ؟ هل
توقظ قلبك هاته النجوى الضارعة وهذا الهتاف الرقيق ؟ أم أنه سيظل مخدلا الى
صمته وأحلامه ؟ قل علمه عند ربي .

ما لك يا صاحبي قد اعتصمت بالصمت في هاته السنة وانصرفت الى السكوت
فلم نسمع لادبك صوتاً الا تلك الكلمة التي قلبتها على « ذكرى جبران » ؟

هل انك هجرت الادب - لا قدر الله ؟ أم أنك تنشئ في صمت وتخلق في

(*) ٢٨ أكتوبر ١٩٣١ .

سكون كما تبدع هاته الطبيعة الصنّاع جمال الزهرة تحت أطباق الثرى ؟

اين يا صاحبي « المرأة في الادب العربي » و« الشعر في تونس » وغير هذين من تلك الابحاث القيمة التي وعدتني بالكتابة عنها في بعض سمرنا بالحاضرة. أني انتظر جوابك لتحبي في هاته النفس الموات معاني الأدب واصدائه وسلام عليك من أخيك :

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

حاشية :

كاتبني طويلا وتحدث الي كثيراً إنني أرجوك وان شئت فاتخذ موضوعاً أدبياً صالحاً للحوار نتجاذب فيه أطراف الحديث وفنون الجدل حتى تظل الصداقة حية ويظل غذاؤها روحياً جميلاً.

رسائل الحليوي

بني خلاد في ٤ نوفمبر ١٩٣١

أخي الفاضل.

أتاني كتابك فما ذكر مني ناسياً ولا نبه غافلاً ولا وصل مبتوراً.

إن ذكرك يا أخي - يصاحبني ويماسيني، وياكرني ويغادينني، وإن صورتك التي فوق مكتبي لتعنفني كل يوم على سكوتي وتذكرني تلك الساعات السعيدة التي قضيناها معا حين كان الشمل جميعاً والدار واصله والمودة متبادلة. ثم نزحت الى بلدك الجريد وعز عليك أن تفارق الحاضرة دون أن تودعني بكلمة وتبعث لي بصورتك. فماذا كان مني بعد هذا النزوح الذي اضطررت الى مغادرة العاصمة ومجالسها والاطراف الأدبية ونشاطها الى حيث الصحراء وأحلامها والواحات

وجمالها ، والقمر المؤتلق في كبد السماء أو المطل من خلال عراجين النخيل ؟
اللهم لا شيء .

ثم بلغني من بعض الاصدقاء انك تزوجت وكان علي أن أهنيء وأبارك أو
ألومك على اتيان هاته الحماقة ولكني لم أفعل شيئاً من ذلك .
ثم جاء العيد فماذا كان مني في هاته المناسبة التي تؤكد فيها أواصر الصداقة
وتمتن عرى الوداد وتتبادل الدعوات والتمنيات .
اللهم لا شيء .

أما والله لو أرسلت صاعقتك على رأسي لكنت بها جديراً ولشفيت نفسي
المعذبة الشاعرة بذنوبها نحوك ولكن... اذا كنت قد أصبت بالخرس والشلل فهل
تراني كنت غافلاً عن ذكرك .

لا سكن الله قلباً عن ذكركم ... فلم يطربجنح الشوق خفاقاً
ذكرك والله عالق بالروح ممزوج مع الدم .
أذكرك حيثما كنت وأينما سرت أذكرك اذا سئمت نوادي الغشاة

الرسالة الثانية عشرة

توزر الجريد في ٤ ذي الحجة سنة ١٣٥٠ (★)

أخي تحية وسلاماً .
وماذا بعد هذا ؟ بعده إنني الآن في عزلة محببة الى نفسي في الصحراء أو
تحت ظلال النخيل ، وليس معنى هذا إنني هجرت المدينة وفررت بنفسني الى

(★) ١٠ أبريل ١٩٣٢ .

أحضان الطبيعة التي أجد فيها من معاني الجمال والعطف والحنان ما لا أجد في قلوب البشر الذين مللتهم ومللت أحلامهم الصغيرة وأحاديثهم السخيفة وضحكاتهم التافهة وإن كانت مخضوبة بالدموع - لا ، فانت تعلم أنني مكبل بقيود من لحم ودم تجبرني على خوض هاته الحياة البغيضة المستثقلة وتحرمني من تلك اللذة الوحيدة التي تحن لها أشواقي حنيناً صادقاً في هذا العالم. وانا ما زلت بتوزر وما برحت قريتي الصغيرة (الشابية) وإنما أعني « بعزلي » أنني أصبحت بعيداً عن الناس ابتعاداً. وربما يمر علي اليوم والثلاثة والاربعة لا أخالط من هؤلاء الناس أحداً الا أهل بيتي في الليل أو في أوقات الطعام .

ولم أطلع أثناء هاته العزلة من الصحف غير ما يرد على خاصة منها ولذلك فقد لبثت حيناً لم أطلع قصيدتك بل لم أسمع بها. وكيف لي بذلك والنخيل والصحراء لا يتحدثان بأخبار الصحف. ثم اجتمعت منذ يومين ببعض الناس... ومالي لا أقول المثقفين - ولكن بما تحتمل هاته البلدة من معاني الثقافة. فحدثني عن القصائد والخطب والاخبار التي تنشرها النهضة وبلهجة معجبة حدثني عن قصيدة « الحليوي » وقال : حقا انها لحلوة كاسمه واني لا أزال كل مساء حينما أفرغ من مشاغلي أنفرد بها ورفيق لي ونأخذ في تلاوتها بترتيل وانشاد. هكذا حدثني هذا الرجل فابتسمت ولج بي الشوق اليها ومن الغد ذهبت الى السوق وبحثت عن ذلك العدد الذي نشرت به ومن حسن الحظ إنني وجدته عند بائع الصحف فطالعتها وطالعت معها قصائد أخرى الا قصيدة الاخ خريف فإني لم أجدها. وإني أصارحك إنني أعجبت بها وألفيتها الوحيدة التي تخفق فيها روح بشرية تلح بها الآمال والذكريات والحسرات روح تحس وتتدبر ولا تنسى وهي شاعرة أن تناقش الحساب وتنقد نقداً أليماً. وقد صادف إنني التقيت اذ ذاك بالاخ عبد الخالق وقضينا مع بعضنا ساعات جميلة فكان مما قال لي : ما كنت أحسب الاخ الحليوي يجيد الشعر ولكن هاته القصيدة كشفت له عن ناحية من نفسه كانت محجبة.

وسألته عنك سألته كثيراً، فكان مما قاله لي عنك: انك ناظم ساخط على «العالم الادبي» وانا اشاركك أيضاً في السخط عليه. فقالت له: وهل هذا. هو السبب في انقطاعه عن الكتابة؟ فقال: إنني أخشى... فقلت ماذا؟ قل... قال: إنني وجدت في الاخ فتوراً عن الادب والحديث وأحسست كأنه عازم على هجرانه، وأخشى أن يكون حب «المادة» قد حل من قلب صديقنا محل النزعة الادبية. فشعرت كأنما طعنت بسهم من نار وقلت: ماذا؟ أينتحرك؟ لا ان هذا لمستحيل - قال: وهو يغالب المرارة التي فاض بها قلبه «نعم نعم، انه ينتحر.. قلها ولا تخف» ولا أزيدك فقد طغت آلامي، وشعرت باليأس يتمشى في قلبي، ليلتهم ما بقي فيه من زهرات الامل القليلة وقلت: إن تونس ملعونة ولن ينهض الأدب الحيّ فيها بعد اليوم، أكذا قضى القدر العاتب الغشوم أن لا ترفع تونس رأسها يوماً من حضيض الموت، أقدرَ لهاته الجيف المنتنة أن تتكلم وحدها في هذا الفضاء الجميل! إن هذا لا يطاق.

كذلك قلت لنفسي وكذلك قلت لذلك الصديق. ولكن انت ماذا عساني أقول لك؟ أناشدك الله يا صاحبي أن لا تفعل، لا تنتحر، لا تهجر الادب التونسي المريض الذي يحتاج الى أذرعة كذراعك تسنده في سبيل الحياة الوعر... ولئن فعلت بعد هذا النداء بل هاته البضاعة لابتن حبل الصداقة التي بيننا ولو تمزق قلبي، ولا تذكر بعد اليوم أن لك صديقاً نفته صروف الحياة الى حدود الصحراء، أجل يا صديقي يجب حينئذ أن تدفن تلك الصداقة في قبر عميق ولا نشيعها حتى بدمعة أو قصيد.

ومالي أكتملك الحقيقة؟ إن لي معارف كثيرين ولكن خلصائي من بينهم أقل من القليل ولكنني أعطف على هؤلاء الخلاء ولا أحترم منهم غيرك، هذه حقيقة يجب أن أقولها ويجب أن تعلمها أنت أيضاً. أحترمك لأنني أجد في أدبك روحاً وقوة لا أجدها عند سواك وهاته الروح والقوة هي التي أعلق عليها آمالا ضخاما. لا تخجل يا صديقي فإنني لا أداجي وانما أصارك في موقف حاسم، في تكوين

الادب التونسي الحي الجدير بالخلود وفي تحطيم هاته الأصنام الخشبية التي تحتل مكاناً من الأدب، يجب أن يحتله الاحياء الذين يعرفون كيف ينفخون في الشعب روح الحياة والذين يعرفون كيف يعلمونه محبة الحق والقوة والجمال. نعم يا صديقي فإنني لا أعلق على غيرك ممن أعرفهم من الأدباء ما أعلقه عليك من احياء الادب ورفع اسم تونس، تونس العزيزة، عالياً بين أسماء الشعوب. ولكنك أنت بهجرانك الأدب أو بانتحارك - كما أقول أنا - تقوض كل هاته الآمال وتهدم هذا البناء المشيد! فأنظر أي صنيع تصنع يا صاحبي وأنظر أية جريمة أنت تقدم على اجترامها!... ان هاته الثورة التي تعصف في جوانب صدري لا تهدأ ضجتها ولا يسكت هديرها ولا يخمد طغيانها العارم المزيد وإن المعاني لتزدحم وتتصارع في رأسي بصورة مرعبة، وإنني لعاجز عن أن أصور اليك الآن ما يصطفق في قلبي الآن من ثورة وسخط وغضب وحيرة وشك وتساؤل وآلام، ثورة على القدر وشك في المستقبل، وآلام لحظ تونس المنكوس.

ربما عذرتك على عدم كتابتك في «العالم الادبي» ولكن كيف تريد مني عتباك في هجرة الادب والانقطاع عنه؟ على أنني حين أفكر وأرجع الى نفسي لا اعذر حتى في انقطاعك عن «العالم الأدبي» فلتقل ما شئت في خطة الصحيفة وفي صاحبها ولتقل ما شئت في مواضيعها الغثة الباردة المستثقلة المرذولة ولكن الا يحز في قلبك وينغص عليك الحياة أن يقول عنا أبناء العالم: ان هاته الاصوات الميتة والاصداء الخافتة هي كل ما في تونس من صيحات الحياة؟ اما أنا.فإنني حين أفكر في هذا يسودّ الفضاء المنير أمامي وتتضايق حوالي رقعة هذا الوجود، لتتحمل يا صديقي كل شيء في سبيل النهوض بتونس وآدابها ما دمنا انما نجاهد لاحياء الوطن والرفع من شأنه بين الشعوب، فان المجاهد يا صديقي ليفترش القش وحتى المزابل اذا اضطره الدهر والنتيجة يا صديقي تبرر الوساطة، كما يقول المثل.

هذا ما استطيع أن أكتبه اليك الآن وانني في انتظار كلمتك التي أرجو أن

تكون بشارة باقلا عك عما عزمت عليه وبرجوعك الى الكتابة في « العالم الادبي »
اقتناعا بما ذكرت لك والسلام .

صديقك المخلص : أبو القاسم الشابي

ملحوظة :

ان ثورة نفسي هي التي جعلتني أكتب اليك بهاته اللهجة وهذا
الاسلوب وانها لبادية حتى على خطي السقيم المرتعش ...
حاشية تافهة .

كنت وجهت اليك عقيب عيد الفطر صنيديق « دقلة » ولم تخبرني
عنه فلم أدر ماذا صنع الله به ؟ وصلك أم لا ؟

الرسالة الثالثة عشرة

تونس في محرم الحرام سنة ١٣٥١ (*)

حضرة الاخ الفاضل المحترم سيدي محمد الحليوي .

تحية وسلاما .

وبعد فإنني أكتب اليك الآن وأنا على فراش المرض بالمستشفى وتحت مراقبة
لاطباء وعلاجهم من نحو ستة أيام ، وقد كان دخولي الى المستشفى فجائيا وغير
متوقع أصلا لأنني قدمت الى الحاضرة يوم الثلاثاء الماضي لقضاء بعض مآرب
وحالتي الصحية على غاية ما يرام فما قضيت يومين بالحاضرة حتى اشتدت عليّ
العلة وشدت علي بآنيابها فدخلت المستشفى مكرها ، وعلى كل حال فان حالتي
الآن خير من يوم الدخول وإنني أتوقع قرب خروجي منه أن شاء الله .

(*) ماي ١٩٣٢ .

وقد كان الدكتور « بروك » لما فحصني في الشتاء أمرني بعدم قضاء المصيف بتوزر فقرر قراري على قضائه بنابل بجوار الصديق محمد البشروش واتفقنا على ذلك أو كدنا ولكن ذلك لا يتم الا بعد العطلة الصيفية التي لم يلبث عليها بالنسبة للآخ البشروش الا نحو أيام ٢٠. وحيث أنني وشيك الخروج من المستشفى - فيما أظن - فإنني لا أرغب في قضاء هاته الايام العشرين بالحاضرة ولا بتوزر لان كليهما لا يلائمني مناخه الآن.

وبودي لو أقضى تلك الايام بجوارك - ولهذا فالمرغوب من أخوتك ان تبذل جهدك في أن تبحث لي هناك عن « منزل » أستقر فيه هاته المدة القليلة وتعلمني بمقدار الكراء كما تبحث لي هل من الممكن أن أجد عجوزاً يمكنني أن أعتمد عليها في غسل ثيابي وطبخ طعامي الذي أعتقد أنه سيكون على غاية من البساطة والخفة والضبط ولا أحسب الطبيب يرخص لي الا في أكل الخضر واللبن والغلال فحسب.

هذا ما أرجو منك أن تجيبني عنه بسرعة وفي انتظار الرد تقبل تحيات أخيك المخلص.

أبي القاسم الشابي

ملحوظة:

كاتبني بسرعة بالعنوان التالي:

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي القاطن بالمدرسة الجاسوسية نهج باش حانبة عدد ٧ بتونس.

الرسالة الرابعة عشرة

تونس في صفر ١٣٥١ (*)

أخي:

تحية وسلاما ،

وبعد فقد أنهيت اليوم علاجي وغداً عشية أقدم نحوك في السيارة الكبرى ان شاء الله ولكنني لا أستطيع لسوء الحظ أن أمتع النفس بلقياك أكثر من يومين أو ثلاثة وذلك إنني كنت عازماً كل العزم على قضاء المصيف بكامله ببني خلاد - كما اتفقنا ولكن الطبيب أبى ذلك لما عرضته عليه ورغم بياني له ان الجهة صالحة من كل الوجوه فإنه أصر على رأيه قائلاً: ان الزيتون رغم فوائده، لا أهمية له بالنسبة الي وانما المهم لي فهو هواء الصنوبر الذي أهواه من كل قلبي أو هواء « الكلتوس » وأيضاً فإنه يؤثر لي الجهة الجبلية على الجهة المنبسطة السهلة ولذلك فقد قر قراري على « عين دراهم » لتوفر شرطي الطبيب فيها وقد أكتريت فيها محلاً بثمان ربما كان باهظاً .

وإن أسفي يا أخي يا أخي لعظيم جداً والله لحرمني من متعة حديثك وأدبك وهي متعة أعذب الى من جمال الطبيعة والحن الوجود الشجية ولكن ماذا تراني أصنع ؟ ليس لي الا أن أزورك هاته الزورة القصيرة وأنا غير قانع .

هذه كلمتي الآن اليك وختاماً تقبل تحيات وأشواق أخيك :

أبي القاسم الشابي

حاشية:

عفوا يا صديقي! فقد جاء كتابي بالرغم عني ممتلئاً بالحديث عن

(*) جوان ١٩٣٢ .

نفسى خاصة وقد كان بودي أن أحادثك في ما هو أجل وأسمى . لكن
هكذا كان .

أرجو أن أجد عندك المقال « الشمس والقمر في الأدب العربي »
لأرجع به .

لا أستطيع ان أزيد فان الساعة الآن نحو نصف الليل وأنا أكتب
على عجل وسلام عليك من أخيك .

الرسالة الخامسة عشرة

عين دراهم : في ربيع الأول سنة ١٣٥١ (*)

أخي الاعز حفظه الله ،

تحية وسلاما ،

وبعد فقد اتصلت برسالتك بعد طول السكوت فلم أدر هل أطرب أم أعتب
تقول يا صديقي انك لم تتصل مني بأي خبر مع إنني بمجرد وصولي الى هنا
أرسلت اليك بمنظر من مناظر « بلد السحر والشعر والاحلام » وفي تلك الكلمة
القصيرة قصة موجزة من اعجابي بهذا البلد وافتتاني بما فيه من فن وجمال على
أنني لا أكتمك إنني فكرت واعتزمت الكتابة اليك عن هذا البلد الصبوح وغاباته
الملفوفة في الضباب وأوديته البديعة الخضراء وجباله المكمللة بأشجار السنديان
وأردت أن أبسط اليك صورا من نفسي وحياتي في ظلال الغاب الذي قلت فيه من
قصيد لم أتمه :

بيت بنته لي الحياة من الشذى والظل ، والاضواء ، والانغام

(*) جولة ١٩٣٢ .

بيت يرف عليه سحر غامض ساه، ويخفق فيه روح سام
وان الصور والافكار التي أردت أن أحدثك عنها ما زالت الى الآن تجوب
جوانب نفسي ولكن الكسل أو الملل أو الخمول أو كل ذلك منعني عن الافضاء
بها اليك. تقول اننا لم نلتق حتى في مجلة «العالم الأدبي» وهذا غير صحيح
لأنني أسمعك صوتي في العدد الاخير وربما كان صحيحاً من ناحيتك أنت
لأنك ما زلت معتصماً بسكوتك الذي لا أحمده رغم ما قطعته على نفسك من
عهود ووعود وإنني يا صديقي لآلم كل الالم حينما أنظر اليك فأراك تؤثر
الصمت على التحدث بأفكارك وخطراتك وتستسلم بكليتك الى تيار تلك
المجتمعات الزائفة الفارغة «الثرثرة» وبعد هذا فإنني أريد أن أنقذك يا صديقي
ان سمحت: لقد قلت انك نظمت قصيداً في الاحتفاء بالوفد الذي جاء من
صفاقس لزيارة أبي زمعة!

أمثلك يا صديقي يسف بمواهبه ونبوغه الى مثل هاته السخافات والمحقرات
ويصبح بين ليلة وضحاها شاعراً مداحاً وينشر اثره بجريدة «الوزير» بعد أن كان
فكراً سامياً وروحاً قوياً ساحراً كنا نرجوه لاهياء الادب الميت والنهوض بروح
الشعب الفنية من كبوة طال عليها العهد. إنني أعتقد انك في قرارة نفسك تسخر
كل السخر بما أتيت، لان ما اعرف من أفكارك وآرائك لا ولن يرضي عن هذا
الصنيع. واذن فما الذي دفعك في هاته السبيل التي لا تسلكها مختاراً؟ انه الشعب
الاحمق المأفون وتيار تلك المجتمعات السخيفة الزائفة قبحها الله. ولقد كنت
تحدثني أنك تأنف من نشر آثارك في مجلة «العالم الأدبي» لانك لا ترتضي
مشربها المزدول، فما بالك تنزل الى النشر في الوزير؟ هل ان المبادئ شيء
والعمل شيء آخر؟ كلا! فانك عندي وفي نفس الحقيقة أرفع من هذا وأجل
ولكن هو المجتمع السخيف دفعك الى اقرار الخطئة الأولى والثانية فكنت آثماً
مرتين. وأنا أرجو يا صديقي أن تكون فوق بواعث الجماعات الحقيرة وصغائرها،
هاته الجماعات التي هي عندي:

لعب تحركها المطامع واللهي وصغائر الاحقاد والآراب
أود أن أراك أبداً فوق هاته الجماعات الثرثرة لأن ذهنا مثل ذهنك لا ينبغي
أن ينساق في موج هاته الجماعات الصغيرة التي لا تستحق الا العطف والرثاء أو
السخر والاستهزاء هذا نقد شديد يا أخي ولكنه الحب الصادق والتقدير العميق هو
الذي أملى تلك الشدة وما أحسب صدرك الواسع الحليم سيتقبل نقدي بما
أعده فيه من ود وإخاء .

أما المعافاة فان سيرها بطيء جداً حتى إنني وانا محوط بعوالم من جمال
وسحر قد ينقبض قلبي وتضيق أمامي رقعة هذا الفضاء وتسد عليّ السّامة والقنوط
كل مذاهب المتعة والفكر والاحلام فأقتل ضجري بالنشيد وأزجي ركب الحياة
المبطيء الكئيب بأنغام تلهمني اياها الغابة المصغية لشدو الطيور .

أما الشعر فقد لبثت نحواً من عشرين يوماً لا يخفق في نفسي شذوه أو غناؤه
ثم أخذتني النوبة وانا لها كاره فلفتني في مثل العاصفة الهوجاء التي لا ترحم
وملات على صفو الحياة السنة الهواتف التي لا تسكت وتهادت حول قلبي الصور
والأشباح والخواطر والذكر ولم تفارقني في نوم ولا يقظة حتى لقد اضطرب على
النوم في اليومين اللذين استيقظت فيهما روح الشعر الخفية الغامضة وحتى رجوت
من الله أن يرحمني وينقذني من هاته الثورة العنيفة العاصفة وقد فعل .

لقد قلت : « أخذتني النوبة » وهي حقيقة فإنني منذ عام أصبحت ألبث الشهر
والشهرين لا يتحرك في نفسي صوت ولا صدى ثم تأتي النوبة بعنف وشدة وتلبث
اليوم واليومين والثلاثة تنغص عليّ فيهما الحياة ثم تخبو وتغيض - وتلك صورة من
نفسي فحدثني عن نفسك وآمالك وأفكارك يا صديقي .

أبو القاسم الشابي

أرجو أن تزورني هنا فان الاخوان: خريف ومهيدي سيزوروني ولا أخالك
تبخل بالزورة والسلام .

الرسالة السادسة عشرة

عين دراهم في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥١ (٠)

حضرة الأخ الأعز
تحية وسلاماً

وبعد، فقد رأيتك في رسالتك تنقم على مجلة «العالم الأدبي» ترشيحها للشعراء الثلاثة وترى أن ذلك الترشيح لا يخلو من ريبة وشك وبهتان وتعزم على ابداء رأيك في الموضوع بحرية تامة وعلى اتمام موضوعك الموعود «الشعر في تونس».

وقد حمدت لمجلة «العالم الأدبي» إغضابك الذي سيثيرك من خمولك ويهز من نفسك وترّاً طالما حاولت ايقاظه ثم لبثت أنتظر هذا الموعد المأمول في النهضة فلم أجد لحد الآن شيئاً سوى أخبار مجلة «العالم الأدبي» بعزمك ذاك واعلانها انتظار كلمتك وانني لا أخالك إلا جاداً في تسطير رأيك أو ربما كنت قد أتممته وهو الآن بإدارة النهضة ينتظر دوره. أليس كذلك؟

لست أدري وإنما ننتظر الجواب منك أو من المستقبل المنظور.

اننا ننتظر! والسلام عليك من أخيك:

أبي القاسم الشابي

(٠) ١٢ أوت ١٩٣٢.

الرسالة السابعة عشرة

عين دراهم: في ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ (*)

أخي الأعز
تحية وسلاماً

وبعد ، فقد مضى علي شهر وأنا بعيد عن عين دراهم بين الحاضرة ومجاز الباب وقد تصرم ذلك الشهر في لجاج وخصام وأعمال مادية ممضة مؤلمة حتى لقد حسبت أنها سيكون لها أثرها السيء في التأثير على صحتي ولكن الله سلم فإن صحتي الآن خير من قبل وقد كان لمقالك « الشعر في تونس » أثره الهائل وصداه البعيد في الأوساط الأدبية بالحاضرة فقد أثار ضجة عاتية من السخط والنقمة والإعجاب والنقد وأنني لشاكرك عليه يا صديقي إلا أن لي بعض ملحوظات نقدية تتعلق ببعض الأفكار التي تضمنها ربما نشرتها قريباً في « العالم الأدبي » أو الزمان وعلى ذكر « الزمان » فإنني أعلمك أن الأخ « مهدي » قد قرر تخصيص قسم أدبي به كل أسبوع وإن مقالات الأخ عبد الخالق هي البداية في هذا الصدد ولهذا فإنني أعتقد أنك لا بد أن تخرج من صمتك الطويل لتبحث في الأدب الذي اشتاق الى قلمك فإن أمامك الآن « الزمان » العالم الأدبي ولا عذر لك في السكوت بعد الآن.

اتصلت عند رجوعي أول أمس - برسالتك الكريمة وإنني لأشكرك على ما أظهرت فيها من اخاء غير مجهول وإن كنت لا أرى داعياً لمثل هاته التحيزات فيما بيننا علم الله فإن صداقتنا خالدة لن تضعف أو تزول وإن كنت تحسب أن النقد ربما يعصف بهاته الرابطة السرمدية التي بين قلبينا فإنك واهم يا صديقي وقديماً قلت لك في بعض رسائلني إن الصداقة شيء وحرية الرأي شيء آخر. وإذن

(*) ١٩ سبتمبر ١٩٣٢ .

فلنكن صديقين ولتكن لنا آراؤنا الحرة في الحياة ومن بينها أنا وأنت .

ظهر كتاب جديد تحت عنوان « على السفود » عباس محمود العقاد ولم يذكر عليه اسم مؤلفه وإنما قيل : « لإمام من أئمة العربية » وما أحسبه إلا الرافي - فإن مقدمة الكتاب تشتم منها روحه المستثقلة المردولة وأسلوبه المتكل الممجوج - تناول فيه العقاد شاعراً وكاتباً وفيلسوفاً والحق أقول لك يا صديقي إنه قد ترك العقاد بالحق والباطل هيكلاً محطماً وصنماً مسحوقاً وقد ركب العقاد في هذا الكتاب بالدعاية الخبيثة والمجون الأليم والسخرية التي لا تنتهي عند حد ولا تتخرج من غاية مهما سفلت حتى لقد سمي العقاد بـ « المراحيض » لأن العقاد قال في ابن أخته :

مرحاضه أفخر أثوابنا

وأخيراً فإنني آسف جد الأسف على أنك لم تزرني في هاته البلاد ، أما أنا فإنني رغم ذلك لا بد أن أزورك قبل رجوعي الى الجريد .
فإلى اللقاء يا صديقي في رسالتك المنتظرة قبل بني خلاد وسلام عليك من أخيك :

أبي القاسم الشابي

الرسالة الثامنة عشرة

تونس في ١٧ جمادى الثاني ١٩٥١ (*)

حضرة الأخ الأعز
تحية وشوقاً

وبعد، فقد كنت مع الأخ المهدي حين اتصل بكتابك وصحبته مقالك عن الرافعي والعقاد وكم كنت مسروراً وأنا أمني النفس بليقياك يوم الأحد كما قلت. ولكن أبي الله علي هاته الفرحة الصغيرة الكبيرة في آن واحد فقد قضت عليّ ضرورات الأيام القاسية أن أغادر الحاضرة إلى مجاز الباب يوم الجمعة وأن لا أرجع منها إلا عشية الأحد وبعد سفرك بنحو ساعة!... وفوق ذلك فإنني لم أقض المآرب التي غادرت الحاضرة لأجلها ورجعت كما ذهبت بلا شيء... إلا حيرة الفكر وعبء العمل التائه.

لقد مللت يا صديقي وطأة هاته الظروف الثقيلة ولكن ما عساني أن أصنع وليس لي من ولي أو نصير في زحمة هاته الدنيا المرهقة.

وأخيراً فإنني سأخفف بليقياك عن النفس بعض ما بها من مضض الدنيا ونكد الأيام، فانتظرنني مساء الأربعاء بعد غد فإنني قادم نحوك في السيارة الكبرى التي تصلكم مساء. وتقبل تحيات أخيك وأشواق قلب أبي القاسم الشابي.

حاشية:

لك التحيات والأشواق من الأخوان: عبد السلام الشابي، أحمد الشابي، مهدي، خريف.

أبي القاسم الشابي

(*) ١٨ أكتوبر ١٩٣٢.

الرسالة التاسعة عشرة

عين دراهم: في ٢/٦/٥١ (*)

أخي الفاضل الأعز. أمتع الله به
تحية وسلاماً

وبعد، فقد لبثت نفسي تدافعني الى نقدك وأدافعها ردحاً من الزمن بعد ما كاتبتك. ثم أنني كتبت النقد بعد صراع مع النفس عنيف وهو ينحصر في نقط ثلاثة:

(١) حصرك وظيفه الشاعر في تصويره لعصره ومصره.

(٢) جعلك لبشار شاعر فلسفة وكلام.

(٣) اتخاذك الشهرة مقياساً لعظمة الأدب.

والذي دفعني الى اشراك القراء في هذا النقد:

(١) ما يفهمه الناس من أن النقد والعداء لفظتان مترادفتان.

(٢) سكوتك أنت طيلة العام الماضي واعتزالك الأدب والكتابة.

وقد صرحت بهذا في نفس المقال: على أنني أحسب أن ما دفعك إلى هاته الآراء التي استغريتها منك إنما العجلة في كتابة مقالك فإن عليه طابع السرعة والتعجل ولكن إذا جاز لنا أن نتعجل يا صديقي في كتابة رسالتنا الخاصة فإنه لا ينبغي لنا ذلك ونحن نكتب الأدب للعموم.

لا أدري ما سيكون رأيك فيما كتبت؟

وصلتني رسالتك أمس وأنا أكتب آخر كلمة من المقال وما أخرني في كتابته الى هذا الحد إلا شواغل واجتماعات ما كانت في الحساب، ثم حيرتني بين الإقدام على النقد والإحجام عنه. ولهذا فإنني لن أوجهه في البريد لأنني سأذهب

(*) ٣٠ أكتوبر ١٩٣٢.

الى الحاضرة يوم الأحد المقبل ان شاء الله ولهذا فالأفضل أن أحمله بنفسى حتى أقف على تصحيحه، فان مصيبة الأخطاء المطبعية شنيعة في هاته البلاد.

لا أدري إلى الآن هل أنشره بالزمان أو بالعالم الأدبي وحينما أذهب الى الحاضرة أقرر أحد الرايين.

رأيت كلمتك عن «العالم» وأنا ما كنت أتوقع منها غير ذلك فقد كنت أعلم أن رئيس تحريره ليس سوى آلة يديرها محي الدين و... ومن لف لف هذين من تلك الطائفة المردولة. إذا شئت أن نتلاقى بالحاضرة يوم الجمعة المقبل فإنك تجدني بالمدرسة اليوسفية، يصلك كتاب «على السفود» صحبة هذا - انني أعذر إليك من هاته الخلطة والخلط والأفكار المشوشة والجمل البتراء، فإنني أشعر بفتور ذهني وملل نفسي وسلامي عليك مضاعف.

أخوك: أبو القاسم الشابي

الرسالة العشرون

توزر «الشابية» في ١ شعبان ١٣٥١ (*)

صديقي العزيز،

تحية وسلاماً وبعد، فقد اتصلت أمس برسالتك الصغيرة التي كانت بشيراً أثلج الصدر وسر الفؤاد وأزاح عنه عبثاً ثقيلاً من المخاوف والأحزان والشكوك وأنني أهنتك بنجاح عملية الوالد وأسأل الله أن يمتعك به ويمتعه بك عمراً طويلاً ودهراً مديداً.

وانني وجهت لك اليوم على طريق البريد صندوق دقلة من ذوات العشرة

(*) ٣٠ نوفمبر ١٩٣٢.

كيلوات وفي الختام تقبل تحيات صديقك المخلص :

أبي القاسم الشابي

حاشية :

لقد كان بودي يا صديقي أن أطيل معك الحديث ولكنني لا أستطيع الآن فإنني مضطر أن أحرر الساعة تسع رسائل وأكثرها مما يقتضي الإطالة فألتمس عذرك في هذا الإيجاز المقتضب ولعل المستقبل يغفر سوء الحاضر - والسلام .

الرسالة الواحدة والعشرون

توزر « الشابية » في ٥١/٩/٤ (★)

أخي الأعز ،
تحية وسلاماً ،

وبعد ، فإن الليل الآن صامت ساج ، والطبيعة هادئة ساكنة . والناس لا تذون بالبيوت من برد الظلام ، وأنا والأخ عبد الخالق نتحدث فيما سنفضي إليك به .

لقد فكرت أنا والأخ عبد الخالق في تأسيس مشروع لا غاية له سوى النهوض بالأدب من كبوته في هاته البلاد المنكودة ، فكرنا في أن نبذر نواة الحياة الأدبية في تونس وذلك بأن يضع كل منا مقدراً من المال بإحدى البنوك أو بعض فروع البريد وما يتجمع من الأصل والفائدة يكون تحت طلب من يريد طبع كتابه من المؤسسين ، فيطبع منه كتابه كقرض يقترضه ثم يؤديه بعد ذلك وهكذا دواليك .

وبهذا نكون قد فرجنا أزمة النشر في تونس على بعضنا - في الأقل - وهاته

(★) ١ جانفي ١٩٣٣ .

الفكرة قد كنا تفاوضنا فيها في الصائفة الفائتة وكنت أنت من محبذها والداعين إليها. وهي لا تحتاج إلا للعمل والتنفيذ وتنفيذها سهل للغاية فإننا اذا وضع كل من ثلاثتنا فرنكات ٧٠٠ لهذا الغرض أو ألف على الأكثر تكوّن المشروع وبرز إلى حيّز الإيجاد. على أننا يمكننا بعد ذلك ادخال عناصر أخرى معنا ان كان ذلك ميسوراً وإلا فحسبنا اننا عملنا لفائدتنا عملاً منتجاً مفيداً.

ولهذا فقد عرضنا عليك فكرتنا وفي انتظار الجواب تقبل تحيات أخوك :

أبي القاسم الشابي - محمد البشروش

حاشية :

ورد علي في بحر الأسبوع الماضي العدد الرابع من مجلة « أبولو » المصرية وهي مجلة « لخدمة الشعر الحي » كما يقول محررها. وهذا العدد الرابع خصصته بشوقي وأخباره وآثاره ودراساته بين شعر ونثر بصفتها هي لسان جمعية « أبولو » ولأن شوقي أول رئيس لهاته الجمعية ثم ورد علي بعد ذلك بيوم من سكرتير الجمعية ورئيس تحرير المجلة الدكتور « أبي شادي » مكتوب قال فيه إنه وجه لي العدد المذكور الى « مطبعة العرب » لجهله بعنواني الخاص وانه يرغب مني امداد المجلة بما يمكن من شعر ونثر. لست أدري هل وجه مثل هذا الكتاب لغيري من شعراء تونس وأدبائها وانني سأجيبه وأوجه له اشتراكي وشيئاً من الشعر.

أخوك : أبو القاسم الشابي

أهنيك بشفاء الوالد وأرجو لك في ظله حياة سعيدة منتجة.

الرسالة الثانية والعشرون

توزر في ٢٦/١٠/١٣٥١ (*)

أخي العزيز
تحية وسلاماً

وبعد، فقد وردت علي رسالتك الحبيبة فما ذكرت ناسياً ولا نشرت ما في القبور، ولكنها عانقت في النفس ذكراً لك حياً وولاء قوياً، فكيف سولت لك نفسك يا صديقي أن تحصب أخاك بظنون آثمة ليس لها من الحق نصيب، ولكن ما لنا ولهذا؟ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الود لك ما ظننت.

أما كلمة «قبر الفولاذ» التي راسلت بها الأخ البشروش فقد كتبتها أثر ثورة نفسية عصفت في نفسي ومن حوالي، وأنت تعلم أنني رجل نوبات - وقد كان من أسبابها أنني لم أقتنع بما في رسالتك الأولى من قول وحجة، وأنني أصارحك بعد أن قرأت رسالتك الأخيرة أنني مقتنع برأيك مؤمن به. وأنني أعتذر إليك عما في تلك الكلمة من قسوة وعنف بثورة النفس وضعف الاقتناع. فهل أنت غافر؟

وأنني على رأيك في أنه لا غضاضة علينا من الدخول في جمعية التأليف والنشر المزمع على تأسيسها في تونس - ان صحت - ولكن على شرط أن لا يكون في بنودها ما ينافي مبادئنا المقدسة التي كرسنا لها ما لنا من قوة وحياء.

شكوت يا صديقي من جمود الشعب، وركود الأدب وموت أحلام الأديب، وشكوت من قسوة هاته الحياة التي تجر الواحد منا على أن يحيا حياة السوق والرعاع، حياة السخافة والجمود، حياة المادة الصماء الضيقة التي لا ترحم فكراً ولا عاطفة ولا خيالاً، ولا تحيي مثلاً من الأمثلة العليا أو طيفاً من أطيايف الحنين الأعظم والشوق الإلهي النبيل... وهي شكاة لا تسمع في هذا القطر الضائع

(*) ٢٢ فيفري ١٩٣٣.

المغمور، لأنه لا يفهمها إلا أفراد قلائل. ولا يحس بها إلا الأقل، ولا يتغنى بها إلا بضعة قلوب غريبة هائمة في مجاهل الأحلام ولكن ما لنا وشكوى الحياة؟ فمن تألم لم ترحم مضاضته ومن تجلد لم تهزأ به القمم لنترك الألم جانباً، ولنصعد بأقدام ثابتة جبل الدنيا المقدسة جبل الفن والفكر والأعلام.

فالمجد في القمم الرفيعة، مالىء جبل الحياة بضوئه الخلاب ولنعرض بأبصارنا عن أشباح الموت وغيلان الظلام السارية في أعماق الوادي وفي شعاب الجبل، ولنصرف أسماعنا عن صرخات اليأس وأصوات الأبالسة، فإن في الذروة العليا موسيقى الوجود الخالدة وفجر الحياة السرمدي.

ولنرتفع يا صديقي بأجنحتنا الصغيرة فوق هاته الحيوانات الحقيرة النافهة ولنخلق في آفاق النور والحق والجمال بكل ما في إيماننا من حماس وبكل ما في شبابنا من قوة وحياة طموح.

كذلك يا صديقي أكتب حينما يهيج بقلبي روح الأمل وتطنى حوالي أمواج الشباب ولكنني اذا رجعتُ إليَّ نفسي وثابتُ إليَّ أشباحي الدامية وقرت حوالي أمواج الشباب وسكنت ألسنة الحياة الهاتفة، اذ ذاك تتراخى أجنحتي وتغشاني سكرة الموت وأهوى الى لجة اليأس المظلمة هوى « ايسكاروس » الى أعماق البحار. أجل يا صديقي، وان في نفسي من مضاعفات اليأس أضعاف ما أنت فيه: فهذا الداء الذي يخابلني كل يوم وساعة بأكفان القبر وظلام الرموس، هو وحده كاف لأن يهد عزائم الأقدار.

انه لا يحزنني شيء في هذه الدنيا أكثر مما يحزنني التفكير في أنني أموت قبل أن أؤدي رسالة الدنيا التي أحس أنني لم أخلق لغيرها في هذا العالم.

رسالة! أي سخافة وأي جنون؟ كبرت كلمة ينطق بها فمي ويكتبها قلبي على صفحة هذا القرطاس. ومن أنا حتى أوئل هذا الأمل أو أنتخب لهاته الغاية؟ ان

أنا إلا صدفة مكسورة تضطرب في لجة الزمان وستمسي بداداً في أكف الرياح
المظلمة اليوم أو غداً.

لست أدري يا صديقي كيف كتبت ما كتبت وهي على كل حال ثرثرة سخيفة
أرجو أن تمر عليها ببسمة مشفقة وأن شئت فلتكن بسمة الساخر الحنون.



ثم ماذا عساي أن أحدثك عن حياتي المقفرة؟ لا شيء فيما أظن، ولكن آه،
لقد ذكرت. لقد طلب مني في هاته الأيام طائفة من الشبان أرباع المثقفين أن
نسعى لتأسيس ناد أدبي بتوزر فقابلنا عامل الجهة وتحادثنا معه في هذا الغرض
فوجدنا منه نفساً غير نافرة وقد وعد بإعانة المشروع بما يستطيعه وقد أحضرت
منذ يومين القانون الأساسي وأظن أننا سنقدمه الى المراجع ذات النظر بعد يوم أو
يومين، وقد كان في الإمكان تقديمه اليوم أو أمس ولكن الجو منذ ثلاثة أيام
مغرب والرياح عاصفة تسفي الرمال على الأبصار فتكاد تعميها وتلحس الوجوه
ببردها الشديد فتكاد تسليخها، والناس - أو أنا ان شئت الدقة في التعبير - لا تذون
بالبيوت، بحيث أنني منذ زوال أول أمس لم أغادر منزلي. ثم ماذا؟ لا أدري
ولكن لأتناول رسالتك علي أجد فيها ما يفتح أمامي باباً للحديث ويدحو لي دنيا
من التفكير والكتابة..، إنك تتحدث عن «أبولو» وتقول: «انها مجلة عالية
وسيكون لها أثر عظيم في توجيه الشعر العربي من النزعة المدرسية الى النزعة
الرومانتيكية وقد أعجبت بها جداً...». وأنا أشاركك في هذا الإعجاب، ولكنني
أرى أن بينها وبين السمو خطوتين الأولى: أن يقسو صاحبها في انتخاب ما يرد
عليه فلا ينشر إلا ما سمت روحه وشرف أسلوبه حتى أصبح جديراً ولو أقل من
«كل الجدارة» أن يصير «فنا» فإني أراه في كثير من الأحيان ينشر بعض
الأشعار السخيفة المبتذلة في روحها أو أسلوبها بالرغم من أنه كثيراً ما يصرح
ويصرح له بأنه يجب أن يكون قاسياً لا يعرف مجاملة أو هوادة في سبيل الحق
والفن: ولكنها خطوة أعتقد انه سيخطوها في مقبل الأيام. الخطوة الثانية:

مشاركة عظماء مصر في تحريرها كالعقاد والمازني وطه حسين ومن لف لفهم، فإن الطبقة التي تحررها هاته الأيام وخصوصاً - في الناحية النثرية - ليست من القوة في شيء.

أما علاقتي أنا « بأبولو » فقد حدثتك في رسالتي السالفة بأنني وجهت لها قصيدتين ومعلوم الاشتراك وطلبت من صاحبها أن يوجه إلي الأعداد الأولى منها. وقد ورد علي كتاب منه بعد ذلك وطيه معلوم الاشتراك نفسه قائلاً انه يستمخني عذراً في إرجاعه لأن المجلة توجه الي كهدية خالصة وصحبته ورقة مطبوعة في طلب العضوية بجمعية « أبولو » وطلب مني تعميرها وامضاءها وتوجيهها حتى يضمن أسمى في ثبت أعضائها كما طلب أن أرسل صورتني لتشر بالمجلة كما أهدى إلي نسخة من ديوان له حديث اسمه « أشعة وظلال » ووجه الي الأعداد الأولى من المجلة، وإلى هنا أقف يا صديقي لأسألك ما رأيك في أخلاق أدباء مصر وصحافيتها الآن؟ ثم لأقول لك أيضاً: ما نسبة أخلاق أدباء تونس وصحافيتها إلى هاته الأخلاق النبيلة الفاضلة؟ لست أدري ما سيكون جوابك، وقد أهديته من « الخيال » نسخة ووجهت ثلاث قصائد لمجلته وصحبته مطلب العضوية والصورة، منذ نحو ٣ أيام.

ذكرت لي أن جريدة « السياسة الأسبوعية » عادت إلى الظهور، والذي أعلمه انها تظهر الآن باسم ملحق السياسة اليومية الأسبوعي. فهل عادت إلى اسمها القديم أيضاً؟

وذكرت أنك تريد أن تكاتب السياسة الأسبوعية وتنشر على صفحاتها وحي أفكارك. ورأيي أنا الذي يجب أن أصارحك به ان كبرياء مصر وفرعونيتها إنما تتمثل في جريدة السياسة الأسبوعية وجماعتها أكثر من كل صحيفة وفريق، وأني أفضل نشرك أبحاثك في « أبولو » لأسباب.

(١) لأنها مجلة خلقت لخدمة الأدب العربي بقطع النظر عن الفروق الوطنية والسياسية.

٢) لأن جماعتها أقل فرعونية وأدمت أخلاقاً من جماعة السياسة الذين على رأسهم هيكل أول داع للفرعونية ومشيد بها - وقد رأيت من أخلاق جماعة «أبولو» ذلك المثل الصغير الذي ذكرته لك .

٣) أن جماعة «أبولو» ما زالوا شبانا لم يبلغوا الكهولة بعد ولم يبلغوا من الشهرة وشيوع الذكر ما ينفخ في آناهم نفخة الشيطان بعكس جماعة السياسة .

ولهذا فإن اقتنعت برأيي وبدا لك النشر في مجلة «أبولو» فإن مما يسر أخاك ويثلج قلبه أن يكون واسطة التعارف بينك وبين جماعتها وأن ينشر أدبك وأدبه متناخين في سجل واحد ولا تحسب أنها لا تنشر إلا الشعر فإنها تسر بالأبحاث النثرية وخصوصاً إذا كانت حول الشعر العربي الحديث أو القديم أو الأدب الافرنجي .

وأني أنتظر بفارغ صبر رسالتك بالإيجاب وبحثك الرائع الجميل الذي لا أستطيع أن أنظر به ما نشرته المجلة لحد الآن من بحث ونثر . نسيت أن أذكر لك أن مما طلبه مني أبو شادي في رسالته الثانية أن أمدّه من حين لآخر ببعض الدراسات والأبحاث وعلى الخصوص في الأدب الفرنسي ! فصاحبنا يعتقد أنني أعرف الأدب الأجنبي ولذلك يطلب مني هذا الطلب . وانه ليحز في قلبي يا صديقي ويديمي نفسي أن أعلم أنني عاجز، عاجز، عاجز، وأني لا أستطيع أن أطير في عالم الأدب إلا بجناح واحد منتوف . فعساك إذن تلبي رغبتني، وأني في انتظارك .

لقد ظهرت مجلة أسبوعية جديدة تصدر مؤقتاً نصف شهرية تحت اسم «الرسالة» يحررها طه حسين وهيكل والعقاد وعنان وأحمد الزيات صاحبها وغير هؤلاء وهي مجلة قيمة ان دامت على مسلكها هذا وقد ظهر منها لحد الآن عددان - فيما رأيت - وصاحبها يزعم أنه أصدرها بمشاركة «جماعة الترجمة والتأليف والنشر» لرفع راية الأدب العالي الذي طغت عليه السياسة وأوراق الأدب الوضيع - فهل اطلعت عليها أنها من ألزم اللازم للأديب الذي يريد أن يتصل

معنويا بعظماء مصر في الوقت الحاضر .

لم أقابل الأخ البشروش من عهد بعيد . وسلام عليك من أخيك المخلص
أبي القاسم الشابي

الرسالة الثالثة والعشرون

توزر: ٢٨/١٠/١٣٥١ (★)

أخي العزيز ،
تحية وسلاماً

وبعد ، فقد أهداني أخونا مصطفى خريف - أول أمس - ديواناً جديداً للعقاد ،
اسمه « وحي الأربعين » وهو يقع في نحو التسعمائة بيت ، في شكل جميل صغير
وطبع متقن وورق مختار . وفيه ما شئت من فلسفة ناضجة في الحياة والناس .
وغزل مطلول ، ووصف شامل نفاد ، وسخر لاذع عميق أما أسلوبه فهو أرقى من
أسلوب أشعاره الماضية ، ولا غرو فهو شعر العقاد نظمه حوالى عام الأربعين من
سني حياته - وهذا هو وجه التسمية ، وأني أرجو أن لا يفوتك اقتناؤه .

لقد مر بي أمس حضرة الأخ البشروش في طريقه الى صفاقس لامضاء امتحان
الترسيم وقد سلم الي رسالته إليك وقصيده اللذين يصلانك صحبة هذا . وقد رغب
إلى أن أقول لك انه يرغب أن نطلع بعضنا على رسائلنا التي نتبادلها حتى تكون
هاته الرسائل بمثابة صحف خاصة . بحيث أنني أطلعه على رسائلك التي ترد الي
ويطلعني كذلك ونطلعك نحن على رسائلنا المتبادلة . وبناء على ذلك سلم إلي
رسالتك لأطلع عليها . وقد أضاف الى قوله المتقدم : انها ربما يأتي عليها اليوم

(★) ٢٤ فيفري ١٩٣٣ .

الذي تنشر فيه على الناس كما يفعل ذلك أدباء الغرب في كثير من الأحيان. أما أنا الآن، إن شئت أن تعرف ذلك، فإن نوبة الشعر تمتلك على عواطفني وأفكاري وإن ربة الشعر تعزف على قيثارها الذهبية أناشيدها بعنف هائل ترتج له أعصابي المرهفة، ولست أدري متى تسكن « النوبة » وتتوارى ربة الانشاد في أفقها الغامض البعيد.

لقد كنت حدثتني في رسالة سابقة عن « مزامير داوود » فإن أمكنك توجيهها الي قريباً فافعل ولك الشكر.

لا زلت أنتظر رسالتك في شأن « أبولو » اننا نريد أن نرفع من رأس « تونس » بما لنا من حول وقوة فكن ثابت العزم قوياً على الأيام.
سلام عليك وألف شوق وولاء خالد.

أخوك المخلص
أبو القاسم الشابي

الرسالة الرابعة والعشرون

توزر الجريد الشابية ١٣٥١/١٢/٣ (★)

أخي الأعز،

أحييك، وأهنيك على نجاحك في دراسة رومانتيكية الأدب الفرنساوي، أقول أهنيك بالنظر لما أثارت في نفسي من لذة وإعجاب ولما أدركت فيه من دقة واستيعاب. وإلا فإنني لا أعرف الأدب الفرنساوي - كما تعلم - حتى أقول لك أنك وفقت كل التوفيق في الإحاطة والدرس والاستنتاج، وإن كنت أشعر أنك

(★) ٣٠ مارس ١٩٣٣.

كذلك فإن ما طالعت من دراسات عن هذا الأدب يسمح بأن أقول هذا القول. أما كلمتك عن ابن رشيق ورأيه في الشعر والشاعر فهي كلمة موفقة كل التوفيق سديدة كل السداد، وأنني لا أشك أن أبا شادي سراسلك معجباً طالباً إمداد المجلة بدراساتك القيمة، أما أنا فإنني لا أريد منك أن تكف عن العمل منتظراً ما ستكون النتيجة مع «أبولو» وإنما أريد منك أن تتابع دراساتك عن الأدب الفرنسي وغيره وإنما ألاحظ لك أنني أود أن تضيف إلى الدراسة العامة عن أطوار الأدب الفرنسي، دراسة خاصة أثناء ذلك عن أعلام كل طور حتى تكون الدراسة وافية شاملة لها شواهد وآياتها.

اليوم وجهت دراساتك إلى «أبولو» ومعها ثلاث قصائد لي: ١ قلب الأم ٢ الأبد الصغير ٣ في ظل وادي الموت.

ولاحظت له عن الأخيرة أنها نشرت من قبل حتى يكون على بينة. كما أرسلت كلمة رد على الأديب مختار الوكيل وقد لاحظت أن يكون الرد وادعاً رقيقاً وأنني أصارحك أنني لما طالعت «أبولو» فكرت في الرد عليه حتى جاءني رسالتك السابقة فأيدت عزمي. وقد قدمتك إلى أبي شادي ولا أكتمك أن التقديم كان أقل مما يجب لأنني خفت أن أتهم بالصدقة وعواطفها إن فعلت كما أعتقد. وعلى كل فشيء خير من شيء.

زارني أمس الأخ البشروش في طريقه إلى بلده ليستريح مدة عشرة أيام أو نصف شهر لأنه يشعر بتعب كلي في بدنه أرهقه واستيقظت علته (الضعف العصبي) فأتعبته جداً شفاه الله، وهو يحييك معجباً بأدبك وإن كان لم يطلع على دراساتك هاته فقد اتصلت بها بعد سفره بساعة. تقبل تحيات أخيك المخلص لك:

أبي القاسم الشابي

ملاحظة :

كان مجموع دراستيك وقصائدي الموجه الى « أبولو » ظرفاً ضخماً يستطيع وحده أن يقوم بعبء مجلة شهرية!! ولهذا فإنني أعتقد أنه لو يوفق عزمان قويان الى التآلف لاستطاعا ان يخرججا إلى العالم العربي مجلة شهرية قيمة تجعل لتونس الحقيبة مكاناً رفيعاً في عالم الأدب الحي. ولعل الزمن يسمح بذلك يوماً! ومن يدري! لا تتوان عن مراسلتي أيها الأخ.

الرسالة الخامسة والعشرون

توزر الجريد الشابية ٢١/١٢/١٣٥١(*)

سلام على حضرة الأخ الفاضل العزيز

وبعد، فقد طالعت في « أبولو » الأخير كلمة كتبها بعض نكرات مصر عن ديوان العقاد علمت فيها أن العقاد قد استدل على مكانة شعره في نفوس العالم العربي - فيما استدل به - بكلمتك التي كتبتها في الرد على « إمام العربية » المزيف وفي الاشادة بالعقاد. وقد سرنى هذا الخبر حقاً ودلني على أن صوت تونس في الأدب لم يعد خافتاً ولا مجهولاً. وفي ذلك ما يهون على النفس بعض أشجانها. أما ذلك الكاتب الذي قال عنك أنك « نكرة » فإنه يحق لنا أن نتساءل: وأي المعارف هو؟ أما أنا فلا أراه والله إلا نكرة النكرات...

وقد كنا نتحدث - أنا والبشروش - حول هذا الموضوع حينما وردت علي رسالتك الأخيرة وفيها رأيك عن « وحي الأربعين » وإذا كان لي أن أنكر عليك

(*) ١٧ أبريل ١٩٣٣.

من هذا الرأي فهو زرايتك على العقاد نظمه البيت والبيتين وقولك أن النفس تأنف من ذلك وتأبى أن يكون نفسها غير ممتد!

فالعبرة يا صديقي عندي دائماً هي بنوع الشيء وعلو عنصره وكرم معدنه لا بكميته وكثرته وكم من مطولات ممدودة النفس لا يعثر فيها المرء على ما يسكر القلب أو يغذي الفكر. ثم ألا ترى معي أن قولك أن النفس تأبى إلا أن تكون ممتدة النفس هو ضرب من «تحكم الإرادة» الذي تنعاه على العقاد في شعره؟

أما أنا فلا أفهم من الشعر إلا أنه: فيض الحياة في أيقظ ساعاتها وأحفلها بنوازع الفكر والشعور، وكما ان السحابة العابرة قد تسيل السيول وقد تسكب القطرات، كذلك نفس الشاعر.

أما الأخ البشروش حينما اطلع على رأيك فقد قال مداعباً: ان الأخ الحليوي قد أشاد بشعر العقاد حينما رد على «إمام العربية» وقد ساقه العقاد حجة على أثر شعره في العالم العربي. وأنكر عليّ أن أجعل من العقاد شاعر «الاختيار» وها هو ذا ينفي عليه اليوم الشاعرية الصادقة الحرة! فبأي آرائه نأخذ؟ ما أرى إلا أن ننشر رأيه هذا الأخير ليطلع عليه العقاد وتكون له كلمة حوله!..

وافترقنا بعد ذلك واذا به يسجل دعابته تلك في أبياته التي تصلك صعبة هذا. ولست أدري ما قولك في قوله هذا.

بودي أن أطلع على كلمة العقاد التي استدل فيها بكلامك فان وقعت عليها فأرجو أن ترسلها الي.

ما زلت أفكر في أمر المصيف وسأعلمك بما أرسى عليه - سلام عليك من أخيك المخلص:

أبي القاسم الشابي

حاشية:

أعارني الأخ البشروش ديوان ابن زيدون الذي طبع حديثاً ولا

أدري هل اطلعت عليه أم لا - وأنني الى الآن لم أقرأه وربما تحدثت اليك عنه برأيي بعد قراءته - أما رأي العقاد في شعر ابن زيدون فلا أخالك إلا على علم منه .

أبو القاسم الشابي

الرسالة السادسة والعشرون

توزر الجريد ١٢/١١/١٩٣٣

عزيزي الأخ محمد الحليوي
سلاماً وتحية

وبعد ، فإنه تصلك مع هذا رسالة من هيئة « أبولو » وجهوها صحبة رسالة لي لجهلهم بعنوانك الخاص . واني لم أتصل بهاته الرسالة إلا أمس عند قدومي الى توزر . فقد وجهوها الى مصطفى « المشروحة » وفرع البريد هناك أرسلها الى توزر ، وأهلي تسلموها وأبقوها عندهم فلم اتصل بها إلا عند مقامي اليهم . وأغرب ما في الأمر وأدعاه الى خجلي العميق أن الرسالة الموجهة الي قد طلب الي فيها أبو شادي كتابة تصدير لديوانه « ينبوع » الذي يباشر طبعه الآن ووجه الي ثلاث كراسات وهي ما طبع من ديوانه لحد كتابة رسالته الي ، وقد ذكر فيها أنه يوافيني بكل ما يطبع من الديوان للاطلاع عليه اذا قبلت كتابة التصدير ، ولعله قد أيقن الآن أنني أبيت ما طلب الي وأنني غبي سيء الطبع لدرجة أن أرفض طلبه الرقيق الرفيق بهاته الصورة المخلة بكرامة الأدب وذويه ولا أقابل عواطفه إلا بهذا الاعراض والسكوت المرذول ! قد يكون ظنه مثل ذلك الآن فانه لا يمكنه ادراك ما ذكرته لك آنفاً . وقد لا يكون ظنه ذاك . ولكنني على كل حال كتبت له اليوم رسالة اعتذرت فيها بصورة الواقع .

وقد طلب الي في الرسالة إعلامه بعنوانك الخاص حتى يوجه إليك «أبولو»
وقد فعلت ولعلك أنت من طرفك تعيد كتابة القسم الضائع من دراستك القيمة عن
«الرومانتيسم» وتكتب اليهم غيره من الدراسات والأبحاث وتوافيهم بعنوانك أيضاً.
وان كنت قد قمت بهذا الواجب الأخير.

لعلك رأيت في الصحف أنني قررت العزم على طبع ديواني وفتحت باب
الاشتراك. وأنتي لمذنب كل الذنب اذ لم أكتب اليك بهذا العزم قبل أن يعلم به
الناس. وعساك لا تكون قد أضمرت لي شيئاً من التأنيب عن ذلك فلا يكون هو
الذي دعاك الى السكوت عن مراسلتي كل هاته المدة كأن قلبينا لا يخفقان
بأصدق عواطف الاخاء الصادق.

يصلك مع هذا، المقتطع به عدد عشرة وصلات أرجو أن تستعين أنت والأخ
سيدي الطيب السكيك والأخ الدبابي على ترويجها بين منزل بوزلفى وبني خلاد
ونيانو. ولكم الشكر. وأحسب ان ترويج مثل هذا المقدار في هاته الجهات الثلاث
لا يكلفكم عناء كبيراً. وتصلك مع هذا رسالة إلى الأخ السكيك وأخرى إلى الأخ
الدبابي أرجوك تسليمها اليهما.

كاتنبي سريعاً بما عندك من أخبار وأعمال أدبية وبما قررته مع «أبولو» في
القسم الضائع وغيره وبجواب الأخوين فيما يتعلق بالاعانة على التشريك وبمناسبة
ضياع قسم دراستك أذكر لك أنه ضاع لهم أيضاً قصيد لي عنوانه: «من أغاني
الرعاة» والغريب أنه ليس لي منه نظير صحيح وأنه هو القصيد الوحيد الذي
وجهته إليهم قبل أن آخذ منه نسخة صحيحة.
وأخيراً سلامي إليك. أخوك.

أبو القاسم الشابي

حاشية:

الأخ البشروش كلفني بأن أقرئك سلامه وأن أقول لك أنه يطلب

اليك أن توجه اليه رسالته حول أدب الأطفال لأنه بحاجة اليها.
واحسب أنه سيكتب اليك قريباً.

أما الآن فانه غريق في عمل يعمله - وسلام عليك.

أبو القاسم الشابي

الرسالة السابعة والعشرون

توزر الشابية ١٣٥٢/٨/٤ (★)

أخي العزيز ،
تحية وسلاماً ،

وبعد ، فقد اتصلت برسالتك وأنه ليسرني ما ذكرت فيها من أنك ستتبّع
دراستك عن الرومانتيسم بتحليل أعلامه وزعمائه ، واننا لما تكتب لمنتظرون .

وأظن أنني سأوجه اليوم أو غداً المقدمة لديوان «الينبوع» وهي في نحو
خمس عشرة صحيفة من الحجم الكبير . وقد تناولت فيها البحث في الأدب العربي
المعاصر ثم تناولت شعر أبي شادي بكلمة صغيرة تحرّيت فيها الصدق والحق
بدون تحيز له أو عليه .

كما أنني سأوجه لأبولو معها قصيدين لي ودراسة عن الخيام وقطعة من الشعر
المنثور للأخ البشروش .

ويصلك مع هذا متطعمان أحدهما به تسعة وصلوات والآخر به عشرة لبني
خلاد ومدرسة الترشيح - أما القيروان فقد كلفت فيها ثلاثة أفراد هم : سي التابعي
الأحمر وسي ابراهيم بن سالم وسي الشاذلي عطاء الله وكلفت كلا منهم بمقتطع

(★) ٢٢ نوفمبر ١٩٣٣ .

ذي عشرة وصولات وقد أنجز الأخ عطاء الله المقتطع الموجه اليه وأرسله الى صحبة رسالة فياضة بأدبه الرائع وخلقه الكريم - ولا أكتمك يا صديقي أنني ندمت على تكليفك بترويج المقتطع فقد جشم نفسه في سبيل ذلك أن جعل لنفسه أربعة اشتراكات ووزع ستة على بقية رفقاءه وهو عمل وان دل على طيب عنصر واخلاص متناه، إلا أنني لا يسرني أن يتجشم أخواني كل ذلك في سبيل معاضدتي وتشجيعي - ليس لدي ما أكتبه لك الآن - وقد كتبت هذا على عجل فكان خلطاً لا غير - أرجوك أن تحيي عني الصديق السكيك والسيد الدبابي وكل من لاذ بكم من اخوان.

وسلام عليك.

أبو القاسم الشابي

ملاحظة:

اتصلت برسالتك الأولى أيضاً، ووجهت لك اثرها «أبو شادي في الميزان» ولاحظت لك عنها في كلمة مع الكتاب فلعله وصلك. ولعلك ستوجه صورتك مع دراساتك الى «أبولو» فقد طلبوها منك. راسلني ما استطعت - فما أعظم شوقي الى حديثك

أخوك

الشابي

الرسالة الثامنة والعشرون

توزر: الشابية ٣٣/١٢/٨

أخي،

تحية وسلاماً،

وبعد، فقد طال انتظاري لرسالة منك تجلو عن النفس ما بها من ملال وتخفف عن القلب بعض ما بنوء به من تكاليف الحياة المتعاقبة في غير انقطاع فما موجب هذا يا صديقي وعلام تضمن على أخيك بما يسره ولا يكلفك عناء أو حرباً.

لعلك قد شغلك عنا ما أنت قائم به من تحرير دراسة المذهب الرومانيكي وزعمائه إذا كان ذلك فاني ليلج صدري مثل هذا العمل الجليل الذي أنت قائم به ولكنني أحسب ان كتابة كلمة من أحاديث نفسك وتوجيهها إلي من حين لآخر لا يكلفك جهداً ولا يأخذ من وقتك كثيراً لو عزمت.

وجهت لك اليوم صندوقاً من الدقلة على طريق البريد فتقبله هنيئاً مريئاً ولا تنس أن تعرفني بوصوله حتى أطمئن.

أقول « حتى أطمئن » لأن القدر هاته السنة - فيما أرى - لا يريد أن يسلك معي إلا سياسة المعاكسة والعناد وكيف يكون يا صديقي حال من يعتمد القدر معاكسته؟.. ذلك أني قد ضاع لي « باقاج » أتيت به من الحاضرة قيمته تزيد على سبعمائة فرنك. ونسيت كتباً بالحاضرة من بينها ديواني الشعري. أي نعم، ديواني الشعري! فأرسلت في طلب توجيه ما ذكر من نحو شهر ولكن القدر قد أبى ذلك رغم ما بذلت من جهد والحاح في المطالبة بالتوجيه.

واخيراً خبرت منذ أيام تسعة أنه وجه إلي على طريق البريد مضمون الوصول. ولكن رغم ذلك فقد مضت تسعة أيام ولم أتصل بأي خبر عنه.

فأعجب يا صديقي أو لا تعجب لهاته الأعاجيب المتعاقبة، ولو حدثتك عن كل ما يملأ نفسي وما يطيف بي من هاته المعاكسات في توزر هنا وفي مجاز (الباب) وفي الحاضرة وغيرها لملاّت صفحات. ولكنني أكتفي بأن أقول انه لم يمر علي مثل هذا العام في كثرة الهموم والشواغل التي لا تعقب إلا الألم والعذاب ووفرة الغم والكد.

لست أدري هل أحسنت صنعاً أو أسأت حين كتبت اليك ما كتبت مما يمضّ نفسي ويرضي قلبي ولكنني أدري أنها نفثة نفثتها وان كانت لا تصف لك من سخرية القدر بي الا جزءاً من مائة جزء. وأخيراً؟ لا أدري ما أكتب اليك بعد هذا الخلط المتدافع وانما أختصر وأقول سلام عليك من أخيك الذي ينتظر أن ينسى في أحاديث نفسك بعض هموم الحياة.

أبو القاسم الشابي

على الهامش:

لا أدري هل يصل اليك الكتاب والصندوق أم لا؟ فقد أصبحت لكثرة ما لقيت من عناد الأيام أعتقد ان كل ما يصدر عني أو يرد الي مقضى عليه بالضيايع. والا فهل ثمت ما أغرب من ضيايع الديوان وهو مضمون الوصول. ثم ضياعه في هاته المدة التي أوزع فيها اشتراكاته؟؟ أسأل الله ان لا يضيع. وإلا فقد ضاع من حياتي جانبها الحي الذي أحب....

الرسالة التاسعة والعشرون

توزر: الشابية ٣٣/١٢/١٩

أخي
تحية وشوقاً

وبعد، فقد اتصلت برسالتيك، وانها لسعادة روحية تلك التي أستمتع فيها بنجوى روحك وعقلك معا. واني لأستزيدك من هاته السعادة وأسألك أن لا تحرم أخاك منها من حين لآخر فإنني في كثير من الأحيان حينما تطفئ على نفسي كآبة الملل المبهم فأصدف عن الكتب والناس ويوصد قلبي عن جمال الوجود - كثيراً ما أرجع الى مجموعة رسائلك أتلوها فأجد فيها من صور نفسك الحية الواعية ما يذهب عني سامة القلب وينسيني جمود الأسى.

أكثر يا صديقي في رسالتك من اطرائي والاعجاب بمواهي التي لا أراها قد خلقت شيئاً مذكوراً - واني أسألك أن تعفيني من مثل ذلك فاني لأنوء بحمله وان سكوتك عن هذا لا ينقص شيئاً من هاته الحقيقة الخالدة وهي أننا قلبان متجاوبان بالمحبة والعطف والاعجاب والمطامح. وان كنت لا أنكر أن رسائلك تلك كثيراً ما شحذت من قريحتي وخففت من نقمتي على نفسي وسخطي عليها سخطاً يؤدي بي أحياناً الى أن أعترم هجرة الأدب والشعر اللذين لا أراني بلغت فيهما ما تطمح أشواقى إليه.

★ ★ ★

أما «دي فيني» فإذا أردت أن تكون مخلصاً للحق والفن والتاريخ فاكتب عنه كما برأه الله الذي ينقم هو عليه ويلعنه لا كما تريد هاته الحشرات الآدمية التي بلينا في تونس أن نحسب حسابها في كل شيء بدل أن ندوسها بأقدامنا ونمضي الى غاياتنا البعيدة في قمم الجبال.

نعم أكتب عنه كما هو غير حاسب لغير الحقيقة حساباً وإذا كانت نفس « دي فيني » نائرة متمردة ساخطة ناقمة من الله ما في وجوده هذا من بؤس وألم وعذاب واضطراب، فهل تكتب عنها كأنها روح صوفية متعبدة مستغرقة في تملي جمال العالم والاندماج بروح الله السارية فيه ؟ أم هل تظهره للناس في مظهر من يولي الحياة ظهره غير مقبل الا على لذة نفسه ومنتعة قلبه لا يسأل نفسه عن سر الوجود ولا غايته ولا ما قبله ولا ما ورائه ؟ أم في أي صورة أخرى من صور النفس تريد أن تظهره ارضاء لهاته الطائفة الغبية العمياء التي تمشي في هذا العالم الحي المغري على التفكير والاحساس وكأنها تمشي في جب مظلم لا حس فيه ولا حياة ؟ .
أكتب الحق خالصاً لوجه الحق والى أعماق الجحيم بهاته الأنصاب البشرية الزائفة ؟ .

ومثل هذا أقول لك عن بيتك الجميل الرائع :

حاملا كالاله قلبا كبيراً فيه ما في الوجود من أكوان

ان الفنان يا صديقي لا ينبغي أن يصغي لغير ذلك الصوت القوي العميق الداوي في أعماق قلبه - أما إذا أصغى إلى الناس وما يقولون وسار في هاته الدنيا بأقدامهم ورآها بأبصارهم وأصغى إليها بأذانهم فقد كفر بالفن وخان رسالة الحياة .

ولو شئت ان أسوق لك الأبيات التي لي غرار بيتك هذا في التشبيه بالاله والآلهة لأكثرت وخرج بي القلم عن غايته ولكنك ستري ذلك في الديوان ان شاء الله . وانني لأعمق إيماننا بالله من كل أحد حينما أعبر بهاته التعابير الكافرة في نظر أولئك الناس . فالألوهية وما تصرف منها هي رمز للمثل العليا التي نصبو إليها بأرواحنا ونشخص إليها بأبصارنا في هاته الحياة ولذلك فإذا أردنا ان نعبر عن معنى نحس له بجلال المثل الأعلى وسموه فانما سبيلنا في ذلك ان نفرغ عليه رداء الألوهية التي هي ما تتصوره الإنسانية من جمال المثل الأعلى وجلاله . وهذا كلام قد لا يفهمه أولئك الناس، أما انه كفر في نظرهم فهذا ما لا يقبل شكاً

ولا ريباً. ولكن الى الجحيم بهم! - كما قلت - ولنعمل لفننا بإخلاص ولنمثل دورنا في رواية الحياة غير حافلين بأفواج النظارة فان الممثل اذا وضع باله اليهم لخليق ان يضطرب عليه دوره ويخسر فنه. وبعد هذا فاني لا أريد أن أكتمك اعجابي ببيتك ذلك وما فيه من قوة ادراك وعمق نظر وسمو تفكير، وأضيف الى هذا أنك ببيتك هذا قد عبرت عن معنى حاولت انا ان أعبر عن بعضه في سبعة أبيات من قصيدة تحدثت فيها عن قلب الشاعر بلسان « مجنون » فلم أوفق الى ما وفقت اليه من الدقة والقوة والسمو واليك الأبيات السخيفة التي كثيراً ما حاولت تمزيقها أو حرقها ولعلي لا أتردد بعد الآن في تمزيقها وبقية القصيد والقائنها للرياح العابرة:

كل ما هب وما دب وما	نام أو حام على هذا الوجود
من طيور وزهور وشذى	وينابيع، وأغصان تميد
وبحار وصحار وذرى	وبراكين ووديان وييد
وثلوج وضباب عابر	وأعاصير وأمطار تجود
وفصول تملأ الدنيا سنا	وظلالا وحياة وهمود
وأحاسيس وديين ورؤى	وتعاليم ولهو ونشيد
كلها تحيا بقلبي حرة	غضة السحر كأطفال الخلود

لا أرى في بيتك ما يوجب الاصلاح فإن « كبيرا » تؤدي المعنى تماما وان كنت لا أنكر أنها أقل مما يشعرك المعنى من رحابة الأفق واتساعه ولعل وصف القلب هنا بـ « رحيب » ألقى قليلا وان كنت لا أجزم بهذا الترجيح. نسيت أن أذكر لك اني اتصلت بالديوان وقد تبين انه ملقى بفرع البريد من نحو ثلاثة عشر يوما وأنا أتعذب أثناءها أمر العذاب وأحره، والغريب أنني كامل تلك المدة أسأل فرع البريد فلا أجاب بغير النفي المطلق.

ولكنني على كل حال قد ربحت في تلك الأزمة النفسية التي مرت بي قصيداً هو « نشيد الجبار » فإني في ليلة من ليالي هاته الأزمة النفسية المرهقة ولعلها ليلة

كتبت لك رسالتي الأخيرة نمت معذب النفس مهموم القلب ثم استيقظت نحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فلجت بي الآلام وضربت بي في كل سبيل حتى لقد كاد رأسي ينفجر وأحسست أنني لا بد مشرف على الجنون لو دام بي ذلك الحال الى الصباح وتطورت نفسي في غمرة الألم فبعد ان كانت معذبة باكية في ظلمة أحزانها تكاد تجن من الأسى انقلبت نائرة هائجة واثقة من نفسها ساخرة بالقدر والداء والأعداء وكل آلام الحياة. وتحت تأثير هاته الحالة النفسية نظمت « نشيد الجبار » فذابت آلام نفسي وشعرت بالحرية والانطلاق كأنما أُلقيت عن منكبي عبئاً ثقيلاً يهد القوى وقد نظمتها في تلك الليلة ولكن نفسي لم تنهض للكتابة ولو كلمة منها. وفي نحو الفجر نمت مرتاح النفس مطمئناً وأفقت من الغد فلم أجدني قد نسيت منها كلمة واحدة فكتبتها ولم أزد عليها إلا نحو بيت أو بيتين وبعض تنقيحات رأيته لا بد منها وبهاته المناسبة فإني أقول لك أنني لا زلت كالماضي أشعر في صميم نفسي بأن الأقدار تحاربني وهي سخافة على كل حال.. ولكنني أؤمن في قرارة نفسي بها وإنما الفرق بيني وبين نفسي الأولى اني كنت أتقبل آلام الحياة وأتحسس أشواكها بنفس ضارعة وقلب داعم باك، أما الآن فإني ألقاها ببسمة الساخر ونظرة الحالم المنتشي بجمال الوجود. وقد أحسست ببداية هذا التطور لما اصطفت بعين دراهم، ولعل جمال الطبيعة هناك قد كان له الأثر الأكبر في تلوين نفسي بهذا اللون الجديد، كما أن مصيفي هذا العام وما رأيته من صور الطبيعة الرائعة قد أكمل هذا التطور ونماه. أما الآن فإني أشعر بانقلاب عميق قوي في نفسي كل القوة، وستدرك هذا التطور في نفسي حينما تطلع على قصائدي الجديدة وقد عبرت عن هذا الانقلاب الروحي بقصيد « الصباح الجديد » الذي أرسلته الى « أبولو » وقصيد « نشيد الجبار » هو صورة صادقة لنفسي في طورها الحاضر الجديد.

أما أبو شادي فيما كتبت عنه فقد حاولت ان أكون صادقاً جهدي لا إداريه ولا أعظمه وقد تحدثت عن أسلوبه بأعظم ما يمكنني من الصراحة في مقدمة

تكتب لديوانه - وستطلع عليها فترى أنني لم أجامل ولم أدار وانما أنصفت حسب ما يقتضي المقام ولست أدري من أين لك « أنني كتبت عنه معجباً » ؟ والحقيقة أنني كنت لا أستطيع أن أتم قصيداً لأبي شادي ولكنني رضت نفسي على أن أتابعه حتى ألفتة فتبين لي أن الرجل في صميمه شاعر حساس يمتاز بروحانية صوفية في نظراته الى الوجود ، ولكن الذي أسقط من قيمة أدبه شيان :

(١) انه متعجل مكثار لا يصبر على التجويد الذي هو عمل لا بد منه للفنان المتسامي .

(٢) ان صوره الشعرية لا تبدو واضحة كاملة في شعره بحيث ترغمك على تذوقها واستمتاعها وذكرها بل انها تبدو ملتأة غائمة سريعة كل السرعة كأنها صور شريط سينمائي يدار بسرعة جنونية، وهذا السبب الذي ينأى بالناس عن تذوق شعره وادراك ما فيه من صور شعرية واحساسات عميقة تدل على نفس حية واعية، ولذلك فشعره يبدو فاتراً - في كثير من الأحيان - لا يسيطر عليك ويرغمك على أن تتبعه مسحوراً دهشاً. وما أشبه شعره في نظري بتلك المرأة الجميلة التي يعجبك جمالها ولكن لا تستفرك أنوثتها القاهرة وسحرها الغالب ولعلك لو رضت نفسك على تلاوة شعره لأدركت منه ما أدركت. ذلك مجمل رأيي في الرجل وأنت لتدرك بالبدهة انه لا يمكنني أن أقول هذا القول وبهاته الطريقة في مقدمة تكتب لديوانه .



استعرت من بعض الرفقاء بالحاضرة رواية روسية اسمها « ابن الطبيعة » ترجمها المازني وهي رواية عالية وأناي أرى المازني قد تأثر بها في ابراهيم الكاتب تأثراً واضحاً عظيماً تتفق فيه في كثير من الأحيان الحوادث والصور وحتى التعابير أيضاً .

وقد عجبت لقولك انك سترجى كلمتك عن شعري الى ما بعد صدور

الديوان ؟ فهل نسيت اننا اتفقنا على أن تترك كتابة مقدمته لك ؟ أما أنا فإنني لم أنس ذلك وقد سئلت في تونس وغيرها عمن سيكتب المقدمة فأعلمتهم بأن كاتبها سيكون الحليوي واني حينما أتم نسخ الديوان سأوجهه اليك لتكتب مقدمته . أما الآن فإنني أنتخب القصائد التي سأنشرها فيه وأجمع تواريفها لأرتبها على حسبها وإن قسماً كبيراً مما نشر لي لا أريد نشره لأنني أراه لا أهمية له ؛ أما في روحه أو في أسلوبه ، ولأنني أرى فيه سذاجة كسذاجة الأطفال أبتسم لها الآن وأعجب لنفسي كيف سولت لي نشره في حينه . ولكن هي الأيام ...

ودم لأخيك المخلص الذي لا ينساك .
ولك تحيات البشروش .

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثلاثون

الشابية ٣٤/٣/٤ (★)

أخي العزيز ،
تحية وسلاماً

وبعد ، فقد كنت أود أن أتحدث اليك عن مقالك الذي كتبه عن « لامتين » ذلك المقال الساحر الجميل الذي قد كنت فيه شاعراً يتكلم عن الشعر في أعماق معانيه وأسمى آفاقه وأجمل تعابيره والذي قد زادني إعجاباً بمواهبك السامية وحباً لقلبك الحي ونفسك الحساسة الواعية . واننا في انتظار الحديث عن بقية الأعلام الرومانتيكيين . نعم كنت أود أن أتحدث اليك عن هذا ولكن ورد علي

(★) انظر في الملحق الرسالة رقم ١٥ .

وأنا أفكر في ذلك من السيد بلغيث الدبائي مكتوب أخبرني فيه أسفاً مندهشاً: أنه اتصل من أخيه بما يفيد أنه وقعت نقلتك الى قرية. وقد استغربت هذا الحادث المفاجيء الذي لم نكن نتوقعه ولعلك أنت أيضاً ما كنت تتوقعه أو تنهياً له وإلا لأخبرتنا به من قبل، فما موجب هاته النقلة؟ وهل هي بطلب منك؟ وهل أنت مسرور بها؟ وما هي حالتك النفسية ازاء هذا؟ أنني في لهفة وتشوف الى الاتصال بجوابك فان كانت تسرك زال عني ما أشعر به من ألم وما يخالجني من هواجش وشكوك.

اليوم أخبر البشروش بهذا لأنه لم يعلم بهذا الخبر فقد كان عندي يوم الجمعة الفاتئة ولم يحادثني عن هذا الشأن مع أن ذكراك كانت معنا واعتذر اليك إذا لم أكاتبك من قبل فإنني ما زلت مريضاً وان كانت شدة المرض قد زایلتنني أما ضعفي ففي منتهاه وقد زادني ضعفاً ملازمتي للمنزل وعدم مفارقتي إياه الى الخارج لفساد الطقس في الجريد في هذا العام فقد اشتدت فيه البرودة لدرجة لم تكن تتوقع.

أما مرضي فهو مرضي المعهود والسبب الذي أدى الى انتفاضه علي هو أنني أصبت ببرد شديد وأنا بالغابة أقوم بإتمام بعض الشؤون أما الطبيب فلم أعرض عليه نفسي ولا قابلته أصلاً لأن طبيب هاته الناحية جاهل جداً وقد خشيت أن تكون معالجته سبباً في زيادة الداء.

واني أحياناً أفكر في الذهاب الى الحاضرة ولكنني الآن أرجو أن أتعافى ولا أحتاج الى ذلك وتحمل عناء السفر في هذا البرد الشديد الذي كان سبباً في اطالة المرض. والسلام.

الرسالة الواحدة والثلاثون

حامة توزر ٢٤/٤/٣٤

عزيزي الأخ.

تحية عاطرة.

ما أشوقني يا أخي اليك وإلى أحاديثك وإلى خطرات قلبك وأصوات نفسك .
ولكنك قد أردت أن تحرمني حتى هاته المتعة الصغيرة التي هي كل ما سمح به
القدر لي من متع الحياة .

لا أعتقد أنك نسيت أخاك وما أحسب الا ظلال الخمول والسآمة هي التي
صرفتكَ عن مراسلة أخيك وصدفت بك عن تذكّار أخوانك الذين لا تفارقهم
ذكراك .

سامحك الله يا صديقي وغفر لك . وذلك كل ما أقوله لك كيفما كانت
نفسك وخواطرك في هاته الساعة ، وعساك لا تضن علي بعد الآن بما أنا اليه جد
مشوق .

اني الآن من نحو شهر أقيم بالحامة بقصد تبديل الهواء والاستشفاء وأشعر الآن
أنني أحسن قليلا من قبل . ولست أدري ما سيكون المستقبل معي . وتحياتي إليك .

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثانية والثلاثون

حامة الجريد : على طريق دقاش في جوان ١٩٣٤

عزيزي الأخ الحبيب .

أحييك وأعتذر اليك ، فاني والله لم يقعد بي عن الكتابة اليك فتور في الود أو ضعف في الادكار ولكنه خمول الحياة السائمة وملل الصحة الواهية وحرارة الجو التي لا تزيد هذين إلا فسادا . ولعمرك انه لا يمر علي يوم إلا وقد اعتزمت فيه الكتابة اليك ثم نفضت يدي من ذلك العزم وأخلدت للخمول الأليم .

هنا عمل واحد أقوم به مساء كل يوم ذلك العمل هو نسخ الديوان بصورة واضحة لأقدمه الى الطبع في مصر! ولكن لا تعجب يا صديقي فاني لم يدفعني الى القيام بهذا العمل وموالاته إلا صديق هنا وجدت منه عوناً لي في العمل ودافعاً ملحاً اليه ، ولولا انه يقدم الي كل مساء ليملي علي ما أنسخ ولولا أن في قدمه كل مساء من مكان غير قريب جبرا الي على العمل لما استطعت أن أعمل شيئاً ولظلت الأيام تنمو وتذوي وتتلاشى حوالي وأنا أمني النفس بالعمل ولا أعمل .

وقد صادف أنني اتصلت برسالة « الحوار » التي حررتها أنت والأخ البشروش - وان كنت تريد أن تدعوه « السيد » - وأنا أعمل في الديوان فحركت من نفسي شجوناً لم تكن ساكنة وأيقظت خواطر ما كانت نائمة ، ولكن ما عسى أن يصنع الطائر الذي نفثه صروف الحياة عن سربه الحبيب ؟ يبكي ويسخط ثم يستسلم راضياً أو ناظماً لإرادة الأقدار وكذلك كانت نفسي اذ ذاك يا صديقي .

أما مصيفي بالقيروان فهو غاية ما أصبو اليه ولكنني أظنني لا أستطيع تنفيذه فإنني الآن شبه معتزم الاصطياف هنا ولكنني في كثير من الأحيان أفكر في زيارة الحاضرة في منتصف أو أواخر جويليه خصوصاً وقد بلغني أنه ورد عليها طبيب ايطالي اخصائي في أمراض القلب . وعلى كل فإنني لا بد أن أزورك إذا ما ذهبت إلى الحاضرة .

وعلى ذكر « الديوان » فإنني أقول لك إنني نادم كل الندم على إعلانني عن طبعه وتكوين الاشتراكات فيه، فقد خبت كل الخيبة من هاته الناحية ولم يجبني من أصدقائي ومعارفي الذين كلفتهم بالترويج للاشتراكات إلا القليل النادر والأقل الأندر هو الذي أخرج بعض التواصيل وأرجع البعض. نعم يا صديقي فقد ندمت كثيراً ولكن ماذا أصنع بعد أن وعدت الناس بطبعه وقبضت بعض الاشتراكات؟ لا أستطيع أن أرجع في وعدي فتحق علي كلمة « كاذب » وهي شر ما يوصف به المرء، فلم يبق إلا أن أضحي... وإنني الآن يا صديقي أضحي في سبيل نسخ الديوان بما بقي من صحتي الواهية وسأطبع من مالي الخاص وأرهق نفسي في سبيل ذلك ما لا أستطيع وما لو أنفقت على صحتي لعاد عليّ ببعض الفائدة. أجل سأضحي بذلك أيضاً بعد أن ضحيت بالصحة ضحيت من قبل بمتع الشباب وراحة العقل وهدوء الأعصاب وبذلك تكمل التضحية ويتم ثالوثها الأقدس المخضب بالدماء.

وبعد فما عساني أقول إليك؟ إن فكري متعب وأعصابي مكدودة ونفسي ملولة ضجرة وحرارة الجو المختنق تزيد النفس والأعصاب سامة وإرهاقاً ولعلك تدرك هذا من كتابتي المتخاذلة وانشائي هذا الفاتر السخيف، ولكن رغم ذلك ما عساني أقوله لك؟ إنني أريد أن أتحدث إليك في أمر أكيد نسيته - فما هو؟ سأترك القلم لحظة لأمسح جبيني المندى بالعرق وأوقف ذاكرتي بتملي جمال الصحراء الذي يمتد أمامي، إنه جمال ساهم محموم، ولقد يخيل إليّ أحياناً أنه يفكر في ما وراء هذا العالم الصاخب الموارد... في معاین الفناء والموت والظلام... ولقد يبلغ بي الوهم أحياناً أن أحسبه نفساً شاعرة مسلولة، تناجي في حمى السقام أحلامها الحزينة الصامتة الموشحة بأردية الموت... ما هذا؟ ثرثرة متعبة وهذيان أليم.

والآن لقد تذكرت: فأنني أريد أن أقول لك اذا أتممت نسخ الديوان فهل أرسله اليك لتكتب مقدمته أم لا؟ لقد كنت تعهدت بهذا وطلبتة الي في العام الماضي والذي قبله، وحاولت التخلص أو اظهار التخلص منه في هذا العام - فما هو رأيك الأخير الصريح الآن؟. ودعنا بربك من تواضع الشرقيين وأحاديثهم

التشريفاتية. أما رأيي أنا فإنني أؤثر كلمة منك على ما يكتبه عني أبو شادي، لأنك تعرف عن نفسي وعاداتي وأطواري النفسية والجسمية ما لا يعرفه، وبذلك تكون موفقاً في فهمي وفهم شعري أكثر منه، هذا بقطع النظر عن أسلوبك وأدبك الذي تعرف رأيي فيه.

وانني أنتظر جوابك بصراحة تامة عن هاته النقطة بالخصوص وقد أرسلت أبا شادي بعد ان عينت له مقدار ما سيكون في الديوان من الشعر، وبعد أن ذكرت له أنني أريد ان يكون ورقه من نوع ورق « ذكرى جوت » للعقاد وطلبت منه بيان السعر وها انا ذا لا زلت انتظر الجواب. لم أتصل « بالينبوع » ولست أعلم ما موجب هذا وكذلك لم أتصل بعدد ماي من « أبولو » ولذا فرجائي اليك ان توجه الي النسخة التي جاءتك من « الينبوع » وبادر بإرسالها الي الى الحامة.

أما المقتطعات التي كنت أرسلتها اليك وكلفت بها بعض معارفك فاذا تؤمل زيادة الرواج فيها فأبقها عند أصحابها الى حين، واذا كان لا أمل لك في زيادته فأرجعها الي الى الحامة أيضاً والمجنون من يحرق نفسه بخوراً أمام هذا الإله الغبي الجاهل الذي يسمى: الشعب التونسي، وأنا ذلك المجنون يا صديقي.

حسبي ما كتبت وإن كنت أود المزيد والى اللقاء شخصياً أو كتابياً وأنني انتظر جوابك السريع وديوان الينبوع وسلام عليك من أخيك المخلص:

أبو القاسم الشابي

الرسالة الثالثة والثلاثون

حامة الجريد : « على طريق دقاش » ٣٤/٧

عزيزي الأخ الحليوي حفظه الله .
تحية وشوقاً .

وبعد ، فلعل رسالتي هاته تصل اليك وأنت تعد العدة لاتمام زفافك الميمون والذي يؤلم قلبي أن تصدني الأقدار عن حضور حفلته بعد اعتزامي ذلك . فقد كنت من قبل مجمعاً أمري على زيارة العاصمة في العشر الأواخر من هذا الشهر . وجاءتني رسالتك مبشرة بقرب زفافك فأيقنت أنني لا بد أن أشاركك في حضور حفلة أنسك كما شاركتك من قبل في تذوق آلام نفسك . ولكن القدر الذي يأبى إلا أن يكون لي عدواً حرداً قد أبى علي هاته وقدر ما لم يكن في الحساب فقد أصيبت زوجتي بمرض أنساني مرضي الذي كنت أفكر في علاجه وإنني الآن مهموم النفس موزع اللب مستطار الشعور مقسم القلب بين دائي القديم ونصفي السقيم ، ولست أدري ماذا وراء غدي المحجوب من ويلات الخطوب وبذلك أجلت سفري مكرها ولست أدري متى أعترمه .

عفوا يا صديقي اذا كنت أحدثك بآلامي في رسالة بدئت بالحديث عن زفافك المنظور ؟ اندفعت الى ذلك عن غير وعي ولا تفكير ولكنها حاجة القلب المتسرع الى التنفيس عنه .

أما الأخ البشروش فانه أعلمني بأنه أيضا قد كتب له عقد النكاح في هاته المدة الفارطة فعساه يكون عليه سعيداً .

وقد راسلت أبا شادي في شأن قصيدك ومقالك وفي شأن قصيدي « نشيد الجبار » وثلاث قطع شعرية أخرى وفي طلب بيان تقدير قيمة طبع الديوان ولكنني لم أتصل منه بشيء رغم أنه قد مضى على ذلك أكثر من شهر وعشرة أيام ! كما

أنني لم أتصل بالعدد التاسع والعاشر من هاته السنة. ولم أفهم موجبا لهذا. وقد أعدت اليه المراسلة في شأن طبع الديوان وتقدير ثمنه في مكتوب مضمون الوصول دفعا لوهم الضياع. وها انذا لا زلت منتظرا جوابه.

أرجوك أن تراسلني يا صديقي فان نفسي مترعة بآلامها عن مسليات الحياة موصدة حتى عند تذوق جمال هذا الوجود فراسلني وعرفني عن الوقت الذي ستعقد فيه حفلة زفافك فأقاسمك سرورك على البعد اذا أبت الأيام أن يكون ذلك على القرب.

وسلامي اليك والى الأخ الفاضل الأديب السيد الشاذلي عطاء الله وسائر الأخوان الفضلاء.

أخوك: أبو القاسم الشابي

(قد اتصلت بالينبوع فشكرا).

الرسالة الرابعة والثلاثون

حامة الجريد ٣٤/٨/١٢

أخي

تحية عاطرة

وبعد، فقد سرتني انك نقلت الى مركز «رادس» ذلك المركز الجميل الذي كنت أسمع منك ان آمالك انتهت عنده، وانك لا تعتزم إلا ان تسمح لك الأيام بأن تبني فيه منزلك وتستقر فكأن الزمان قد أخذ يركن الى المهادنة ويتيح الفرص فما عليك إلا أن تهتبل الفرص السانحة.

واني أهنيك وأسأل الله أن يجعله عليك مركزاً ميموناً مباركاً على روحك

وقلبك وصحتك الغالية. وإنني إذا كنت اعتذر لك بيني وبين نفسي عن خمول
الأمس بسأم الوحدة وجمود القرى فإنني لا أجد لك عذراً بعد اليوم وأنت في
رادس ذات الجمال الساحر والمركز الذي لا ينقطع دواره والعاصمة منك قباب
قوسين ومرمى السهم.

أما أنا فأنني اليوم - بحول الله - أفارق الحامة راجعاً الى توزر التي طال عنها
غياي من نحو ما يزيد على أربعة أشهر. وأنني لأحمد الله أني أتيت منها سقيماً
متعباً موهون القوى لا أملك في نفسي عضواً تعينني الخطوات اليسيرة وارجع اليها
معافى بعض العافية.

وأحسب أن قدومي على الحاضرة سيكون في أواخر هذا الشهر «أوت» وقد
كتب الي الأخ البشروش أنه انتقل أيضاً الى مركز الكريب وهو مركز لا أعرفه
ولكن البشروش مسرور به لقربه من العاصمة ولأنه سيكون هو الوحيد بالمكتب
الذي يوجد فيه مسكن للمعلم الوحيد.

ليس لدي الآن ما أكتبه اليك غير هذا أو لعل ذهني لا يستطيع أن يملي غير
هذا وهو مشغول بأمر السفر ومعداته.

والسلام عليك. أخوك:

أبو القاسم الشابي

ملاحظة:

كنت في أوائل الشتاء الفارط راسلت السيد إبراهيم بن سالم
وأرسلت له مقتطعاً طالباً منه ترويض ما أمكن منه وقد قدم في الشتاء
ووعدني بأن يعمل بعد رجوعه. كما كاتب السيد... بمقتطع أيضاً
ولكنه لم يجبني إذ ذاك بحرف وبما أنني الآن أجمع الحساب لتقديم
الديوان الى الطبع فقد راسلتها طالبا منها الجواب ولكن عبثاً كان
ذلك - ولذا فالرجاء ان تقابلها وتستطلع منها طلعة الأمر فان كان

هناك شيء فليراسلاني به والا فتسلم المقتطعين وأرسلهما الي وعرفني
بجوابهما . والسلام .

أخوك : الشابي

ملحق :

مصادر ومراجع لدراسة الشابيّ

- أ -

- آثار الشابيّ. أبو القاسم محمد كرو.
- آراء حول الشابيّ. دار المغرب العربيّ. تونس.
- أبو القاسم الشابيّ. نظرة في شعره عامّة. حسن محمد محمود (مصر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».
- أبو القاسم الشابيّ. حياته، وأدبه. زين العابدين السنوسيّ. تونس، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م.
- أبو القاسم الشابيّ، شاعر الحبّ والثورة. رجاء النقاش.
- أبو القاسم كما يجب أن يقال عنه. البشير الفورتي (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».
- أبو القاسم الشاعر. محمد بدره (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».
- الاتجاهات الأدبيّة في العالم العربيّ الحديث. أنيس المقدسي. الحلقة الثانية والعشرون، والثالثة والعشرون من سلسلة العلوم الشرقيّة للجامعة الأميركيّة في بيروت، الجزء الأول بلا تاريخ، الجزء الثاني سنة ١٩٥٢.

- الأدب التونسي في القرن الرابع عشر الهجريّ. زين العابدين السنوسيّ، ط ١٣٤٦ هـ.

- الأديب. مجلة شهرية، بيروت.

- الأسبوع. مجلة أسبوعية جامعة حرّة. تونس.

- أغاني الحياة. ديوان الشاعر.

- الأمازيغيّ: مجلة أسبوعية تبحث في الثقافة، بيروت.

- ب -

- بين الشابيّ والتيجانيّ. عبد المجيد عابدين (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».

- ت -

- التقرير والإحياء في شعر الشابيّ. مصطفى بدوي، (مصر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».

- ج -

- الحركة الأدبية والفكرية في تونس. محمد الفاضل بن عاشور. القاهرة، ١٩٥٦ م.

- حياة أبي القاسم الشابيّ. ابراهيم بورقعة (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».

- خ -

- الخيال الشعريّ عند العرب. شوقي أبو شقرا (لبنان). ضمن كتاب «دراسات عن الشابيّ».

- د -

- دراسات عن الشابيّ. أبو القاسم محمد كرو. دار المغرب العربيّ، تونس، ط ١، ١٩٦٦ م.
- دفاع عن الشابيّ. دار المغرب العربيّ.

- ذ -

- ذكرى الشابيّ. مجموعة من الأدباء.

- ر -

- رسائل الشابيّ. محمد الحليوي. دار المغرب العربيّ، تونس، ط ١، ١٩٦٦ م.
- الرسالة. مجلة أسبوعيّة، القاهرة.
- الروائع لشعراء الجيل. محمد فهمي، ج ١، لجنة التأليف والترجمة الحديثة، القاهرة، بلا تاريخ.

- ش -

- الشابي حياته وشعره. أبو القاسم محمد كرو، منشورات المكتبة العلميّة، بيروت، ١٩٥٢ م.
- الشابي روح نائرة. محمد مندور (مصر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابي».
- الشابي شاعر الحبّ والحياة. عمر فروخ. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠ م.
- الشابي شاعر الخضراء. حمدي محمد عبد الوهاب. الدار القومية للطباعة والنشر، تونس.

- الشابي وتجربة الفجر البعيد . الشاذلي القليبي (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابي» .
- الشابي وجبران . خليفة محمد التليسي . دار الثقافة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٥٧ م ، ط ٢ ، ١٩٦٧ م .
- الشابي وهذه الحياة . عبد الله شريط (الجزائر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابي» .
- شاعر وشعب ، أبو القاسم الشابي . نعمات أحمد فؤاد . القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- الشاعران المتشابهان . الشابي والتيجاني . أبو القاسم محمد بدوي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ م .
- شاعران معاصران : إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي . عمر فروخ . المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٥٤ م .
- الشعب في شعر أبي القاسم . محمد العروسي المطوي (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابي» .

- ع -

- العوامل الفعالة في الأدب العربي . أنيس المقدسي . الحلقة الخامسة عشرة من سلسلة العلوم الشرقيّة للجامعة الأميركية في بيروت ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

- ف -

- الفكر . مجلة ثقافية ، تونس .
- فنّ الشابيّ . نظمي خليل (مصر). ضمن كتاب «دراسات عن الشابي» .
- في ذكرى ميلاد الشّابيّ . الهادي العبيدي (تونس). ضمن كتاب «دراسات عن الشابي» .

- ك -

- كفاح الشّابي . أبو القاسم محمد كرو ، بيروت ، ١٩٥٤ م .
- كيف ندرس الشابي . محمد فريد غازي (تونس) . ضمن كتاب « دراسات عن الشابي » .

- م -

- ما يجب نحو الشابي . أبو القاسم محمد كرو (تونس) . ضمن كتاب « دراسات عن الشابي » .
- محاولة جعل إطار لترجمة الشابي . عامر غديرة . مجلة الفكر ، تونس ، ديسمبر ، ١٩٥٩ م . وضمن كتاب « دراسات عن الشابي » .
- مرض أبي القاسم الشابي . محمد فريد غازي . مجلة فكر ، تونس ، ديسمبر ، ١٩٥٩ م .
- مصادر الشابي . أبو القاسم محمد كرو . دار المغرب العربي ، تونس .
- مقالات عن الشابي . أبو القاسم محمد كرو . دار المغرب العربي ، تونس .
- المكشوف ، مجلة أسبوعية ، بيروت .
- مع الشابي . محمد الحليوي ، تونس ، ١٩٥٥ م .
- ميلاد الشابي . أبو القاسم محمد كرو (تونس) . ضمن كتاب « دراسات عن الشابي » .

- ن -

- النبيّ المجهول . مصطفى حبيب بحري . دار المغرب العربي ، تونس .
- نفس الشابي . محمد البشروش (تونس) . ضمن كتاب « دراسات عن الشابي » .

- ه -

- الهلال . مجلة شهرية ، القاهرة .

الفهارس

١ - فهرس القوافي .

٢ - فهرس المحتويات .

١ - فهرس القوافي

الصفحة	الوزن	القافية
(قافية الهمزة)		
٣١ - ٢٩	الكامل	السماء
٣٢ - ٣١	الخفيف	وعنائي
(قافية الباء)		
٤١ - ٣٣	الكامل	الكثيب
٤٤ - ٤١	مجزوء الكامل	قريب
٤٦ - ٤٤	المنسرح	كثيب
٤٧	المتقارب	الشباب
٤٨	مجزوء الكامل	الرهب
٤٩	الطويل	المصائب
٥٢ - ٤٩	الخفيف	الرهب
٥٥ - ٥٣	الكامل	الجلباب
٥٧ - ٥٥	الكامل	الباب

الصفحة	الوزن	القافية
٥٧	الكامل	والآرابِ
٥٨	الكامل	للأغرابِ
(قافية التاء)		
٥٩ - ٦١	مجزوء الرّمل	حالكاتُ
٦١ - ٦٢	مجزوء الكامل	الحياةُ
٦٢	الطويل	الآتي
(قافية التاء)		
٦٣	مجزوء الخفيف	الأحداثُ
(قافية الحاء)		
٦٤ - ٦٨	مجزوء الرّمل	الصداحُ
٦٨ - ٦٩	مجزوء الرّمل	الصباحِ
(قافية الدّال)		
٧٠ - ٧٥	المتقارب	الخدودُ
٧٥ - ٧٧	المتقارب	البعيدُ
٧٧ - ٧٨	الرمل	الوجودُ
٧٨	الكامل	والوردُ
٧٩	الطويل	الوردا
٧٩ - ٨٣	الخفيف	الجديدِ
٨٣ - ٨٤	الخفيف	وجودي
٨٥ - ٨٦	الخفيف	الوجودِ

الصفحة	الوزن	القافية
٨٧ - ٨٦	الخفيف	الوجودِ
٨٨ - ٨٧	الخفيف	وانفرادي
٨٩ - ٨٨	الخفيف	ودودِ
٨٩	الخفيف	بجهدِ

(قافية الرّاء)

٩٤ - ٩٠	المتقارب	القدرُ
٩٧ - ٩٤	الكامل	النضيرُ
٩٩ - ٩٨	مجزوء الرّمل	طيرُ
١٠١ - ١٠٠	مجزوء الرّمل	واصطبرُ
١٠٢ - ١٠١	المنسرح	نارا
١٠٤ - ١٠٢	البسيط	القدرُ
١٠٦ - ١٠٤	الكامل	المسرورِ
١٠٨ - ١٠٦	الكامل	ظهري
١١٠ - ١٠٨	المجتث	شعوري
١١٢ - ١١٠	الكامل	وشعورِ

(قافية السين)

١١٤ - ١١٣	المجتث	يداسُ
١١٦ - ١١٥	المتقارب	المسا
١١٦	الكامل	مقدسُ
١٢٠ - ١١٧	الخفيف	بفأسي
١٢١ - ١٢٠	الخفيف	وتأسّ

الصفحة	الوزن	القافية
١٢٢ - ١٢١	الخفيف	نفسى
	(قافية العين)	
١٢٤ - ١٢٣	مجزوء الرّمل	الخشوع
	(قافية الفاء)	
١٢٧ - ١٢٥	المتقارب	عنيف
	(قافية القاف)	
١٣٠ - ١٢٨	مجزوء الخفيف	فأورقا
١٣٠	البسيط	الفلق
	(قافية الكاف)	
١٣٣ - ١٣١	الخفيف	كؤوسك
١٣٣	الخفيف	شروقلُ
	(قافية اللام)	
١٣٩ - ١٣٥	الكامل	الجميلُ
١٤١ - ١٤٠	المتقارب	الأملُ
١٤١	السريع	الرمالُ
١٤٢	البسيط	والوجلُ
١٤٤ - ١٤٣	الخفيف	جميلُ
١٤٥	الرّمل	الأرذلُ

الصفحة	الوزن	القافية
--------	-------	---------

(قافية الميم)

١٤٨ - ١٤٦	السريع	الوجوم
١٤٩ - ١٤٨	مخلع البسيط	الظلام
١٥٠ - ١٤٩	الرمل	الغيوم
١٥٢ - ١٥١	الرمل	الأحلام
١٥٣ - ١٥٢	الكامل	مهموما
١٥٦ - ١٥٣	الخفيف	والأحلام
١٥٨ - ١٥٧	البسيط	إرْمُ
١٥٩	الطويل	مظلمُ
١٦١ - ١٦٠	الطويل	أضخْمُ
١٦٢ - ١٦١	الطويل	العوالمُ
١٦٣ - ١٦٢	البسيط	ألمُ
١٦٣	البسيط	حلمُ
١٦٤	الطويل	الهدْمُ
١٦٨ - ١٦٤	البسيط	والأنغام
١٧١ - ١٦٩	الخفيف	الأيام
١٧٢ - ١٧١	الكامل	أحلامي
١٧٢	الطويل	يتجشم

(قافية النون)

١٧٥ - ١٧٣	المتقارب	يبينُ
١٧٧ - ١٧٦	مجزوء الكامل	الأمينُ
١٧٩ - ١٧٧	مجزوء الخفيف	شجونُ

الصفحة	الوزن	القافية
١٨٣ - ١٧٩	الخفيف	والزيتون
١٨٤ - ١٨٣	البسيط	حين
١٨٥ - ١٨٤	البسيط	بالأحزان
١٨٥	الخفيف	اللحون

(قافية الهاء)

١٨٧ - ١٨٦	مجزوء الرّمل	لجاء
١٨٨ - ١٨٧	المتقارب	سماه
١٨٩ - ١٨٨	المتقارب	الحياه
١٩٠ - ١٨٩	الخفيف	مراحة
١٩٣ - ١٩٠	مجزوء الرّمل	الناعسه
١٩٦ - ١٩٣	المجثث	بدموعه
٢٠٠ - ١٩٧	مجزوء الكامل	الباسمه
٢٠٢ - ٢٠٠	الخفيف	وسهومة
٢٠٤ - ٢٠٢	الخفيف	مجنونة
٢٠٥ - ٢٠٤	الخفيف	غاية
٢٠٧ - ٢٠٦	المتقارب	القاسية
٢٠٩ - ٢٠٧	المتدارك	غده
٢١٢ - ٢١٠	الخفيف	الدواهي
٢١٣ - ٢١٢	السريع	غيه
- ٢١٣	البسيط	فيه

٢ - فهرس المحتويات

٧	القسم الأول ، ترجمته وشعره
٩	١ - حياته
١٥	٢ - ديوانه
١٦	٣ - شعره
١٧	٤ - أغراض شعره
١٨	٥ - المرأة في شعره
٢١	٦ - الطبيعة في شعره
٢٣	القسم الثاني ، ديوانه
٢٩	قافية الهمزة
٣٣	قافية الباء
٥٩	قافية التاء
٦٣	قافية الشاء
٦٤	قافية الحاء
٧٠	قافية الدال

٩٠	قافية الراء
١١٣	قافية السين
١٢٣	قافية العين
١٢٥	قافية الفاء
١٢٨	قافية القاف
١٣١	قافية الكاف
١٣٥	قافية اللام
١٤٦	قافية الميم
١٧٣	قافية النون
١٨٦	قافية الهاء
٢١٥	القسم الثالث : رسائله
٣٠١	الفهارس
٣٠٣	فهرس القوافي
٣٠٩	فهرس المحتويات